



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه  
صلى  
عليه  
وآله  
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# سیرت النبی ﷺ

میں کنوے نفع البدیعة



مکتبہ المدینہ، لاہور

دار الفکر بیروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# خمسة الألي من كنوز نهج البلاغة

كاتب:

سيد حسين السيد علي الأعرجي

نشرت في الطباعة:

دار المحجة البيضاء

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
12	خمس الألي من كنوز نهج البلاغة
12	هوية الكتاب
12	اشارة
16	الإهداء
18	كلمة المؤلف
26	مقدمة
36	الباب الأول
36	اشارة
41	الآيات القرآنية في نهج البلاغة
128	الباب الثاني
134	الملاحم في نهج البلاغة
134	(1) عن البصرة ومسجدها
135	(2) في بليّة الفرقة ومحنة الشتات
136	(3) في أهل النهروان
138	(4) في ذكر الكوفة
140	(5) في من يأمر بسبه
143	(6) في مصير الخوارج ومالهم
144	(7) بعض الملاحم في الخوارج
146	(8) في ذم أهل العراق
147	(9) في مروان بن الحكم
149	(10) في بني أمية
149	(11) دعوني والتمسوا غيري

- 150 ..... (12) فاسألوني قبل أن تفقدوني
- 154 ..... (13) في ظهور أهل الشام
- 156 ..... (14) عن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ..
- 158 ..... (15) إخباره عن الصنّيل ..
- 161 ..... (16) فتنة كقطع الليل المظلم
- 162 ..... (17) وصف آخر الزمان
- 163 ..... (18) نهاية المؤمنين ..
- 165 ..... (19) ظهور السّقياني ..
- 166 ..... (20) غُلامٌ تقيف ..
- 169 ..... (21) فتنة صاحب الزنج
- 172 ..... (22) الفتنة الباغية ..
- 173 ..... (23) الإمام الموعود ..
- 175 ..... (24) ما بعد الإمام عليه السلام
- 175 ..... (25) السراج المنير ..
- 177 ..... (26) بلايا الفتن ..
- 179 ..... (27) أخبرنا عن الفتنة ..
- 180 ..... (28) ظلم بني أمية، وزوال ملكهم ..
- 182 ..... (29) الإمام المقتول ..
- 182 ..... (30) هلاك بني أمية ..
- 184 ..... (31) بعض العلامات
- 185 ..... (32) علم الإمام عليه السلام
- 186 ..... (33) أصحاب القليب ..
- 187 ..... (34) رفع المصاحف
- 189 ..... (35) يأتي على الناس زمان ..
- 190 ..... (36) ونجعلهم الوارثين

191	(37) يعسوب الدّين .....
192	(38) صفة أهل الضلال .....
193	(39) اختلاف بني أمية .....
193	(40) زمانُ عضوض .....
196	الباب الثالث .....
204	في ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الميامين عليهم السلام .....
204	إشارة .....
205	في بعض ما يختصُّ به عليه السلام .....
206	وليّ الله وحجّته .....
210	احتجاجات ومناظرات أمير المؤمنين عليه السلام .....
210	(1) محلّ القطب من الرّحى .....
214	(2) بنا اهتديتم .....
215	(3) في أصحاب الجمل .....
216	(4) بيعة الزبير .....
218	(5) ردُّ القطنع .....
219	(6) ردّ التّهمة .....
222	(7) وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .....
223	(8) كلمة حقّ يُرادُّ بها باطل .....
224	(9) أنباء السقيفة .....
225	(10) ردّ التهمة مرة أخرى .....
226	(11) رأيه في التنجيم .....
227	(12) عجباً لابن النابغة .....
232	(13) هذا جزاء من ترك العُقدة .....
235	(14) المائل مائل الله .....
237	(15) احتجاجه على الخوارج .....

238	(16) في شأن طلحة والزبير .....
239	(17) معاقبة القاتل .....
242	(18) مساقط الغيث .....
243	(19) المقارعة بالحجة .....
244	(20) في معنى طلحة .....
245	(21) في معنى الحكمين .....
247	(22) نقضه آراء طلحة والزبير .....
248	(23) في الحكمين أيضاً .....
250	(24) في مقتل عثمان .....
251	(25) مراسلات .....
260	(26) طلحة والزبير مرة أخرى .....
260	(27) بعض من صفين .....
261	(28) تناقض الأشعري .....
262	(29) إلى معاوية جواباً .....
264	(30) احتجاجه على الخوارج .....
265	(31) وابعجابه .....
266	(32) ضلالة أصحاب الجمل .....
267	(33) حُئي الكعبة .....
268	(34) حساب الخلق .....
268	(35) احتجاجه مع اليهود .....
269	(36) في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 355 الصفحتان 705، 706 .....
269	(37) العدل والجود .....
272	الباب الرابع .....
272	إشارة .....
272	المدخل: .....



- 276 ..... الشعر والأمثال في نهج البلاغة
- 276 ..... (1) خلق آدم عليه السلام
- 276 ..... (2) الشُّشُقِيَّة
- 278 ..... (2) بعد اللَّتْيَا وَالَّتَى
- 279 ..... (3) قَلَمًا أَدْبِرْ شَيْءًا فَأَقْبِلْ
- 279 ..... (4) النهي عن الحسد
- 280 ..... (5) تناقل عن الجهاد
- 282 ..... (6) لا رأي لمن لا يُطَاع
- 285 ..... (7) إذا جاء القتال
- 285 ..... (8) فما عدا ممّا بدا
- 287 ..... (9) ما لي ولقريش
- 288 ..... (10) لو كان يُطَاعُ لقصيرٍ أمر
- 289 ..... (11) استقصاء الأمر
- 290 ..... (12) في بيان صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 290 ..... (13) حال الدنيا
- 291 ..... (14) ما أكثر العبر وأقل الاعتبار
- 292 ..... (15) أيادي سبا
- 293 ..... (16) لا يكذب الرائد أهله
- 294 ..... (17) دعاء الاستسقاء
- 294 ..... (18) ودع عنك نهياً صيح في حجراته
- 296 ..... (19) محاسن الكتب
- 298 ..... (20) صبورٌ على ريب الزمان
- 300 ..... (21) أسوة الإمام عليه السلام
- 302 ..... (22) تقرّيعه الأشعري
- 303 ..... (23) للطالب غير حقّه

303	(24) لكيلا تأسوا على ما فاتكم .....
304	(25) أكلة منعت أكلات .....
306	(26) أولى بالنبي وأقرب .....
308	(27) الدينُّ الظنون .....
309	(28) ميمون النقيبة .....
312	الباب الخامس .....
312	إشارة .....
312	المدخل: .....
320	المرأة في نهج البلاغة .....
320	(1) جُند المرأة .....
322	(2) اسماء بنت عميس .....
324	(3) في ذم النساء .....
326	(4) زينة الحياة .....
327	(5) أمّ المؤمنين .....
328	(6) حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .....
330	(7) أمّا حزني فسرمد .....
331	(8) فلتة غضب .....
332	(8) وصيته في النساء عند الحرب .....
333	(9) خير نساء العالمين .....
335	(10) وصايا في النساء .....
337	(11) ابن أمي .....
338	(12) اللبسة واللّسبة .....
340	(13) يأتي على الناس زمان .....
340	(14) الغيرة .....
341	(15) جهاد المرأة .....

341	..... خيار الخصال وشراؤها (16)
342	..... لا بُدَّ منها (17)
343	..... نصُّ الحقائق (18)
344	..... ينصح المحارب (19)
344	..... رنين النساء (20)
345	..... النظر إلى المرأة (21)
348	..... المحتويات
360	..... تعريف مركز

خمس الألي من كنوز نهج البلاغة

هوية الكتاب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1431 هـ / 2010 م

عنوان المؤلف

سيد حسين السيد علي الأعرجي.

استراليا: أويلاير

Cignes ate 4

Morphett Ville SA 5043

Mob: 0061403617755

email: akaavaji @ hotmail.com

Australia Adelaide

الرويس عليها السلام مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: 14/5479 - هاتف: 03/287179 :1/541211

تلفاكس 11/557847

E - mail almahajja@terra.net.lb: 14/88TAIN JAUH www.darainahaja.com info@daralmahaja.com

محرر رقمي : روح الله قاسمي

ص: 1

اشارة



بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

حَمْسُ لَأَلَى

مِنْ كَنُوزِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

الْمَوْلَف

سَيِّدِ حَسَنِ السَّيِّدِ عَلَى الْأَعْرَجِيِّ

دَارِ الْمَحْجَةِ الْبِيضَاءِ

ص: 4

## الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله الذي طالما كان يحدثُ عن نهج البلاغة، ويستشهد به فكان ذلك دافعاً لأبنائه أن يعدبوا لهذا الكنز العظيم، ويحاولوا الاستفادة منه، والإفادة به.

إلى روح الشيخ محمد عبده، وابن أبي الحديد وكلّ من ساهم في الاهتمام بهذا السفر الخالد، إن كان تفسيراً، أو بحثاً، أو دراسة أثروا بها الفكر العربي والإسلامي وأتحنوا الأجيال بذخائر هذه الكنوز الثمينة.

المؤلف

سيد حسين السيد علي الأعرجي

\*\*\*

ص: 5





الحمدُ لله صاحب المنَّةِ ووليِّ النِّعمِ، والهادي إلى الرشاد أهل التَّفكُّر والهمم والمسدِّد للصواب وهو منتهى الكرم. أحمدُه على تتابع طوله وتواتر عوائده وتوالي جوده وأصلِّي على خيرة خلقه، وسُفن نجاته، ومصابيح هدايته محمدٌ وآله الطيبين الأبرار الطاهرين.

لا يختلف أحد على أن نهج البلاغة من أهم الكتب الإسلامية بعد القرآن والحديث النبوي الشريف على الإطلاق. وقد اكتسب هذه الأهمية العظيمة من عظم قيمته الأدبية والعلمية والمعرفية، وكونه موسوعة من المعلومات والمفاهيم والأفكار المهمة والمفيدة والمتجددة وخزين معرفي ضخم استوعب مضامين فكرية ومواد علمية، ومناهج بلاغية، غاية في الروعة والرفعة والبداعة والسمو لا تبلى آثارها ولا تدرس أعلامها، ولا تُسَخُّ معالمها وأن معطياتها حيَّةٌ متجددة مع العصر، متفتحةٌ للزمن، متواجدة مع الحياة. فإذا تدبَّره المتدبِّر، وتفحصه الباحث فإنه سيجد فيه ما يُعني بُغيته، ويُبُلُّ غلته، ويشفي شغفه، وفي أيِّ مجالٍ، أو ساحةٍ، أو نادٍ، أو وادٍ أراد الولوج فيه فهو الذي لا يُساجل، ولا يُبارى ولا يُقاسُ به سواه.

إن من يتَّجه باهتمامه نحو هذا السفر الجليل، وإن قضى عمراً، بل أعماراً في شأنه، ما هو إلا كالمغترب من البحر بكفِّه، لوفرة علومه،

وسماحة عطاله، وعظيم جوده الإمام عليه السلام يقول: [ما إن ههنا لعلماً جمّاً «وأشار إلى صدره» لو أصبَتْ له حملة] (1) ويقول: [سلوني قبل أن تفقدوني] (2)، ما قالها أحد غيره إلا وافترض وقوله: [علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم ألفى باب يُفتح لي من كلّ باب الفُ باب]. وغيرها من الكلمات التي يبيّن فيها عظيم شأنه وعلو منزلته صلوات الله عليه:

ونحن إذا أردنا الخوض في الكلمات التي وردت على السن أهل البلاغة والفصاحة والعلم والحكمة في حقه وفي تبيان منزلته، لطلال بنا المقام، ولكن يكفي من ذلك كلّ، وسام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ما بعده رسام، إذ يقول: أنا مدينة العليم وعليّ بابها (3) وأين باب كان صلوات الله عليه، وأي علم أتحنف به البديّة، رغم أنّ ما وصل إلينا منه أقلّ بكثير من الذي فاتنا، وأنّ الذي عرفناه أدنى من الذي جهلناه والذي وقع بأيدينا من الخطب والكلمات والحكم والكتب والرسائل، رغم جلال قدرها وسمو منزلتها وعظيم بدائعها، فهي جنب ما منحه الله تعالى من المواهب الرفيعة والمعارف الجليلة والكمالات السنيّة غيض من فيض.

ها هو كتاب نهج البلاغة برفقتي منذ الصغر، وأنا الصّفح أوراقه، وأواظب على قراءته، أجدني في مجالات رحبة رحلباتٍ للجري شاسعة، تشحذ هممي وتُحفّأ عزائمي، وتدفعني للخوض والبحث والتبصّر، فألّفي في كلّ كلمة زّادة من علم وفي كلّ لفظ رواه من فلما، وعند كلّ محظّة يبادر من عطاء. «.

ص: 8

1- في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 147 الصفحة 990.

2- في الخطبة 92 الصفحة 210: ومن كلامه رقم 187 الصفحة 387.

3- أخرجه الحاكم في المستدرک 1637: والطبراني في 11061: والدنمي في الفردوس «106».

فعلى مقدار جهدي، ومبلغ طائفي، حاولت أن أدخل في هذا المضممار، معتمداً على خزين حبي وولائي لصاحب النهج، وتربّي والقمالي إليه لائذاً به معتصماً بجواره، بعد التوكل والاستعانة بالله العليّ القدير، واستناداً لجامع رغبتني، وشديد تعلّقي في كسب ما يرجوه صاحب البضاعة المسجاة من وفاء الكيل، فكانت هذه المحاولة البحثية، والدراسة الموضوعية، لبعض ما يهّم القارئ من النهج، وما يبتغيه من الفوائد ولا أدعي أنني منفرد في المجالات التي تناولتها، ولا ملّم بكل ما تتطلبه هذه المجالات من دراسة أو بحث أو تقصّر ولكنّها محاولة في أوّل الطريق، ومبادرة شجّعني عليها شغفي واهتمامي وحبي لهذا السفر الخالد، وحرصني على أن لا يكون منّا تقصير أو إهمالاً أو عدم مبالاة لذخائر علومنا وتراثنا، ووجودنا.

وقد وضعت الكتاب في خمسة أبواب مختلفة المعارف، متنوّعة الفوائد، مواكبةً لقدوع وتشعب المقاصد في نهج البلاغة، والأخذ من بعض هذا التنوّع بمقدار ما وقّفتنا له، والقماس الجدّ والاجتهاد في دراسته وتتبعه عسى أن يكون لنا جهد جديد في المستقبل إذا أراد الله سبحانه.

ووفاءً لشارحي النهج وعرفاناً منّا للجهود الجبّارة، والعطاءات الخلّاقة، التي تركوها لنا وما أفاضوا من غزير علم، وجيل معرفة، في شروحاتهم لكلام أمير المؤمنين عليه السلام - والشيخ محمد عبده «رحمه الله» واحد من المهتمين بالنهج، والباحثين عن كنوزه - أعطيت لشرحه مساحة من الاهتمام والتتبع والبحث للموضوعات المطروقة فيه، وبحسب الباب التي تنتمي إليه، أو ما رشح من توضيحات مؤلّفه الشريف الرضي رحمه الله وأيضاً كلّ حسب القساء، لذا فإنّ البحث في الموضوع المبوب يشمل

كتاب نهج البلاغة بأجمعه: الأصل والشرح معاً، معتمداً النسخة المطبوعة في مؤسسة الأعلمي وهي الطبعة الأولى المصححة لسنة 1413 هـ - 1993 م.

وفي حال الحاجة لشرح بعض الكلمات ومعرفة الغاية من القول في الأصل، فإنني أخذت عن شرح الشيخ محمد عبده أيضاً، ليسره واختصاره مع بلوغ الغاية فيه. وفي حال تعذر الوصول إلى البغية في المعلومة، تاريخية كانت أو فكرية أو غيرها من شرح الشيخ محمد عبده اعتمدت اللجوء إلى المصادر الأخرى وخاصةً شرح ابن أبي الحديد، وغيره من المصادر للوصول إلى الغاية وإتمام الفائدة. مع مراعاة الاختصار في ذلك كله، ابتعاداً عن الملل.

فكان الباب الأول: في لطائف الاستنباط من القرآن الكريم، وذكر الآيات البيّنات التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام، أو التي تطرّق إليها الشارح في معرض تبيانه معاني وفوائد الكلمات في الخطب أو الرسائل أو الكتب أو الحكم.

وكثيراً ما كان الإمام عليه السلام يستشهد بالآيات القرآنية، فهو تلميذ مدرسة القرآن والناطق به والمتعلّم منه، والعامل فيه. يقول عليه السلام: [وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه] (1).

ويقول أيضاً: [ما جالس هذا القرآن أحدٌ إلّا وقام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى] (2).

ص: 10

---

1- خطبة له رقم 131 الصفحة 281.

2- من الخطبة رقم 174 الصفحة 353.

ويقول: [وإنَّ الله سبحانه لم يُعط أحداً بمثل هذا القرآن، فإنَّه حبلُ الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيعُ القلب، وينابيع العلم] (1).

الباب الثاني: في الملاحم والفتن، وما أنبأ به عليه السلام في بعض خطبه وكلماته ورسائله وكتبه من أحداث وأخبار حصلت من بعده عليه السلام. يقول عليه السلام: [فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنَّ الذي أتيتكم به عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم. ما كذب المبلِّغ ولا جهل السامع] (2)، فالمبلِّغ والسامع هو عليه السلام، ما كذب على النبيِّ ولا جهل ما سمع منه، وما يُنبأ به أحوال هذه الأمة، وأخبارها وهو الصدق واليقين.

وقوله: [لو تعلمون ما أعلم ممَّا طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم] (3).

وردَّ على من وصف أنباءه بعلم الغيب: [ليس هو بعلم غيبٍ، وإنَّما هو تعلَّم من ذي علم] (4)، [ألا وفي غدٍ - وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون] (5).

الباب الثالث: في الاحتجاج مع أعدائه ومناوئيه، أو مع أصحابه والقريبين منه، بالبرهان والحجَّة، ويضع الأمور مواضعها ممَّا لا مردَّ عليه، ولا منافسة له، حتَّى تكون الغلبة من نصيبه في كلِّ مواطن الاحتجاج والمناظرة، ومع الجميع. بما أُعطي من مواهب الفراسة، وقوَّة الملاحظة، وغزارة العلم، وسعة المعرفة. يقول عليه السلام: [والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطقُ إلا صادقاً، وقد عهد إليَّ بذلك] (6).

ص: 11

1- من الخطبة رقم 174 الصفحة 356.

2- من الخطبة رقم 101 الصفحة 222.

3- من الخطبة رقم 115 الصفحة 256.

4- من كلام له عليه السلام رقم 126 الصفحة 275.

5- الخطبة رقم 136 الصفحة 286.

كله ... وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلا أفرغه في أذني، وافضني به إلي [1]، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الباب الرابع: الشعر والأمثال: يقول العقاد: وعندي أنه عليه السلام كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه، وكان نقده للشعراء نقد عليم بصير، فكان عليه السلام كثير الاستشهاد بالقرآن والحديث النبوي، وكذلك كثير الاستشهاد بالشعر، لأنه كان شاعراً بطبيعته، رغم أن صفة الشعر لم تكن الغالية عنده، بل وكانت نادرة.

الباب الخامس: المرأة في نهج البلاغة: وما ورد في ذكر المرأة في كلامه صلوات الله عليه، وفي مواطن كثيرة.

وجديرٌ أن أذكر أنه ربّما يتكرر الكلام من الخطبة أو الرسالة أو الحكمة في أكثر من بابٍ من أبواب الكتاب، ذلك لتعدد الغرض في الكلام الواحد، مثلاً قد يكون الكلام متعلقاً بالشعر أو الأمثال، وله صلة بالملاحم أو الاحتجاج أو غيره، فيذكر عندها في أبواب تلك الحالات بأجمعها.

وربّما يُسعفني الزمان، وأحذر حذر هذه الفكرة في التتبع لأبواب أخرى في النهج، وهي كثيرة جداً، ومشرعة لطالبيها، رحبة في عطاؤها، ولمن أراد أن يبتغي من جواهر هذا الكنز، فما عليه إلا أن يدخل مدينة العلم من بابها التي توتى منها، ولا يضع بينه وبينها رتاجاً أو حاجزاً: بل يعتمد ويتوكل ويباشر وما محصوله إلا كلّ فائدة، وكلّ ما يبتغيه من منافع له ولغيره.

وقد أسميت الكتاب: (خمسٌ لآلي من كنوز نهج البلاغة)، نسبة 1.

ص: 12

1- من الخطبة رقم 173 الصفحة 351.

للأبواب الخمسة التي بنيتُ عليها وأخذت منها، وتيمّناً بالخمسة أهل الكساء، أولي العلم والفصاحة والبلاغة، الذين أذهب الله عنهم  
الرجس وطهرهم تطهيراً، وما الغاية إلا طمعاً بشفاعتهم، يرغبةً إليهم، وولاءً لهم. وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين وصلاته وسلامه  
على الشرف خلقه وأحبّهم إليه محمّد وآله الطاهرين:

المؤلف

السيد حسين الأعرجي

2010/2/20م

\*\*\*

ص: 13





لم نر في تراثنا العربي والإسلامي كنهج البلاغة حظي باهتمام العلماء والأدباء والباحثين، واسترعى انتباههم، وشحذ همهم للتدقيق والتحقيق والتفسير والبحث.

وهذا السفر الخالد كان ولا زال في متناول الشرح من قبل أهل الاختصاص منذ القرن السادس وحتى يومنا هذا، ومن المتعذر إحصاء شروحاته، وقيل إنَّها وصلت لأكثر من مائتين. وهذا بالطبع لا يشمل شروحات الخطبة الواحدة، أو المقطوعة المنفردة، وإنَّما يعني ما وصل إليه الشارح من شمول الكتاب بأكمله بالشرح والتحقيق والتحليل. وقيل إنَّ أول من بادر لشرحه، هو علي بن ناصر مؤلِّف «أعلام نهج البلاغة» والذي عاصر الشريف الرضي. وقيل الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي، بشرحه الخطبة الشَّقْشِقِيَّة، وقيل بل هو الشريف الرضي نفسه، عندما قام بشرح فقرات من الخطب وفسَّر بعض جملة وغريب كلامه فهو أول شارحين له.

وقيل قطب الدين الراوندي المتوفى سنة 573 هـ، وهو صاحب «منهاج البراعة»، وقيل غير هؤلاء. وليس ما يهَمُّنا هنا استعراض شروحات كتاب نهج البلاغة، وإنَّما جرت الإشارة إليه لتوضيح مدى اهتمام الباحثين قديمهم وحديثهم بهذا الذخر العظيم، والكنز الكبير.

إنّ النص في نهج البلاغة يتمتّع بسلطة فائقة ونادرة تستحوذ على الأذهان، وتستقطب الأفهام، وتستتهي الأذواق الرفيعة، لتسير أغواره، وتحاول استخراج ما يمكن استخراجه من لآلي، وفوائد وعوائد وذخائر متنوعة بتنوّع جمالياته وعطاءاته وذخائره.

ومحتوي النهج لم يكن مقتصرًا على الصور البلاغية الإعجازية التي حُسبت له، حتّى قيل عنه أنّه أعلى وأفخم وأرقى الكلام بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين.

فبلاغة عليّ عليه السلام أنموذج رفيعٌ وسامٍ، يُجسّد قدرة الإمام على ترجمة ممارساته التي من خلالها ينطلق في رؤية العالم الخارجي، وفي سيرته تتوضّح طبيعة عرضه للمعاني والبيان. فالنصّ عنده ينقل أفكاره بصدق وهي تصلّ إلى المتلقّي بشكل فعال ومتحرك، وكأنّها تعيش في ذاته، وتكمن في نظرتّه، ولكنّها تنتظر من يُحرّكها ويُخرجها للظاهر.

وبلاغة عليّ عليه السلام تبلورت في النص الذي يخرج من رحم لغته وقدرته الابتكارية ففي مسائله الفكرية التي يطرحها وبذلك القدرة، نجد أنّها تولد تراءً. وكذلك أفكاره المشتركة المتداولة، فهو عندما يصبغها فكالمّا جاء بها بمعطيات جديدة، وقناعات جديدة: إنّ أفكاره عليه السلام كانت تخترق الحُجب والغطاءات التي تحول بين التّاس وبين فطرتهم، فيقبّلها الآخر ويقنع بها، لأنّ طرحه لها صادقاً في جميع الأوجه وفي كلّ الأزمنة.

إنّ أيّ نصّ في نهج البلاغة لم يكن عبارة عن قطعة بلاغية وحسب، أو لوحة فنيّة ذات جمال لغوي مجرّد، بل هو غاية في الإتقان والتمازج والاتحاد البلاغي الفكري، ففي صورة المطلقة هو آية بالجمال والفتنة،

وفي جوهره ومعطياته هو غاية في العبقرية والعطاء، فالنصّ عنده دائماً يرتقي إلى إصابة المعنى، وإيصال الفكرة التي يناضل من أجلها، ويسعى إلى إيصالها للناس، لذا جاء التنوع في طروحات الإمام، والذي يجده من يتبع نهجه.

فكما أنّ نهج البلاغة مصدر كبير من مصادر البيان واللغة والبلاغة والأدب، فهو كنز من كنوز الفكر والعلوم والمعارف باختلافها: اجتماعية وأخلاقية وأدبية وفلسفية وتاريخية وغيرها، وهو رافد من روافد الإبداع الأدبي واللفظي، وسجل حافل بعلم الكون والخلل والتوحيد والعدل والفلك وغيرها. إنّه بحق موسوعة شاملة، أغنت العقول وطلّاب المعارف بالأفكار، فلا يبتغي الطالب طلبه إلا ويرى أفضلها وأحسنها في هذا الكنز:

لقد الطوت شخصية الإمام عليه السلام على قدرات عظيمة، وإمكانات مبدعة، لم تتوقّر لغيره، ومن خصوصيات بلاغته، أنّ النصّ الذي يأتي به ارتجالاً، كما هو في المكتوب ترى فيه أوجه التكامل والترابط والانسجام وعلو القيمة، وكذلك في طول النصّ وقصره، الثوابت ذاتها موجودة فلا- ملل لو كان النصّ طويلاً، ولا تقصير إن كان نصيراً، يقول ابن أبي الحديد: «إذا تأملته وجدته كلّ ماءً واحداً، ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسد البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية ذلك لانسجام الألفاظ في المقطوعة الواحدة، وعلاقة اللفظة بالأخرى إذ تأخذ بعنق قرينتها، فتجذبها إلى نفسها، لتدلّ عليها بذاتها، كان عليه السلام يستنطق الصفات، فيهب لها القدرة على أن تظهر نفسها بشفافية عالية، ووضوح فهو عندما يتكلّم عن السحاب والطبيعة والطاووس والنملة وغيرها، ممّا يتطلّب الوصف، تجده

في غاية الإبداع اللفظي والبلاغي وغاية الدقة بالملاحظة والإدراك العلمي، وسمو الوعي في الربط بين كل ذلك. فهو كما يقول العقاد: تلميذ ربّه جل وعلا.

يقول جورج جرداق: ويستمر تولّد الأفكار في نهج البلاغة من الأفكار، فإذا أنت منها أمام حشدٍ لا ينتهي وهي مع ذلك لا تتراكم بل تتساوق ويترتب بعضها على بعض.

ففي خطبه المرتجلة معجزات من الأفكار المضبوطة بضابط العقل الحكيم والمنطق القويم. وإثك لتدهش أمام هذا المقدار من الإحكام والصدّ بط العميقين، حين تعلم أنّ عليّاً لم يكن ليعدّ خطبه ولو قبيل إلقائها بلحظات. فهي جائشة في ذهنه منطلقة على لسانه عفو الخاطر لا عنت وإجهاد، كالبرق إذ يلمع ولا- خبر يأخذه أو يعطيه قبل وميضه. ومن ذكاء عليّ المفرط والشامل في نهجه أنّه نوع البحث والوصف فأحكم في كلّ موضوع، ولم يقصر جهده الفكري على واحدٍ من الموضوعات أو سبل البحث، فهو يتحدّث بمنطق الخبير الحكيم عن أحوال الدنيا وشؤون النَّاس، وطبائع الأفراد والجماعات وهو يصف الأرض والسماء ويُسهب في القول بمظاهر الطبيعة الحيّة فيصف خفايا الخلق في النملة والطاووس والجرادة والخفّاش وما إلى ذلك. ويضع للمجتمعات دساتير وللأخلاق قوانين. ويبدع في الحديث عن الكون وروائع الوجود.

إنّ الفكرة التي يطرحها عليٌّ عليه السلام، وفي أيّ ميدان أو موضوع فهي متحرّكة نابضة، تجري في عروقها دماء الحياة. وكما أنّها تُخاطب العقل فهي تُخاطب الشعور بنفس الحرارة والمقدار، لهذا كان الإعجاب حاضراً بآثار أفكاره، لأنّه أثر فكريّ كامل تتوحّد فيه مخاطبة العقل مع مخاطبة الشعور والعاطفة وهذا ما نراه في نهج البلاغة وفي كلّ جزءٍ منه.

إن أسلوب أمير المؤمنين عليه السلام صريحٌ كقلبه وذهنه، صادقٌ كطويته، فلا عجب أن يكون نهجاً للبلاغة. ذلك ما يقرره جورج جرداق.

ونحن حينما نُمعن النظر في أقواله عليه السلام، خاصة فيما يهَمُّ موضوعات أبواب الكتاب، نجد مساحاتٍ واسعة للتأمل والبحث والتدقيق، فحين نقرأ استشهاده عليه السلام بالآيات القرآنية المباركة، نشعر بأن تلك الآيات تُلقى على مسامعنا مرتلة مفسّرة، أو كأنها أنزلت للتوّ على لسان الوحي.

وإذا ما لقينا بيتاً من الشعر يستشهد به لحادثة معينة، أو خبر أو موقف، فإنّ معنى ذلك البيت يتناسق تماماً ويتّحد ويتمازج مع كلماته، وكأنّه جزءٌ منها، بل يُشعرُك أنّ كلامه هو القصيدة الشعرية والبيتُ تنمّة لها.

وإن وجدنا ذكراً للملاحم وأخبار الناس وما سيكون، مما عرفه إياه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، يتحوّل ذلك الخبر إلى حقيقة معاشة ومدروكة، وكأننا كنّا مع الحدث وفي أثنائه، ولم تكن معرفتنا له سماعاً.

وفي احتجاجاته وما كان يسوقه من براهين وحجج ودلائل دامغة، يوحى لكلّ عقل حيّ متحرر، وواثق متفهّم بالحقيقة الكاملة، حتّى أنّه يكون حكماً بذاته، فيحكم له دائماً، ويحكم على غرماه دائماً أيضاً.

وعندما يكون للمرأة ذكرٌ في خطبه ورسائله وحكمه فإنّه يضع الأمور مواضعها فيما يخصّ المرأة، دونما مجاملة أو مواربة فيما يتعرض له من شؤونها إن كان بالعموم وللجنس، أي جنس المرأة. أو للعهد أي لحالاتها الخاصة، وبتعيين تلك الحالة، لمرأةٍ معينة لا بشمول الحالة.

وهكذا في كلّ المجالات والاتجاهات فإنّ كلماته عليه السلام تتفجّر من

ينابيع بعيدة القرار في مادّتها، زاخرة بالحكم والأفكار والمعارف والعلوم. ما يجعل الفرص مواتية للبحث والباحثين، أن يجدوا كلّ ما هو جديد في نهج البلاغة، ويأخذوا من مادّته الغنيّة ما يشفي غلّتهم، ويُسمع نهمهم بكلّ ما هو نافع ومفيد. ويدفعهم لاستخراج الجواهر من منجم الجواهر، من نهج البلاغة، بل كنز البلاغة.

وقد دعوت الله سبحانه أن أكون ممّن وقّفوا لالتقاء جواهره، ومعرفة معادله، وتحصيل فوائده. حتى ظهر هذا الجهد المتواضع في طريق البحث والتدقيق والتحقيق لهذا الكنز، وهو طريقٌ طويل ومشوق، جعلنا الله من سالكيه والعارفين له ولحقوقه وحقوق صاحبه ببركة ولائنا احتمانا به عليه السلام، وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

المؤلف

السيد حسين الأعرجي

ص: 20

بعض ما قاله قاله ابن أبي الحديد:

وأصح من كل ناطق بلغة العرب من الأوّلين والآخرين، إلا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك لأنّ فضيلة الخطيب والكاتب في خطابه تعتمد على أمرين، هما: مفردات الألفاظ ومركّباتها: أمّا المفردات فإنّ تكن سهلةً سلسلةً غير حليّة ولا معقدة، وألفاظه عليه السلام كلّها كذلك.

فأمّا المركّبات فحُسن المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، والشتماله على الصفات التي باعتبارها فضّل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سمّاها المتأخرون البديع، من المقابلة، والمطابقة وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صدره والتّرضيع والتسهيم والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة والتكافؤ والتّسميط والمشاكله.

ولا شبهة أنّ هذه الصفات كلّها موجودة في خطبه وكتبه، ماثولة متفرقة في فُرُش كلامه عليه السلام وليس يوجد هذان الأمران في كلام احدٍ غيره فإن كان قد تعمّلها وأفكر فيها، وأعمل رويته في رصفها ونثرها، فلقد أتى بالعجب العجاب، ووجب أن يكون إمام الناس كلّهم في ذلك، لأنّه ابتكره ولم يُعرف من قبله وإن كان اقتضيتها ابتداءً، وفاضت على

ص: 21



لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهه، من غير روية ولا اعتماد فأعجب وأعجب!

وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلياً والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره.

ويحق ما قال معاوية لمحقن الضبي، لما قال له: جئتك من عند أعيان الناس: يا ابن اللخناء العليّ تقول هذا؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره!

وعلم أنّ تكلف الاستدلال على أنّ الشمس مضيئة يُتعب، وصاحبه منسوبٌ إلى السّفه وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشدّ سفهاً ممّن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها (1). 7.

ص: 22

---

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج6 ص336، 337.

الباب الأول: لطائف الاستنباط من القرآن الكريم في نهج البلاغة

الباب الثاني: الملاحم والفتن في نهج البلاغة

الباب الثالث: الاحتجاج في نهج البلاغة

الباب الرابع: الشعر والأمثال في نهج البلاغة

الباب الخامس: المرأة في نهج البلاغة



لطائف الاستنباط من القرآن الكريم

المدخل: وَصَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزِ، الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ فِي مَيَوتَا مُتَعَدِّدَةً مِنْ خُطْبِهِ وَرِسَائِلِهِ وَكُتُبِهِ وَمِنْ تَوْصِيفَاتِهِ هَذِهِ وَضَمَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمًا لِلْعُلُومِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَأَنْشَأَ مَبَادِيءَ التَّفْسِيرِ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، فَكَمَا أَنَّهُ سَابِقُ مَضْمَارِ كُلِّ عِلْمٍ وَفَضِيلَةٍ، وَمَجْلِي حَلْبَتِهَا، كَذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ، عَنْهُ أُخِذَ، وَمِنْهُ فِرْعٌ، وَكُلٌّ مِنْ بَرَحٍ فِي هَذَا الْمِيدَانِ لَهُ اقْتَفَى رَعْلَى مَقَالَهُ اِحْتَدَى: وَكُتِبَ التَّفْسِيرُ تَنْبِيْكَ بِذَلِكَ، فَأَكْثَرَ مَأْخُودٌ عَنْهُ، وَبَعْضٌ مِنْهُ مَأْخُودٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَا أُخِذَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَضْلُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ تَلْمِيْذُهُ وَخَرِيْجُ مَدْرَسَتِهِ، وَقَدْ عُرِفَ بِمَلَازِمَتِهِ لَهُ وَانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ. وَعِنْدَمَا سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْنَ عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ ابْنِ عَمِّكَ عَلِيٍّ؟ قَالَ: كَالْقَطْرَةِ فِي الْمَحِيْطِ.

ولو نظرنا إلى قوله عليه السلام في ذكر كتاب الله وما يخصُّ الآيات القرآنية من تشريعات تمسُّ حياة المسلم وصلته بالقرآن، وما شرَّع له فيه يقول: [كتاب ربكم فيكم مبيِّنًا لحلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه و متشابهه مفسراً مجمله ومبيِّنًا غوامضه بين مأخوذ في ميثاق علمه وموسَّع على العباد في جهله وبين منبَّت في الكتاب فرضه،

ومعلوم في السنة نسخته وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله مابين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه [1].

حلاله وحرامه: الحلال كالنكاح والحرام كالزني.

فرائضه وفضائله: الفرائض كفريضة الصبح، والفضائل كالنوافل التي يعظم الأجر فيها ولا حرج في التقصير عنها.

ناسخه و منسوخه: الناسخ كقوله: (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) [2]، والمنسوخ كقوله: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [3].

ورخصه وعزائمه: الرخص كقوله تعالى: (فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ) [4]. والعزائم كقوله: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [5].

خاصه وعامه: الخاص كقوله تعالى: (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) [6]، والعام كقوله: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) [7].

عبره وأمثاله: العبر كقصة أصحاب الفيل والأمثال كقوله: (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) [8]..

ص: 26

1- من الخطبة رقم 1 الصفحة 45، 46.

2- سورة التوبة، الآية: 5.

3- سورة البقرة الآية: 256.

4- سورة المائدة، الآية: 3.

5- سورة محمد الآية: 19.

6- سورة الأحزاب الآية: 50.

7- سورة البقرة، الآية: 110.

8- سورة البقرة الآية: 17.

مرسله ومحدوده: المرسل: المطلق والمحدود: المقيد كقوله: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) (1).

محكمه ومتشابهه: محكمه كقوله تعالى: (فَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (2)، والمتشابه كقوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (3).

ثم قسّم عليه السلام الكتاب قسمة ثانية، فقال: إنَّ منه ما لا يسع أحداً جهله كقوله: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (4) ومنه ما يسع الناس جعله كقوله: (كهيعص) (5)، (حم ١ عسق ٢) (6).

ما حكمه مذكور في الكتاب منسوخ في السنة، كقوله تعالى: (فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ) (7) وما حكمه مذكور في السنة منسوخ في الكتاب كصوم يوم عاشوراء. ففي الأول نسخ بما سنّه من رجم الزاني المحصن، والثاني نسخه صوم شهر رمضان الواجب بنصّ الكتاب. واجب بوقته وزائل في مستقبله: مثاله، الواجبات المؤقتة كصلاة الجمعة فإنّها تجب في وقت مخصوص، ويسقط وجوبها في مستقبل ذلك الوقت.

ومباين بين محارمه، كبيرة وصغيرة، فالكبيرة أوعد عليها بالعقاب والصغيرة بالمغفرة.

ص: 27

1- سورة المجادلة، الآية: 3.

2- سورة الإخلاص، الآية: 1.

3- سورة القيامة، الآية: 23.

4- سورة البقرة الآية: 255.

5- سورة مريم، الآية: 1.

6- سورة الشورى، الآيتان: 1 - 2.

7- سورة النساء الآية: 15.

مقبول في أذناه موسّع في إقصاء: كقوله (فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) (1) فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَقْبُولٌ، والكثير منه مرخص في تركه.

وهذه التقسيمات في أحكام القرآن وعلومه ومعارفه، لم تكن معلومة لأحد في مستهل نزول القرآن الكريم، حتى وضع عليه السلام لها قانوناً، وسنّ إليها دستوراً، واحتذى على أثره مَنْ جاء بعده معتمداً على أفكاره وعلمه بأسرار القرآن التي تعلّمها من مدرسة الوحي ومن أستاذه الأوّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو مصداقي لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تركتم فيكم الثقلين...» فهو سلام الله عليه و الأئمة من أولاده الثقل الذي حفظ لها القرآن وعرفنا علومه وأساره.

ويذكر عليه السلام كتاب الله العزيز في موضع آخر فيقول: [عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والرأي النافع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقيام، ولا يزيغ فيستعيب ولا تخلقه كثرة الردّ. وولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق] (2).

وقوله عن القرآن في خطبة أخرى: [ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دافكم، ونظم ما بينكم] (3).

وقوله عليه السلام: [إنّه يُنادي مناد يوم القيامة: ألا إنّ كلّ حارب مبتلي في حوله، وعاقبة عمله، غير حرفة القرآن، فكونوا من حرثه وأتباعه] (4).4.

ص: 28

1- سورة المزمل، الآية: 20.

2- من كلام له رقم 154 الصفحة 312، 313.

3- من خطبة له رقم 159 الجمعة 317.

4- عالم الخطبة رقم 174 الصفحة 354.

وقوله: [فالقُرآن أمرٌ زاجرٌ، وصامتٌ ناطقٌ، حِجَّةٌ لله على خلقه، أخذٌ عليهم ميثاقه، وارتهنٌ عليه أنفسهم] (1).

وقوله: [ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا لطفاً مصابيحاً، وسراجاً لا يخبر توتراً، وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا يضلُّ نهجاً، وشعاعاً لا يظلمُ ضرره، وفرقاناً لا يحمدُ برهانه، وتبياناً لا تُهدمُ أركانه، وشفاءً لا تُخسي أسقامه، وعزاً لا تُهزمُ أنصاره، وحقاً لا تُخذلُ أعوانه ... جعله الله رباً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء] (2):

وقوله عليه السلام: [من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممّن كان يتخذ آيات الله هزواً] (3).

وقوله: [في قرأ القرآن نبأ ما قبلكم، وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم] (4).

الأول: خبرهم في قصص القرآن، والثاني: الخبر عن مصير: الأمور، وهو يعلم سنة الله فيمن قبلنا وبعدنا، والثالث: الأحكام التي نصّ عليها.

وفي النهج توأصيف آخر، في أكثر من موضع للآيات القرآنية، بين فيها عليه السلام أحكام القرآن وعلومه وقواعد تفسيره وأسّس لمن جاء بعده مباحث الكتاب الكريم العديدة ومعارفه التي كان يجهلها غيره، حتى أخذ7.

ص: 29

1- من الخطية رقم 181 الصفحة 371

2- من الخطبة رقم 196 الصفحة 429 - 430.

3- من حكم أمير المؤمنين رقم 229 الصفحة 675.

4- من الحكمة رقم 315 الصفحة 697.



عنه علماء التفسير واللغة والقرآن وبنوا على بنيانه، والأسس التي أرساها سلام الله عليه الله عليه في هذا المجال المهم والجوهري من حياة المسلمين، كما في المجالات الأخرى، والعلوم والمعارف المتعددة الأخرى.

## الآيات القرآنية في نهج البلاغة

(1) في الخطبة رقم - 1 - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم. وهو عليه السلام وإن لم يذكر آية قرآنية بعينها بهذا الخصوص، إلا أنه أخذ من الآيات التي سنذكر بعضها واستدل بها على خلق السماوات والأرض وخلق آدم عليه السلام.

ففي الصفحة - 38 - قوله عليه السلام: [فسوى منه سبع سماوات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعليهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمدٍ يدعمها، ولا دسارٍ ينظمها. ثمّ زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب].

المكفوف: الممنوع من السيلان. يدعمها: يسندها ويحفظها من السقوط. والدسار: المسامير أو الخيوط تُشدُّ بها ألواح السفينة من ليف ونحوه. الثواقب: المنيرة المشرقة.

ففي سورة الأنبياء، الآية 32، قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا).

وفي سورة الرعد، الآية 2 قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا).

وفي سورة لقمان الآية 10 قوله تعالى: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ).

وفي سورة النازعات، الآية 28 قوله تعالى: (رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا 28)، والسمك: السقف وجهة العلو.

وفي سورة الصّافات الآية 6 قوله تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ 6)

وفي سورة الطارق الآية 3 قوله تعالى: (النَّجْمُ النَّاقِبُ) وغيرها من الآيات البيّنات في خلق السماء والأرض. وإذا نظرنا إلى هذه الآيات وإلى قول الإمام عليه السلام، فإنّه من معين واحد لأنّه عليه السلام التلميذ القرآن وتلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنزل عليه الكتاب.

وأما في صفة خلق آدم عليه السلام وبنفس الخطبة رقم 1 في الصفحتين 40 و 41 يقول عليه السلام: [ثمّ جمع - سبحانه - من حزن الأرض و سهلها، وعذبها و سبخها تربةً سنّها بالماء حتّى خلصت ولاطها بالبلّة حتّى لزبت. فنجبل منها صورةً ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول ... ثمّ نفخ فيها من روحه فمثّلت إنساناً].

وقد وردت في القرآن الكريم آيات بيّنات عن خلق آدم عليه السلام وتكوينه، فمرةً بلفظ التراب وأخرى بلفظ الطين. فالسور وآياتها التي تطرقت لللفظ الأوّل: آل عمران 59، الكهف 37، الحج 5، الروم 20، فاطر 11، غافر 67.

أما الآيات التي جاءت باللفظ الثاني: الأنعام 2، الأعراف 12، المؤمنون 12، السجدة 7، الصّافات 11، ص 71 و 76، الإسراء 61.

وقد أشار عليه السلام في خطب أخرى إلى موضوع أصل خلق الإنسان.

ففي الخطبة رقم 161 الصفحة 329 قوله: [بُدئت من سلالَةٍ من طين، ووضعت في قرار مكين].

وفي الخطبة 190 صفحة 395 والمسمّاة بالقاصعة يقول: [ولكنّ الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم،

ونقياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم] فبين العلة من خلق آدم عليه السلام من التراب، وهو واضح وقد استشهد عليه السلام بنفس الخطبة بالآيات 71، 72، 73، 71 من سورة ص وسيأتي ذكرها في حينها.

\*\*\*

(2) في الخطبة رقم 1 أيضاً الصفحة 41، استشهد عليه السلام بالآية الكريمة: (اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) (1) وقد جاءت بنفس اللفظ في كل هذه الآيات.

واستشهاده عليه السلام بهذه الآية بعد قوله: [واستأدى الله سبحانه الملائكية وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم]. أي أنه سبحانه ملات من الملائكة أداء وديعته، ووديعته هي عهده إليهم بقوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ 71 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ 72) (2) وهي الآية التي استشهد بها الشارح «محمد عبده» في نفس الصفحة 41.

\*\*\*

(3) في الخطبة رقم 1 الصفحة 42 استدلل عليه السلام بالآيتين 37 و 38 من سورة الحجر والآيتين 80 و 81 من سورة ص بنفس اللفظ في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ 15) (إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ 81)، ما يستحق به الشيطان في هذا الأمد سخط الله وما تتم به بليّة الشقاء عليه، ويكون الله سبحانه قد أنجز وعده في قوله: (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ). 2.

ص: 32

- 
- 1- سورة البقرة الآية: 34، سورة الاعراف، الآية 11، سورة الإسراء، الآية: 61، سورة الكهف، الآية 50، سورة الإسراء: الآية: 116.
  - 2- سورة ص الآيتان: 71 و 72.

وهو إشارة لقوله عليه السلام: [فأعطاه الله النَّظْرَةَ استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدّة].

\*\*\*

(4) في الخطبة رقم 1 الصفحتان 45 و 46 قوله عليه السلام:

[كتاب ربكم فيكم مبيّناً حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصّه وعامّه وعبره وأمثاله، ومُرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسّراً مجمله، ومبيّناً غوامضه بين مأخوذٍ ميثاق علمه، وموسّعٍ على العباد في جهله، وبين مثبتٍ في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنّة نسخته، وواجب في السنّة أخذه، ومرخّصٍ في الكتاب تركه، وبين واجبٍ بوقته، وزائلٍ في مستقبله، ومباين في محارمه، من كبير أوعده عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه موسّع في أقصاه].

وقد ورد هذا الكلام وشرحه وأمثله في مدخل هذا الباب، ولأهميته وما عزمنا على الأخذ بالآيات الواردة في شرح الشيخ «محمد عبده»، فقد كررناه هنا مع الأمثال والآيات التي ذكرها الشارح كلُّ حسب ما ورد في

كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وتقسيماته لما بيّنه في الكتاب الكريم.

حلاله: كالأكل من الطيبات وحرامه أكل أموال الناس بالباطل.

فرائضه: كالزكاة هي أخت الصلاة، وفضائله: كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها، ولا حرج في التقصير عنها.

ناسخه كقوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) (1)، ومنسوخه كقوله: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي 5.

ص: 33

1- سورة الأنعام، الآية: 145.

ظُفْرٍ (1). ورخصه، كقوله: (فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ) (2)، وعزائمه، كقوله: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) (3).

وخاصه، كقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) (4)، وعامه، كقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) (5).

والعبر: كآيات التي تُخبر عن عذاب الأمم الماضية بعد فسوقها عن الحق والأمثال كقوله: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا) (6).

والمرسل: المطلق. والمحدود: المقيد. والمحكم. كآيات الأحكام. والمتشابه، كقوله: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (7).

والموسع على العباد في جهله: كالحروف المفتحة بها السور، مثل: «الم» و«الر» وغيرها، والمثبت في الكتاب فرضه: كالصلاة، فإنها فُرضت على الذين من قبلنا، غير أن الستة بيّنت كيفيتها والهيئة التي اختصنا الله بها، والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً على عينه. بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله: (فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ) (8). وقد عيّنته الستة بسورة مخصوصة في كل ركعة، ولو بقينا عند مجمل الكتاب لكان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لا مؤاخذاً معه..

ص: 34

- 1- سورة الأنعام، الآية: 146.
- 2- سورة المائدة الآية: 3.
- 3- سورة الأنعام، الآية: 121.
- 4- سورة التحريم، الآية: 1.
- 5- سورة الطلاق، الآية: 1.
- 6- سورة النحل، الآية: 75.
- 7- سورة الفتح، الآية: 10.
- 8- سورة المزمل، الآية: 20.

الواجب بوقته: الزائل في مستقبله، كصوم رمضان، يجب في وقت من السنة ولا يجب بغيره.

ونحن نجد في مواضع أخرى من كلام أمير المؤمنين حول القرآن الكريم فيه تقسيمات وأوصاف وضع فيها الأسس التي بنى عليها مفسرو الآيات القرآنية، ومن مدرسته البليغة أخذوا واقتفوا أثره حتى وصلتنا تلك العلوم القرآنية في التفسير والنزول وأسبابه وغاياته، وتشريعات الآيات ومعانيها وغاياتها من خلال ما وصل إليه علماء التفسير واقتفائهم آثارها عليه السلام.

\*\*\*

(5) من الخطبة 1 الصفحة 46، في ذكر الحج.

يذكر عليه السلام الآية المباركة: (وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (1)، مبيّنًا فلسفة الحج وغاياته وفوائده وعوائده، فيقول: [جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائدين حرماً، فرض حقه وأوجب حجّه، وكتب عليكم وفادته].

والوفادة: الزيارة.

وعن حج بيت الله، جاء في الخبر أنّ في السماء بيتاً يطوفُ به الملائكة طواف البشر بهذا البيت اسمه «الضُّراح» وأنّ هذا البيت تحته على خط مستقيم.

وفي الحديث إنّ آدم لما قضى مناسكه وطاف بالبيت لقيته 7.

ص: 35

الملائكة، فقالت: يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

وفي الحديث: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة. وفيه: أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لا يغفر له.

\*\*\*

(6) في الخطبة رقم 3 الصفحة 56، وهي الخطبة المسماة وهي بالشَّقْشِقِيَّة: والشَّقْشِقِيَّة: شيء يُخرج البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شَّقْشِقَةٍ فأثما شَبَّهوه بالفحل.

يقول: [فلَمَّا نهضتُ بالأمر، نكثت طائفةً، ومَرَقَتْ أخرى، وقَسَطَ آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول] واستشهد عليه السلام بالآية الكريمة: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) (1)).

فالطائفة الناكثة هم أصحاب الجمل، قادهم طلحة والزبير وعائشة لحرب أمير المؤمنين ودارت رحاها في البصرة.

وأما القاسطون فهم أصحاب صفين، قادهم معاوية وعمرو بن العاص، وكانت حربهم في صفين قرب الشام.

وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان وهم الخوارج.

وتسميات هذه الطوائف سمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لأ-مير المؤمنين عليه السلام: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين، والمارقين» (2)..

ص: 36

1- سورة القصص، الآية: 83.

2- أخرجه الحاكم في المستدرک 4674، والطبراني في المعجم الكبير 4049، والأوسط 8433، وأبو يعلى في مسنده 519.

وقول الإمام عليه السلام في الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» (1). والناكثون كونهم نكثوا بيعته عليه السلام من البداية، وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم له الآية الكريمة: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) (2).

\*\*\*

(7) في الصفحة 57، جاء في تفسير «أهل السواد» السواد: العراق، وسمي سوداً لخضرته بالزرع والأشجار. والعرب تسمي الأخضر أسود، واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (مُدْهَامَّتَانِ 64) (3). والمراد هنا الخضرة.

\*\*\*

(8) في الخطبة رقم 4 الصفحتان 59 و 60.

قوله عليه السلام: [ما شككت في الحق من أريته. لم يوجس موسى عليه السلام خيفةً على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال].

يتأسى بموسى عليه السلام، إذ رموه بالخوف، ولم يكن ذلك الخوف على نفسه، وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداخلة على المكلفين عند إلقاء السحرة عصيهم، فخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى، وكذلك الإمام صلوات الله عليه، لا يخاف على نفسه من الأعداء الذين نصبوا له الحبال، وأرصدوا إليه المكائد، وسعّروا عليه نار الحرب، وإنما خاف افتتاح المكلفين بشبههم وتمويهاتهم، فتقوى دول الضلال، وتغلب كلمة 4.

ص: 37

- 
- 1- أخرجه البخاري، كتاب المناقب 2610 ومسلم، باب ذكر الخوارج 1063.
  - 2- سورة الفتح، الآية: 10.
  - 3- سورة الرحمن، الآية: 64.



الجهال، كما كان من نبي الله موسى عليه السلام، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى: واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) (67) (1). وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره.

وقبلها في قوله عليه السلام بنفس الصفحة [اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان] أراد من العجماء: رموزه وإشارات التي تتضمنها هذه الخطبة، فإنها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة له، لكنّها جليّة ظاهرة، واستشهد الشارح بالآية المباركة: (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (37) (2). لهذا سمّاها ذات البيان مع أنّها عجماء.

\*\*\*

(9) من كلام له رقم 16 الصفحتان 69 و 70 لمّا بويح بالمدينة.

قوله: [ألا وإنّ التقوى مطايا ذللّ، حُمل عليها أهلها، وأعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّة. حقّ وباطل ولكلّ أهلّ، فلئن أمر الباطل لتقدّم فعل، ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيء فاقبل].

وقد عبّ الشريف الرضي رضي الله عنه، على هذا الكلام بقوله: إنّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وإنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به، وفيه - مع الحال التي وصفنا - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطّلع فجّها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحقّ، وجرى فيها على عرق، واستشهد بالآية المباركة: (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (43) (3)..

ص: 38

1- سورة طه، الآية: 67.

2- سورة ق، الآية: 37.

3- سورة العنكبوت الآية: 43.

أراد أمير المؤمنين عليه السلام، أن ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين: الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكلّ أهل. فللحق أقوامٌ وللباطل كذلك أقوام. ولئن كثرت الباطل بكثرة أعوانه، فلقد كان منه قديماً لأنّ البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها.

ولئن كان الحقّ قليلاً بقلة أنصاره فلربّما غلبت قلته كثرة الباطل، ولعلّه يقهر الباطل ويمحقه.

وقوله: ولقلّما أدبر شيءٌ فأقبل: كلمة تضجّر، يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم.

\*\*\*

(10) من كلام له رقم 17 الصفحة 72، في صفحة من تصدّى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل.

يقول عليه السلام: [إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجلٌ وكله الله إلى نفسه فهو جائزٌ عن قصد السبيل مشغوفٌ بكلام بدعة ... حمّالٌ خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته].

وهو الضال المولع بتتميق الكلام لتزيين البدعة، الداعي إلى الضلالة، قد غرّر بنفسه وأوردها هلكتها، فهو رهنٌ بخطيئته حاملٌ لخطايا غيره من الذين أضلّهم كما قال تعالى، واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) (1).3.

ص: 39

1- سورة العنكبوت الآية: 13.

وفي الصفحة 74 من نفس الكلام قوله عليه السلام: [يُذَرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيمِ]، ويروى هذا الكلام بصيغة أخرى: [يذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم]، يقول الشارح: وهو أفصح.

والهشيم: ما يبس من النبات وتفتت. وأذرت الريح: أطارته وفرّفته. واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ) (1). فكما أنّ الريح في حمل الهشيم لا تبالي بتمزيقه وتبديده، فكذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ما تفعله الريح بالهشيم.

\*\*\*

(11) من كلام له رقم 18 الصفحة 76، في ذم اختلاف العلماء في الفتيا.

يستدل عليه السلام على اشتمال الكتاب العزيز لجميع الأحكام والتشريعات التي بلغ بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بالآية المباركة: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (2). وذكر بين قوسين قرآنيين: (فيه تبيان كل شيء) وهو من قول الإمام عليه السلام وليس آية قرآنية. إنّما الآية القرآنية بنفس المعنى هي: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (3).

وذكر أنّ الكتاب يُصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لا اختلاف فيه واستشهد بالآية: (... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). (4)

فكان الاختلاف دليلاً على أنّه ليس من عند الله، وما كان من عند الله .

ص: 40

1- سورة الكهف، الآية: 45.

2- سورة الأنعام، الآية: 38.

3- سورة النحل، الآية: 89.

4- سورة النساء، الآية: 82.

وجب أن لا يكون فيه اختلاف. فالقرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تمنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تُكشَفُ الظلمات إلا به.

\*\*\*

«12» من الخطبة رقم 21 الصفحة 79، في موعظة الناس.

قوله عليه السلام: [فإنَّ الغاية أمامكم، وإنَّ وراءكم الساعة تحذوكم، وتخفّفوا تلحقوا، فإنّما يُنتظر بأولكم آخركم].

الغاية: النواب أو العقاب، ويُحتمل أن يكون أراد بالغاية الموت. تحذوكم تسوقكم، وتخفّفوا تلحقوا: الرجل يسعى وهو غير مثقل، فهو يلحق الآذين سبقوه. وينتظر بأولكم آخركم: إنّما يُنتظر ببعث الآذين ماتوا في أول الدهر، مجيء من يموتون في آخره. يقول الشيخ محمد عبده: إنّ الساعة لا ريب فيها، وإنّما ينتظر بالأول مدّة لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون، وينقضي دور الإنسان في هذه الدنيا، ولا يبقى على وجه الأرض أحد، فتكون الساعة بعد هذا. واستشهد بالآية المباركة: (يَوْمَ يُبْعَثُونَ 14)، وقد وردت في أكثر من آية وهي: الأعراف 14، الحجر 36، المؤمنون 100، الشعراء 87، الصافات 144 وص 79.

يقول الشريف الرضي عن كلام أمير المؤمنين: إنّ هذا الكلام لو وُزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله بكلّ كلام، لمال به راجحاً، وبرّز عليه سابقاً، فأما قوله عليه السلام: «تخفّفوا تلحقوا» فما سُمع كلامٌ أقلُّ منه مسموعاً، ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطقها من حكمة.

ص: 41

أَتَقِع: من قولهم نافع: أي ناجع في إطفاء العطش. والنطفة: الماء الصافي.

\*\*\*

«13» في الخطبة رقم 23 الصفحتان 81 و 82، في وصيته بالقرابة والعشيرة.

قوله عليه السلام: [فإنَّ المرء المسلم البريء من الخيانة، ما لم يغش دناءةً تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويُغرى بها لئام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فورةٍ من قداحه، توجب له المغنم، ويُرفعُ بها عنه المغرم].

الفالج: الضافر. والياسر: المقامر الذي يلعب بقداح الميسر، وفي الكلام تقديم وتأخير ونسقه: «كالياسر الفالج»، كقوله تعالى، واستشهد الشارح بالآية: (وَعَرَّابِيْبُ سُودٌ) (27) (1)

وفي الصفحة 82 من نفس الخطبة رقم 23، ورد في الشرح: وقوله: [فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه] يُريد عليه السلام: احذروا الحسد فإنَّ مبعثه انتقاص صَدَنع الله تعالى، واستهجان بعض أفعاله، وقد حذّرنا سبحانه الجرأة على عظمته فقال: واستشهد الشارح بالآيتين: ( ... وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ 40 ... وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ 41) (2). وكثيرة الآيات الدالة على ذلك.

ومصدر كلامه عليه السلام، النهي عن الحسد، وهو من أقيح الأخلاق .

ص: 42

---

1- سورة فاطر، الآية: 27.

2- سورة البقرة، الآيتان: 40 - 41.

المذمومة. وروي عن ابن مسعود أنّ النبي عليه السلام قال: ألا لا تعادوا نعم الله. قيل: يا رسول الله، ومن الذي يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس (1).

قيل لأرسطو: ما بال الحسود أشدّ غمّاً من المكروب؟ قال: لأنّه يأخذ نصيبه من عموم الدنيا، ويُضاف إلى ذلك غمّه بسرور الناس.

ومن الكلام المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن الحسد: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

وقال أبو تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طويت، أتاح له لسان حسود وتذاكر قومٍ من ظرفاء البصرة الحسد، فقال رجل منهم: إنّ الناس ربّما حسدوا على الصّلب، فأنكروا عليه ذلك، ثمّ جاءهم بعد أيّام، فقال: إنّ الخليفة قد أمر بصلب الأحنف بن قيس، ومالك بن مسمع، وحمدان الحجام، فقالوا: هذا الخبيث يُصلب مع هذين الرئيسين! فقال: ألم أقل إنّ الناس يحسدون على الصّلب.

\*\*\*

«14» في الخطبة رقم 27 الصفحة 89 وما بعدها، الحثّ على الجهاد وذمّ القاعدين عنه.

قوله عليه السلام: [فمن تركه - أي الجهاد - ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، وديّث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد].

ديّث: دُلّل. القماء: الصغر. والأسداد: جمع سد، يُريد الحجب.

ص: 43

1- ذكره القرطبي في تفسيره «251/5».

التي تحول دون البصيرة والرشاد، واستشهد الشارح بالآية: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (1).

ويروى [وضرب على قلبه بالإسهاب] وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة.

\*\*\*

«15» من الخطبة رقم 28 الصفحة 93 وما تلاها، في الحث على التزود للآخرة.

قوله عليه السلام: [ألا وإنّ اليوم المضممار وغداً السباق، والسبقة الجنّة، والغاية النار... ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة]. يقول الشريف الرضي: لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، ويضطرُّ إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الاتعاض والازدجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام: «ألا وإنّ اليوم المضممار وغداً السباق والسبقة الجنّة والغاية النار». فإنّ فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرّاً عجيباً، ومعنى لطيفاً، فلم يقل: «السبقة النار» كما قال: «السبقة الجنّة» لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمرٍ محبوب، وغرض مطلوب، فقال: «الغاية النار» لأنّ الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها، ومن يسره ذلك، فهي بذلك كالمصير والمآل واستشهد الرضي بالآية الكريمة: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) (2).

ص: 44

1- سورة يس الآية: 9.

2- سورة إبراهيم الآية: 30.

فلم يقل سبقتكم إلى النار.

والمضمار: الموضع والزمن الذي تُضمَر فيه الخيل للسباق، وتضمير الخيل: ربطها وإكثار علفها حتى تسمن، ثم يُقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل. وإنما يُفعل ذلك بالخيل، لتُخَفَّف وتسرع في الجري عند السباق، كما إننا نعمل في الدنيا لنيل السعادة والفوز في الآخرة.

والسبقة: الغاية، ومن معانيها: الرهن الذي يوضع في السباق، ولكن الشريف الرضي فسرها بالغاية المحبوبة، أو المرّة من السبق.

أما قوله: فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة: أي اعملوا في السراء كما تعملون في الضراء، لا تصرفكم النعم عن خشية الله والخوف منه.

وما يناسب هذا المأخذ من مواعظ الصالحين يرحمهم الله، أن أبا حازم الأعرج، وهو من الصالحين عاش أيام بني أمية. لما قربت وفاة عبد الملك رأى غسلاً يلوي بيده ثوباً، فقال عبد الملك: وددت أنني كنت غسلاً مثل هذا، أعيش بما اكتسب يوماً فيوماً. فذكر ذلك لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه

وباع عتبة بن عبد الله بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً، فتصدق بها، فقيل له: لو جعلت هذا المال أو بعضه ذخراً لأولادك قال: بل أجعله ذخراً لي وأجعل الله تعالى ذخراً لولدي.

وقيل لزاهد: ما أصبرك على الوحدة! قال: كلاً أنا أجالس ربي، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإن شئت أن أناجيه صلّيت.



وقال الرشيد للفضل بن عياض: ما أزهك! قال: أنت يا هارون أزهد مني، لأنني زهدت في دنيا فانية، وزهدت في آخرة باقية.

وقيل لحاتم الأصم: علام بنيت أمرك؟ قال: على أربع خصال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلم أهتم به، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني بعين الله في كل حال، فاستحييت منه.

\*\*\*

«16» من الخطبة 32 الصفحة 99، في جور الزمان.

قوله عليه السلام: [أيها الناس! إنا قد أصبحنا في دهرٍ عنود، وزمن كنود].

العنود: الجائر، أي جار عن الطريق وعدل.

والكنود: الكفور، ويروى: «وزمن شديد» أي بخيل. واستشهد الشارح بالآية: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ 8) (1)، أي أن الإنسان لأجل حبه للمال بخيل.

\*\*\*

«17» من الخطبة 34 الصفحة 105، في استنفار الناس إلى أهل الشام.

قوله عليه السلام: [إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة].

دوران الأعين: اضطرابها من الجزع. ومن الموت في غمره: أي .

ص: 46

شدة، يُشير عليه السلام إلى قوله تعالى، واستشهد الشارح بالآية: (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) (1).

وكانت هذه الخطبة لأمير المؤمنين بعد رجوعه من حرب الخوارج، بعد أن طلب منهم التوجه من فورهم إلى عدوهم معاوية، فتقاعسوا وتقاعدوا واحتجوا عليه بكثرة الجراح مرةً، وبالبرد مرة أخرى فلم ينفروا، فخطبهم بهذه الخطبة وأولها [أف لكم! لقد سئمت عتابكم...] إلى آخر كلامه عليه السلام، ولما كان من تلكؤ أصحابه في المسير إلى الشام، وتحججهم بسائر الحجج الواهية، من شدة البرد، وكثرة الجراح، وأخذ الاستعداد، وغيره. روى علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني، أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أعطِ هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلفه وفراره. وإثما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال ويستميل ضعاف النفوس وطلاب الدنيا. فقال لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور! لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإثما هي أموالهم! وسكت طويلاً واجماً، ثم قال: الأمر أسرع من ذلك، قالها ثلاثاً. ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك والسلاطين الذين يُصنعون بالأموال ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ أنفسهم، فهو ليس من أهل الدنيا، وإثما كان رجلاً متألهاً صاحب حق، لا يريد بالله رسوله بدلاً.

\*\*\*

ص: 47

«18» من كلام له رقم 65 الصفحة 140، قال لأصحابه في بعض أيام صفين.

يشجعهم على قتال عدوهم ويحدّتهم التقاعس عن الجهاد، ومن بعض ما قاله عليه السلام: [فإنّ الشيطان كامنٌ في كسره قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً، حتى ينجلي لكم عمود الحقّ] وذكر الآية المباركة: (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35) (1)).

كسره: شقّه الأسفل، وهو كناية عن الجوانب التي يفرّ إليها المنهزمون. فالشيطان الكامن في الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع، فإنّ جبنتم مدّ يده للوثبة وإنّ شجعتم أخّر للنكوص والهزيمة رجله، وهذا من باب المجاز، أي إنّ أتم صدقتم عدوكم القتال فرّ عنكم إبليس بفرار عدوكم، وإنّ تخاذلتم وتواكلتم طمع فيكم وأقدم عليكم، ويحتمل معنّى آخر بالشيطان، وهو الأظهر ذلك أنّه يعني به معاوية، للقريظة التي تؤيّد، وهي قوله: قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، أي إنّ جبنتم وثب، وإنّ شجعتم نكص، أي تأخّر وفرّ.

والصمد: القصد، أي فاثبتوا على قصدكم.

لن يترككم: لن ينقصكم شيئاً من جزائها.

وفي كثير من الروايات إنّ هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشيتّه ليلة الهريز بصفين. وفي رواية نصر بن مزاحم، أنّه خطب به أول أيام اللقاء بحرب صفين، وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين هـ (2)..

ص: 48

1- سورة محمد الآية: 35

2- كتاب وقعة صفين، ص 258.

ومن بعض أحوال صفّين، قال نصر بن مزاحم: حدثني يحيى بن يعلى، قال: حدثني صباح المزني عن الحارث بن حصن، عن زيد بن أبي رجاء، عن أسماء بن حكيم الفزاري قال كُنّا بصفّين مع عليّ عليه السلام، تحت راية عمار بن ياسر رضي الله عنه، ارتفاح الضحى، إذ أقبل رجل يستقري الصفّ حتى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمّار بن ياسر؟ فقال عمّار: أنا عمّار، قال أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال إنّ لي إليك حاجة أفأنطق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك، أيهما شئت، قال: لا بل علانية، قال: فأنطق قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه ولا أشكّ في ضلالة هؤلاء القوم، وأنّهم على الباطل، فلم أزل على ذلك، حتّى ليّليتي هذه فإني رأيت في منامي منادياً تقدّم فأذن وشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونادى بالصلاة ونادى مناديهم مثل ذلك، ثمّ أقيمت الصلاة، فصلّينا صلاة واحدة، وتلوّنا كتاباً واحداً، ودعوّنا دعوةً واحدة، فأدركني الشكّ في ليّليتي هذه، فبتُّ بليّلة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، حتّى أصبحت فأتيّت أمير المؤمنين، فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمّار بن ياسر؟ قلت: لا، قال: فالفقه، فانظر ماذا يقول لك عمّار فاتّبعه فجنّتك لذلك، فقال عمّار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي! فإتّها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرّات وهذه الرابعة فما هي بخيرهنّ، ولا أبرهنّ، بل هي شرهنّ وأفجرهنّ. أشهدتّ بدرّاً واحداً ويوم حنين، أو شهدها أبّ لك فيخبرك عنها؟ قال: لا، قال: فإنّ مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وأنّ مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، فهل ترى هذا العسكر ومنّ فيه! والله لو ددّت أنّ جميع منّ فيه ممّن أقبل مع معاوية يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً، فقطّعتّه وذبحته. والله

لدمأؤهم جميعاً أحلّ من دم عصفور، أترى دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال، قال فإنّهم حلال كذلك، أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي، قال: فاختر أيّ ذلك أحببت.

فانصرف الرجل، فدعاه عمّار ثمّ قال: أما إنّهم سيضربونكم بأسيايفهم حتّى يرتاب المبطلون منكم، فيقولون: لو لم يكونوا على حقّ ما أظهرنا علينا والله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيايفهم حتّى يبلغونا سدّ عفّات هجر لعلمنا أنّا على حقّ وأنّهم على باطل.

وأبلغ جواب لمن شكّ بكفر من حارب أمير المؤمنين بصقّين قول أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قال له: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة، والرسول واحد والصلاة واحدة والحجّ واحد، فماذا تُسمّيهم؟ فقال له عليه السلام: سمّهم بما سمّاهم الله بكتابه، أما سمعت الله تعالى يقول: (تَبْلُكَ الرَّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) - إلى قوله - : ( ... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ) (1)، فلما وقع الاختلاف، كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئة الله وإرادته.

\*\*\*

«19» من الخطبة 70 الصفحة 145، في أهل العراق.

قوله عليه السلام: [ولقد بلغني أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله! ... من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به. أم على نبيه؟ فأنا أوّل .

ص: 50

1- سورة البقرة الآية: 253.

من صدقه كلاً والله لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها ويلمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء، ولتعلمن نبأ بعد حين].

سيأتي الكلام عن هذا المقطع من الخطبة في باب الملاحم والفتن، ولكن ما يهتّمنا في التعرض إليه هنا هو ذكر الآية: (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ 88) (1)، دون أن توضع بين سهمين قرآنيين للدلالة على أنها آية قرآنية، وليست من كلام الإمام عليه السلام. وواضح أنه عليه السلام استشهد بها في آخر كلامه، وجاءت مسترسلة مع الخطبة، ولم يُشر إليها أنها آية قرآنية، فأحببنا التنويه عنها، لاعتمادنا ذكر جميع الآيات القرآنية، إن كان في الأصل في الشرح، أو في تعقيبات الشريف الرضي، بحسب سياسة الكتاب.

(20) من الخطبة 71 الصفحة 148، في بيان صفات الله وصفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبيعتك بالحق، ورسولك إلى الخلق].

العلم المخزون: ما اختص الله به من شاء من عباده، ممّا لا يتعلق بالأحكام الشرعية، كالملاحم وأحكام الآخرة وغير ذلك، فالأمور الشرعية لا يجوز أن تُحجز عن المكلفين، لاحتياجهم إليها.

شهادتك: شاهدك على الناس كما قال تعالى، واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً 41) (2)

\*\*\*

ص: 51

1- سورة ص، الآية: 88.

2- سيرة النساء، الآية: 41.

«21» من خطبة له رقم 75 الصفحة 152، في اتعاظ الناس.

يقول عليه السلام: [ رحم الله امرأ سمع حكماً فوعى، ودُعِيَ إلى رشادٍ فدنا ].

الحكم هنا: الحكمة قال تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا 12) (1) وهي الآية التي استشهد بها الشارح.

ووعى: حفظ وفهم المراد، واعتبر بما سمع وعمل عليه.

دنا: قرب من الرشاد الذي دُعِيَ إليه.

\*\*\*

«22» من خطبة له رقم 82 الصفحتان 164 و 165 وهي من الخطب العجيبة، وتُسمى الغراء.

منها قوله: [ عبادٌ مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومقبوضون احتضاراً، ومضمّنون أجداثاً، وكائنون رفاتاً، ومبعوثون أفراداً، ومدِينون جزاءً، ومميّزون حساباً ].

مربوبون مملوكون، والاقتسار، الغلبة والقهر، يعني أنّهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه، فهم مملوكون له بسطوة عزّه.

واحتضر: أي حضرته الملائكة تقبض روحه. وكانت العرب تقول لبن محتضر: أي فاسد، يعنون أنّ الجنّ حضرته، يُقال: «اللبن محتضر فغطّ إناءك». والأجداث: جمع جدث وهو القبر. ومضمّنون، مجعولون في ضمنها والرفات: الحطام. ومبعوثون أفراداً: أي كلّ يسأل عن نفسه لا يلتفت لغيره.

ص: 52

1- سورة مريم، الآية: 12.

ومدينون: مجزيون والدين: الجزاء، واستشهد الشارح بالآية المباركة: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ 4) (1).

مميزون حساباً: كلُّ يحاسب على عمله هو منفصلاً عمّن سواه، واستشهد الشارح بالآية: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (2)

\*\*\*

(23) من الخطبة 84 الصفحة 177، في المواعظ.

قوله عليه السلام: [ وانقطعت منكم علائق الأُمْنِيَّةِ، ودهمتكم مُفْطَعَاتُ الأُمُورِ والسِّيَاقَةُ إِلَى الوَرْدِ المورود، و(كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)(3).

مفطعات الأمور: شدائدها، ويُقال أفضع الرجل للمجهول إذا نزلت به الشدّة. الورد المورود: المراد به الموت أو المحشر. واستشهد عليه السلام بالآية المباركة المذكورة ولم توضع بين قوسين قرآنيين وقد فسرها بقوله: سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

وجاء في أوّل هذه الخطبة ما يرجح ذكره هنا لاحتوائه - على قصره - ثماني مسائل من مسائل التوحيد.

يقول عليه السلام: [ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأوّل لا شيء قبله، والآخِر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة. ولا تُعقد القلوب منه على كَيْفِيَّةٍ، ولا تنالهُ التَّجزئةُ والتَّبعضُ ولا تحيطُ به الانتصار والقلوب ] 1.

ص: 53

1- سورة الفاتحة الآية 4.

2- سورة فاطر، الآية: 18.

3- سورة ق، الآية: 21.



ومسائل التوحيد الثماني في هذا المقطع هي، وكما يذكرها ابن أبي الحديد:

الأولى: أنه لا ثاني له سبحانه في الإلهية. والثانية: أنه قديم لا أول له. فإن قلت: ليس يدلُّ كلامه على القدم، لأنه قال: «الأول لا شيء قبله» فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثاً وليس قبله شيء، لأنه محدث عن عدم والعدم ليس بشيء! قلت: إذا كان محدثاً كان له محدث، فكان ذلك المحدث قبله، فثبت أنه متى صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديماً. والثالثة: أنه أبدى لا انتهاء ولا انقضاء لذاته. والرابعة: نفى الصفات عنه أي المعاني. وأي المعاني. والخامسة: نفى كونه مكيفاً، لأنَّ كيف إنما يُسأل بها عن ذوي الهيئات والأشكال وهو منزّه عنها. والسادسة: أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم ولا عرض. والسابعة: أنه لا يرى ولا يُدرك. والثامنة أن ماهيته غير معلومة، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين (1).

واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الإلهية الشريفة، ما عرفت إلا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوّروه لذكروه. وهذه الفضيلة من أعظم وأشرف الفضائل.

\*\*\*

«24» من الخطبة 85 الصفحة 178، في عظة الناس وأمرهم بالتقوى.

ص: 54

---

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي، الحديد الجزء السادس ص 379، 380.

يقول عليه السلام: [فإنَّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سُدىً، ولم يدعكم في جهالةٍ ولا عمى. قد سمى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم، وأنزل عليكم (الكتابَ تبييناً لكلِّ شيءٍ)] [ يذكر عليه السلام الآية المباركة في سورة النحل 89. وإن لم توضع بين قوسين قرآنيين في النسخة.

سمى آثاركم: بين لكم أعمالكم خيرها وشرها.

وورد بمعنى آخر: أي قد أعلى مآثركم، أي رفع منازلكم إن أظعتم.

ولما كان الغرض استحصال ما يمكن استحصاله من الدرر وفوائد كلامه عليه السلام، نذكر بعض ما جاء في هذه الخطبة عن الكذب، ففي الصفحة 179 يقول عليه السلام: [جانبوا الكذب فإنه مجانيب للإيمان. الصادق على شرفٍ منجاةٍ وكرامةٍ والكاذب على شفا مهواةٍ ومهانةٍ].

والشرف: المكان العالي. والمهواة: موضع السقوط. والمهانة: الحقارة.

جاء في ذم الكذب: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل، من نتن ما جاء به (1).

وعنه عليه السلام: إياكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار وإنَّ الرجل ليكذب ويتحرى الكذب، فيكتب عند الله كاذباً، وعليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البر ليهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق ويتحرى الصدق، فيكتب عند الله صادقاً (2)..

ص: 55

1- أخرجه الترمذي في كتاب «البر والصلة»، باب الصدق والكذب.

2- أخرجه أبو داود في كتاب «الأدب» باب التشديد في الكذب.

وكان يُقال: أمران لا يكاد أحدهما ينفك عن الكذب. كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.

ومن الحكمة القديمة: إنما فضل الناطق على الأخرس بالنطق، وزين المنطق الصدق، فالكاذب شرٌّ من الأخرس.

وقيل في تفسير قوله تعالى: (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (1)، هي في الكذابين، فالويل لكل كاذب.

ومن كلام بعض الصالحين: لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تكرماً.

وقيل لكاذب: أصدقت مرّة؟ قال: لولا خوفي أن أصدق لقلت لا!

وقال بعض الصالحين: لو صحبني رجل، وقال لي: اشترط عليّ خصلة واحدة لقلت: لا تكذب.

وكان يُقال: خصلتان لا تجتمعان الكذب والمروءة.

وقال بعض الشعراء:

لا يكذبُ المرءُ إلا من مهانته \*\*\* أو عادة السوء أو من قلة الأدب

وكان يُقال: من شرف الصدق أن صاحبه يُصدّق على عدوّه، ومن دناءة الكذب أن صاحبه يُكذّب وإن كان صادقاً.

ومثله قولهم: من عُرف بالصدق جاز كذبه، ومن عُرف بالكذب لم يُجز صدقه.

وقد أحببنا ذكر هذه النكت النافعة، وحيث ما يرد من هذا القبيل نوره لجني الفائدة، وأخذ العبرة.

\*\*\*

ص: 56

(25) من الخطبة 89 الصفحة 187، وهي في بعض صفات الخالق.

قوله عليه السلام: [من توكل عليه كفاه ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاها].

جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين، إظهاراً لتحقيق الجزاء على العمل، واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (1).

\*\*\*

(26) من الخطبة رقم 90 الصفحة 191، وتُعرف بخطبة الأشباح، وهي من جلائل خطبه.

قوله عليه السلام: [وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يُقيمها بمسك قدرته، ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته].

المسك: ما به يُمسك الشيء، كالملاك ما به يُملك. واستشهد الشارح بالآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) (2).

وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات إلى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به.

وفي نفس الخطبة في الصفحتين 191 و 192.

ص: 57

---

1- سورة البقرة، الآية: 245.

2- سورة فاطر، الآية: 41.

قوله عليه السلام: [ وأشهد أنّ من شَبَّهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حِقاقِ مفاصلهم المحتجة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ لك، وكأنّه لم يسمع تبرُّؤ التّابعين من المتبوعين إذ يقولون] واستشهد عليه السلام بقوله تعالى: (تتألّه إن كُنّا لفي ضلالٍ مُبينٍ 97 إذ نُسويكُم برَبِّ العالَمينَ 98) (1).

الحِقاق: جمع حُق وهو رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد، ما يقويها على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها - في تدبير حكمة الله - في خلقة الأبدان.

وغيب الضمير: أي لم يحكم بيقينه في معرفة الله سبحانه بما هو أهل له.

والمعنى: أنّ من شبّه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة، والمفاصل المتلاحمة، لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين، فإنّه لا ندّ له ولا مثيل. وقد أكّد ذلك بالآيات من القرآن الكريم، والتي حكى سبحانه حكاية قول الكفار في النار، وهم التّابعون للمتبوعين: لقد كنا ضالين إذ سويناكم بالله وجعلناكم مثله، وهي حكاية منكر على من زعم ذلك.

وفي نفس الخطبة (في صفة السماء) الصفحتان 194 و 195.

يذكر الشارح الآية مستشهداً بها: (أولم ير الذين كفروا أنّ السّمّوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) (2).

لقوله عليه السلام: [ونظّم بلا تعليق رهوات فرجها، ولاحم صدوع انفراجها، ووشج بينها وبين أزواجها].

ص: 58

1- سورة الشعراء، الآيتان: 97 و 98.

2- سورة الأنبياء، الآية: 30.

رهوات: جمع رهوة وهو المكان المرتفع ويُقال للمنخفض أيضاً وهو من الأضداد. والفرج: جمع فرجة، وهي المكان الخالي. لاجم: الصق. والصدع: الشق. وشَّح بالتشديد: شَبَّك. تقول بيننا رحم واشجة، أي مشتبكة.

والمعنى: أنه سبحانه لاجم ما كان في الجرم من صدع وأصلحه وسوّاه، وذلك كما كان في بدء خلقه الأرض وانفصالها عن الأجرام السماوية وانفراج الأجرام عنها، وذكر الآية المباركة.

ومن الخطبة نفسها (في صفة الملائكة عليهم السلام) الصفحة 196.

قوله عليه السلام: [أولي أجنحة تُسَبِّحُ جلال عزّته، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنّهم يخلقون شيئاً معه ممّا انفرد به بل عبادٌ مكرمون] ويتمّ القول بذكر الآية المباركة: (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (1).

وفي نسخ أخرى من النهج، وضعت (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ 26) داخل القوس القرآني، فأصبحت آيتين هما 26 و 27 من سورة الأنبياء، وهو الصحيح.

أولي أجنحة: من الألفاظ القرآنية. لا ينتحلون وما بعده: لا يدعون لأنفسهم الإلهية، أو يدعون خلق شيءٍ ممّا انفرد به وأمّا الآيات: تعني أنّهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله، وكما أنّ قولهم تابع لقوله، كذلك عملهم فرعٌ على أمره سبحانه. فهم لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به.

\*\*\*

ص: 59

1- سورة الأنبياء، الآية: 27.

«27» في الخطبة رقم 102 الصفحة 226، في التزهد في الدنيا.

قوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يَعْزَمْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ وَذَكَرَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) (1)».

أخبر عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ لَا يَظْلَمُ، عِبَادَهُ فَهُوَ عَادِلٌ، لَكِنَّهُ يَبْتَلِي وَيَخْتَبِرُ، وَتَلَا الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتْرِكُ الْعَبْدَ وَاخْتِيَارَهُ امْتِحَانًا لَهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ أُثِيبَ، وَمَنْ أَسَاءَ أَخَذَ جَزَاءَ إِسَاءَتِهِ. لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمَخْلَصُ مِنَ الْمَرِيبِ فَتَكُونَ لِلَّهِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ.

وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا مِنَ الْخُطْبَةِ الْغَرَضَ فِي اسْتِنْبَاطِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَنْفَةَ الذِّكْرِ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَيُّ الْخُطْبَةِ نَكْتًا وَمَعَانٍ جَدِيدَةٍ بِالْأَخْذِ وَالتَّبَعِ، تَهْمُ التَّوَضُّعِ، وَكَذَلِكَ إِفْشَاءُ السَّرِّ.

يقول عليه السلام: [ وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُؤْمَةٍ، إِنَّ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ أَوْلَيْتُكَ مَصَابِيحَ الْهُدَى وَأَعْلَامَ السَّرِّ لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ، وَلَا الْمَذَابِيحِ الْبُدْرُ، أَوْلَيْتُكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَّاءَ نَقْمَتِهِ ] .

يقول الرضي: أراد بالنومة. الخامل الذكر القليل الشر. والمساييح: جمع مسياح، وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم. والمذاييح: جمع مذياع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها و البُدْر: جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقته.

ص: 60

1- سورة المؤمنون، الآية: 30.

ويقول ابن أبي الحديد: البذر: جمع بذور مثل صَبور وَصُبْر، وهو الذي يُذيع الأسرار وليس كما قال الرضي رحمه الله، فقد يكون الإنسان بذوراً وإن لم يكثر سفهه ولم يلغ منطقته.

ومما جاء في التواضع:

الحديث المرفوع: مَنْ تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر على الله وضعه (1).

ويقال: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إنَّما كلمتك لأنَّ في أخلاقك خُلُقاً أحبَّه، وهو التواضع.

ورأى محمد بن واسع ابنه يمشي الخُيلاء، فناداه ويلك! أتمشي هذه المشية وأبوك أبوك وأمك أمك! أمَّا أمك فأمة ابتعتها بمائة درهم وأمَّا أبوك فلا كثر الله في الناس مثله.

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يُؤبَّه به لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه (2).

وقال الأحنف: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر!

وقال عمر لابنه عبد الله: التمس الرفعة بالتواضع، والشرف بالدين والعفو من الله بالعفو عن الناس، وإيَّاك والخُيلاء فتضع من نفسك. ولا تحقرنَّ أحداً فإنَّك لا تدري لعلَّ من تزدرية عينك أقرب إلى الله وسيلةً منك.

ص: 61

1- أخرجه أحمد في مسنده 2724.

2- الهيثمي في «مجمع الزوائد» 265/10.



وجاء عن إفشاء السرِّ وإذاعته:

قوله سبحانه: (وَلَا تُطْع كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ 10 هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ 11) (1).

وفي الحديث المرفوع: من أكل بأخيه أكلة أطعمه الله مثلها من نار جهنم. وهو أن يسعى بأخيه، ويجرُّ نفعاً بسعايته.

وعن الجنيد قوله: ستر ما عاينت سنُّ من إشاعة ما ظننت وكان يُقال: من نمَّ إليك نمَّ عليك.

وقالوا في السعاة: يكفيك أن الصدق محمود إلا منهم، وإنَّ أصدقهم أخبثهم.

وشى واشٍ برجل إلى الاسكندر، فقال له: أتحبُّ أن أقبل منك ما قلت فيه، على أن أقبل منه ما قال فيك؟ قال: لا، قال: فكفَّ عن الشرِّ يكفَّ عنك.

قال مصعب بن الزبير للأحنف في وشاية بلغته عنه، وأنكرها الأحنف: أخبرني بذلك الثقة، فقال الأحنف: كلاً إنَّ الثقة لا ينم.

الصالح بن عبدالقدوس:

من يخبرك بشتمِّ عن أخٍ \*\*\* فهو الشاتم، لا من شتمك

ذاك شيءٌ لم يواجهك به \*\*\* إنما اللومُ على من أعلمك

كيف لم ينصرك إنَّ كان أخاً \*\*\* ذا حفاظٍ عند من قد ظلّمك!.

ص: 62

«28» من الخطبة 110 الصفحتان 243 و 244، في التحذير من الدنيا.

قوله عليه السلام: [فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حُفَّت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة ... غرارة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة أكالة غوالة، لا تعدو - إذا تناهت إلى أمنيّة أهل الرّغبة فيها والرّضاء بها - أن تكون كما قال الله تعالى ...] واستشهد بالآية الشريفة: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا 45) (1)

خضرة: ناضرة. وحفّت بالشهوات، كأنّ الشهوات مستديرة حولها. تحببت بالعاجلة: كونها لذّة عاجلة. وراقت بالقليل: أعجبت أهلها بقليل ليس دائم. وتحلّت: تزيتت. والحبرة: السرور. حائلة: متغيّرة. ونافذة:

فانية. بائدة: هالكة. أكالة: قتالة. وغوالة: مهلكة.

ثم قال: إنّها إذا تناهت إلى أمنيّة أهل الرّغبة فيها لا تتجاوز أن تكون كما وصفها الله تعالى في قوله كماءٍ ... إلخ.

وفي الصفحة 246 من نفس الخطبة:

قوله عليه السلام: [فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها وظاعنون عنها، وأتعظو فيها بالذّين قالوا ...] واستشهد عليه السلام بالآية: (مَنْ أَشَدُّ مَنًا قُوَّةً) (2). وهو واضح المعنى.

وفي الصفحة 247 بذات الخطبة. 5.

ص: 63

1- سورة الكهف، الآية: 45.

2- سورة فصلت الآية: 15.

قوله عليه السلام: [فجاؤوها كما فارقوها، حفاةً عراةً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال سبحانه]، واستشهد بالآية الشريفة: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ 104) (1).

والمعنى: جاؤوا إلى الأرض بعدما فارقوها بداية خلقتهم، فهم خلقوا منها كما قال تعالى: واستشهد الشارح بالآية: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ (2)). إلى بطنها عند الموت.

وظعنوا عنها: إشارة إلى أن الخلق بعد الموت تذهب أرواحهم إما إلى نعيم أو إلى شقاء. أو يأتي بمعنى الظعن عنها وهو البعث يوم القيامة ومفارقة الأرض، والذهاب إما إلى جنة أو نار كما يرشد الاستشهاد بالآية الكريمة.

ومما قاله الشعراء عن القبور والموت.

قول البحري يُخاطب الأرض:

بنا أنت من مجفوة لم تؤبِّ \*\*\* ومهجورة في هجرها لم تُعتبِ

ونازحة والدار منها قريبة \*\*\* وما قرب ثاؤ في التراب مغيبِ

وقول الرضي رحمه الله في مرثية له:

أعزُّ عليَّ بأن نزلت بمنزلٍ \*\*\* متشابه الأمجاد والأوغادِ

في عصبية جُنُبوا إلى آجالهم \*\*\* والدهر يُعجلهم عن الإزوادِ

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم \*\*\* من غير أطناب ولا أوتادِ 5.

ص: 64

1- سورة الأنبياء، الآية: 104.

2- سورة طه، الآية: 55.

رَكْبٌ أَنَاخُوا لَا يُرْجَى مِنْهُمْ \*\*\* قَصْدٌ لَاتِهَامٍ وَلَا إِنْجَادٍ

كَرَهُوا النُّزُولَ فَأَنْزَلْتَهُمْ وَقَعَةٌ \*\*\* لِلدَّهْرِ نَازِلَةٌ بِكُلِّ مَقَادٍ

فَتَهَا فِتْوَا عَنْ رَحْلِ كُلِّ مَذَلِّ \*\*\* وَتَطَاوَحُوا عَنْ سَرِحِ كُلِّ جَوَادٍ

بَادُونَ فِي صُورِ الْجَمِيعِ وَإِنَّهُمْ \*\*\* مَتَفَرِّدُونَ تَفَرَّدَ الْآحَادِ

وَلَهُ أَيْضًا:

مَتَوَسِّدِينَ عَلَى الْخُدُودِ كَأَنَّمَا \*\*\* كَرَعُوا عَلَى ظَمِيٍّ مِنَ الصَّبَّهَاءِ

صُورٌ ضَنَنْتُ عَلَى الْعَيُونِ بِحُسْنِهَا \*\*\* أَمْسَيْتُ أَوْقَرَهَا مِنَ الْبُوغَاءِ (1)

وَنَوَاطِرٍ كَحَلِّ التَّرَابِ جَفُونِهَا \*\*\* قَدْ كُنْتُ أَحْرَسُهَا مِنَ الْأَقْدَاءِ

قَرُبْتُ ضَرَائِحَهُمْ عَلَى زَوَارِهَا \*\*\* وَنَاوَأُ عَنْ الطَّلَابِ أَيَّ تَنَاءِ (2)

وَبَدَاتِ الْمَعْنَى قَوْلَ بَعْضِ الْأَعْرَابِ

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَقْبَرٌ فِي دِيَارِهِمْ \*\*\* فَهَمُّ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورَ تَزِيدُ

فَكَأَنَّ تَرَى مِنْ دَارٍ حَيٍّ أَخْرَبَتْ \*\*\* وَقَبْرٍ بِأَكْنَافِ التَّرَابِ جَدِيدُ

هُمُ جَبِيْرَةُ الْأَحْيَاءِ، أَمَّا مَزَارِهِمْ \*\*\* فَدَانٍ، وَأَمَّا الْمَلْتَمَى فَبَعِيدُ

وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ ثُبَاتَةَ وَحِيدًا عَلَى كَثْرَةِ الْجِيرَانِ، بَعِيدًا عَلَى قَرَبِ الْمَكَانِ.

\*\*\*

(29) من الخطبة رقم 113 الصفحة 252، في مواعظ الناس. د.

ص: 65

1- البوغاء: التربة الرخوة.

2- الضرائح: جمع ضريح وهو القبر وناوَأ بعدوا والتنائى: التباعده.

يوصي بالتقوى وترك المحارم والعمل للآخرة، ويحثّ على المبادرة للعمل والخوف من بغتة الأجل، وغيرها من المواعظ البليغة.

ويستشهد في آخر كلامه بالآية المباركة: (... اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ 102) (1).

ومن المواعظ في هذه الخطبة قوله: [ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن].

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى، فقال:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها \*\*\* ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال آخر:

ألم تر حوشباً أمسى يُبني \*\*\* بناء نفعه لبي بقبيلة

يومئذ أن يُعمّر عمر نوح \*\*\* وأمر الله بطرق كلّ ليله

وقوله عليه السلام: [لا جاء يُردُّ، ولا ماض يرتدُّ]. الجائي: يريد به الموت. ويُرد: يُسترد ويرجع وهو العمر. وأخذه أبو العتاهية فقال:

فلا أنا راجعٌ ما قد مضى لي \*\*\* ولا أنا دافعٌ ما سوف يأتي

وقوله عليه السلام: [ما أقرب الحي من الميت للحاقه به، وما أبعد الميت من الحي لانتطاعه عنه].

إليه قال الشاعر:

يا بعيداً عنّي وليس بعيداً \*\*\* من لحاقي به سميعٌ قريبٌ

صرتُ بين الوري غريباً كما أنّ \*\*\* ك تحت الثرى وحيدٌ غريبٌ .

ص: 66

ومن قوله: [ليس شيء بشرٍّ من الشرِّ إلا عقابُهُ، وليس شيء بخيرٍ من الخير إلا ثوابه].

أخذه الشاعر فقال:

خيرُ البضائع للإنسان مكرُمةٌ \*\*\* تنمي وتزكو إذا بارت بضائعُهُ

فالحيرُ خيرٌ وخيرٌ منه فاعله \*\*\* والشرُّ شرٌّ وشرُّ منه صانعُهُ

وإلى قوله عليه السلام: [ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة، خيرٌ ممَّا نقص من الآخرة وزاد في الدنيا].

نظر أبو الطيب فقال، وإن أخرجته في مخرج آخر:

بلادٌ ما اشتهيتَ رأيتَ فيها \*\*\* فليس يفوتها إلا كرامٌ

فهلَّا كان نقصُ الأهل فيها \*\*\* وكان لأهلها منها التمامُ

ومن قوله عليه السلام: [الرجاء مع الجاني، واليأس مع الماضي].

كلام يجري مجرى المثل، وجعل الجاني مرجوًّا لأنه لا يُعلم غيبه، ومنه قال الشاعر:

ما مضى فاتٌ والمقدَّرُ غيبٌ \*\*\* ولك الساعةُ التي أنتَ فيها

\*\*\*

«(30) ومن كلام له رقم 123 الصفحة 270 في التحكيم.

قوله عليه السلام: [إِذَا لم نحكِّم الرجال وإِذَا حكَّمنا القرآن، وهذا القرآنُ إِثْمًا هو خَطُّ مستورٍ بين الدَّقَّتَيْنِ لا ينطق بلسانٍ، ولا بدَّ له من تَرْجُمان، وإِثْمًا ينطق عنه الرجال. ولَمَّا دعانا القومُ إلى أنْ نحكِّم بيننا القرآنَ لم نكن الفريقَ المتولِّي عن كتاب الله تعالى وقد قال الله

سبحانه ...]

ص: 67

واستشهد عليه السلام بالآية المباركة: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (1).

وفسر ذلك بقوله عليه السلام: [فرده إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أحقّ الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنحن أولاهم به].

دفتا المصحف: جانباه اللذان يكنفانه وكان الناس قديماً يعملون ذلك من الخشب، ثم عمل من الجلد.

وقول الخوارج إنه حكم الرجال قولٌ باطل، وإنما حكم القرآن، والقرآن لا ينطق بنفسه، فلا بدّ له من ترجمان ينطق به.

ولما دُعينا لتحكيم الكتاب لم نكن الفريق المتولّي والمعرض عنه. بل أجبننا ذلك، وعملنا بقول الله تعالى وذكر الآية الكريمة مستشهداً بها.

\*\*\*

(31) من كلام له رقم 126 الصفحة 275، يُخبر عن الملا-حم. وقد قال له بعض أصحابه: لقد أُعطيَت يا أمير المؤمنين علم الغيب. فضحك عليه السلام، وقال للرجل وكان كلبياً: [يا أبا كلبٍ ليس هو بعلم غيب. وإنما هو تعلّم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدّد الله سبحانه بقوله ...] واستشهد بالآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (2).

ص: 68

1- سورة النساء الآية: 59.

2- سورة لقمان، الآية: 34.

وقد قَسَمَ عليه السلام الأمور المستقبلية على قسمين:

أحدهما: ما تقرّد الله به ويعلمه سبحانه، ولم يُطلع عليه أحد من خلقه، وهي الأمور الخمسة المعدودة في الآية الكريمة المذكورة. والقسم

الثاني: ما يعلمه بعض البشر بإعلام الله تعالى وهو غير هذه الخمسة، منها إخباراته ببعض الملاحم.

وروي أنّ أحدهم قال لموسى بن جعفر عليه السلام: إني رأيت الليلة في منامي أنّي سألتك: كم بقي من عمري؟ فرفعت يدك اليمنى، وفتحت أصابعها في وجهي مشيراً إليّ، فلم أفهم خمس سنين، أم خمسة أشهر، أو خمسة أيام! فقال الإمام: ولا واحدة منهم، بل ذلك إشارة إلى الغيوب الخمسة التي استأثر الله تعالى بها في قوله: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) ... الآية.

ورُبَّ سائل يسأل: فلم ضحك عليه السلام عندما قال له الرجل: «لقد أوتيت علم الغيب؟» وهل هذا من الزهو والعجب؟

وأجاب على ذلك ابن أبي الحديد في شرحه:

قد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحك في ما يناسب هذا الحال، لما استسقى فسُقي وأشرف درور المطر، فقام إليه الناس، فسألوه أن يسأل الله ليحبسه عنهم، فدعا وأشار بيده إلى السحاب، فانجابت حول المدينة كالإكليل، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يخطب على المنبر فضحك حتى بدت نواجذه، وقال: أشهد أنّي رسول الله، وسيّر هذا الأمر، أن النبي أو الولي إذا تحدّث عنده نعمة الله تعالى، أو عرف الناس وجاهته عند الله، فلا بد أن يسرّ بذلك. وقد يضحك من السرور.



وليس ذلك بمذموم إذا خلا من التيه والعُجب، وكان محض السرور والابتهاج، وقد قال تعالى: (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (1).

\*\*\*

(32) من الخطبة 141 الصفحة 290 وهي في الاستسقاء.

قوله: [وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق، فقال سبحانه ...] واستشهد عليه السلام بالآيات الشريفة: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا 10 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا 11 وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ) (2)

إنَّ الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً لدرور الرزق، وحصول البركة وشمول الناس بالرحمة أمَّا كون الاستغفار سبباً لنزول المطر ودرور الرزق، فإنَّ الآية بصريحها ناطقة به، لأنَّها أمرٌ وجواب ذلك الأمر. استغفروا ربكم، وجوابه: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا).

خرج عمر يستسقي، فما زاد على الاستغفار، فقليل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يُستنزَلُ بها المطر.

وشكا رجلُ الجذب إلى الحسن فقال: استغفر الله وشكا آخر إليه الفقر، وآخر قلَّةَ النسل، وآخر قلَّةَ عطاء أرضه، فنصحهم كلَّهم بالاستغفار. فقال له الربيع بن صبيح: رجالٌ أتوك يشكون أبواباً وأنواعاً فأمرتهم كلَّهم بالاستغفار، فتلا له الآية الكريمة السابقة التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام.

\*\*\*

ص: 70

1- سورة آل عمران الآية: 170.

2- سورة نوح، الآيات: 10 و 11 و 12.

«33» في الخطبة 151 الصفحة 307، في صفة الضال.

قوله عليه السلام: وما قدّمتَ اليومَ تقدّمَ عليه غداً، فأمهّدْ لقدمك، وقدّم ليومك، فالحذر الحذر أيّها المستمع والجدّ الجدّ أيّها الغافل] واستشهد بالآية الكريمة: (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) (1).

أمهد لنفسك: أي سوّ ووطّئ، من مهد: أي بسط والآية: أي لا يُخبرك بالأمر أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها.

\*\*\*

«34» من كلام له رقم 154 الصفحة 313 خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.

وقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟ فقال له عليه السلام:

[لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَوْلَهُ: - وَذَكَرَ الْآيَتِينَ - (الم 1 أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) (2)، علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي إنّ أمّتي سيُفتنون من بعدي، فقلت: يا رسول الله! أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين... إلى آخر قوله عليه السلام.

ومن كلامه عليه السلام نعلم أنّ الآيتين اللتين ذكرهما أنزلتا بعد أحد، وهذا خلاف قول أهل التفسير، لأنّ هاتين الآيتين هي أول سورة .

ص: 71

1- سورة فاطر، الآية: 14.

2- سورة العنكبوت، الآيتان: 1 و 2.

العنكبوت وهي عندهم بالإجماع مكيّة، ويوم أحد بالمدينة. عندها ينبغي القول الآيتين 1 و 2 من العنكبوت أنزلت بالمدينة خاصة، وأضيفت إلى السورة فغلب عليها نسب المكيّ لأنّ الأكثر كان في مكّة. وفي القرآن الكثير مثل هذا. فسورة النحل مكيّة بالإجماع، وآخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد أحد.

وأما علّة قوله أنّ الفتنة لا تنزل ورسول الله بين أظهرهم. ذلك لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (1). كما يقول ابن أبي الحديد في شرحه.

روى الكثير من المحدثين عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين. قال: فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قومٌ يشهدون أنّ لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، وهم مخالفون للسنة. فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله، إنك كنت وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك. قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أما أنّي وعدتك الشهادة وستستشهد تُضربُ على هذه فتُخضبُ هذه فكيف صبرك إذا! فقلت: ليس ذا بموطن صبرٍ، ولكن هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت، فأعدّ للخصومة فإنك مُخاصم. فقلت: يا رسول الله، لو بيّنت لي قليلاً! قال: إنّ أمتي ستفتن من بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي، وتستحلّ الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والرّبّ بالبيع وتُحرّف الكتاب عن مواضعه، وتغلبُ كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تُقلّدها، فإذا قلّدتها جاشت 3.

ص: 72

عليك الصدور، وقُلِّبت لك الأمور، تُقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: بأيّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منذ أم من غيرنا؟ قال: بل منّا، بنا فتح ربُّنا وبنا يختم وبنا آلف الله بين القلوب بعد الشُّرك، وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

وآخر كلامه صلى الله عليه وآله وسلم، إشارة واضحة للمهدي (عج) الذي بظهوره الشريف المبارك يختم للناس بالنصر والعدل الذي وعد به الله ورسوله عباده الصالحين.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر، كلامٌ عالٍ جداً يدلُّ على يقينٍ عظيم، وعرفانٍ تام، ونحوه قوله - وقد ضربه ابن ملجم - : فُزْتُ وربِّ الكعبة.

\*\*\*

«35» الخطبة 158 الصفحة 320، في عظمة الله.

قوله عليه السلام: [ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافٍ لك في الأسوة، ودليلٌ لك على ذمّ الدنيا وعيوبها وكثرة مخازيها ومساوئها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفُطم عن رضاعها، وزوي عن زخرفها. وإن شئتَ ثبّيتُ بموسى كليم الله عليه السلام إذ يقول ...] واستشهد عليه السلام بالآية الكريمة: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ 24) (1)..

ص: 73

1- سورة القصص الآية: 24.

[ والله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خُضرة البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشدّب لحمه ].

الأسوة القدوة. والأكناف: الجوانب. زوي: قبض. الصفاق: الجلد الأسفل تحت الجلد الخارجي الذي عليه الشعر. والتشدّب: التفرّق.

والتواضع من أوضح صفات الأنبياء والأوصياء والملتزمين وأكثرها التصاقاً بهم، فيتأسى بهم الناس، وحتى لا يجد التكبر إلى نفوسهم طريقاً.

جاء في الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّما أنا عبدٌ آكلُ أكلَ العبد، وأجلس جلسة العبد (1)، وكان يأكلُ على الأرض، ويجلس على الأرض، يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليهما بباطن فخذيته ويركب الحمار العاري، ويُردفُ خلفه، دلالة على التواضع وهضم النفس، ولم يضع حجراً على حجر.

وجاء في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام ما لا يُحصى عن تواضعه وزهده وعفّة نفسه.

قيل له: يا أمير المؤمنين، لم ترقّع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون.

وروى أحمد رحمه الله: أنّ علياً عليه السلام كان يطوفُ الأسواق مؤتزرأً بإزار مرتدياً برداً، ومعه الدرّة كأنه أعرابيٌّ بدويٌّ فطاف مرّة حتّى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد: بعني قميصاً تكون قيمته ثلاثة دراهم، فلمّا عرفه .

ص: 74

---

1- أخرجه البيهقي في «الشعب» 5780.

الشيخ لم يشتري منه، وأتى آخر، فلمّا عرفه لم يشتري منه، فأتى غلاماً حدثاً، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ولما جاء أبو الغلام، أخبره فأخذ درهماً وجاء إلى علي عليه السلام ليدفعه إليه، فقال له: ما هذا؟ فقال: يا مولاي، إنّ القميص الذي باعك ابني يساوي درهمين، فلم يأخذ الدرهم وقال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

وروى أحمد رحمه الله عن أبي النوار بائع الخام في الكوفة، قال: جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق، ومعه غلام له وهو خليفة، فاشترى منّي قميصين، وقال لغلامه: اختر أيّهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ عليّ الآخر، ثمّ لبسه ومدّ يده، فوجد كُمَّه فاضلة، فقال: اقطع الفاضل، فقطعتّه، ثمّ كفّه وذهب.

وروى أحمد رحمه الله عن الصّمال بن عمير قال: رأيت قميص عليّ عليه السلام الذي أصيب فيه، وهو كرايس سبيلاني، ورأيت دمه قد سال عليه كالدرديّ.

وروي أنّه عليه السلام قال: لقد رقت مدرعتي حتى استحيت من راقعها. وقال مخاطباً أهل الكوفة: جئتكم بقميصي هذا وإن خرجت منكم بغيره فأنا خائن.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً، ولا تُحصى.

\*\*\*

«36» من كلام له رقم 160 الصفحتان 326 و 327 لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السلام: [يا أبا بني أسد! إنك لقلق الوضين، تُرسل في غير سدّد، ولك بعد ذمامة الصّهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداؤ علينا بهذا

ص: 75

المقام ونحنُ الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نوطاً، فإنَّها كانت أثرٌ شحَّت عليها نفوسُ قومٍ، وسخت عنها نفوسُ آخرين، والحكَمُ الله، والمعودُ إليه يوم القيامة ... حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدَّ فؤاره من ينبوعه وجَدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً، فإن ترتفع عتاً وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحقِّ على محضه، وإن تكن الأخرى (فَقَلَّا تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ 8) (1).

والآية الكريمة التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام واضحة المعنى. والوضيْن: بطن يُشدُّ به الرجل على البعير وهو كالحزام للسرْح، فإذا قلق اضطرب الرجل، فكثرت لملل الجمل. وترسل في غير سدد: تتكلم في غير قصد ولا صواب.

والذمامة: الحماية والصهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج وحماية الصهر بالنسبة للأسدي السائل، أن زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت أسدية.

وفي هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين نكتاً وأخباراً مهمّة ارتأينا الأخذ بها هنا وذكرها:

هي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كثير ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه. وأمّها أميّة بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف فهي بنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمصاهرة المشار إليها هي هذه.

ويردّ ابن أبي الحديد في شرحه على القطب الراونديّ ما قاله في شرحه أيضاً: «إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّج في بني أسد»، ومن هنا جعل 8.

ص: 76

المصاهرة مع الأسدي. إنّما أمير المؤمنين لم يتزوج في بني أسد البتّة. ويذكر أولاده عليه السلام ونسبة أمّهاتهم زوجات أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: أمّا الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم عليهم السلام، فأُمّه فاطمة الزهراء البتول سلام الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأمّا محمد فأُمّه خولة بنت إياس بن جعفر، من بني حنيفة، وأمّا أبو بكر وعبدالله، فأُمّهما ليلى بنت مسعود النَّهْشَلِيَّة من تميم وأمّا عمر ورقية فأُمّهما سبيّة من بني تغلب يُقال لها الصَّهْبَاء، سُبِّيت في خلافة أبي بكر. وأمّا يحيى وعون فأُمّهما أسماء بنت عُمَيْس الخثعميّة. وأمّا جعفر والعباس وعبدالله وعبدالرحمن فأُمّهم أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب. وأمّا رملة وأمّ الحسن فأُمّهما أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثَّقَفِيّ، وأمّا أمّ كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجُمَانَة وميمونة وخديجة وفاطمة وأمّ الكرام ونفيسة وأمّ سلّمة وأمّ أبيها وأمّامة فهنّ لأُمّهاتِ أولادِ شتّى، فهؤلاء أولاده، وليس فيهم أحدٌ من أسديّة.

وحقّ المسألة: فللسائل على المسؤول حقّاً حيث أهله لأنّ يستفيد منه. والنوط: التعلّق والالتصاق. والإثرة: الاختصاص بالشيء دون مستحقّه. شحّت: بخلت. وسحّت: جادت. ويعني بالنفوس التي سحّت: نفسه الشريفة، والنفوس التي شحّت: نفوس أهل السقيفة.

والفوّارة من ينبوع: الثقب الذي يفور الماء منه بشدّة. جدحوا: خلطوا. والشرب النصيب من الماء. والويء: يريد به الفتنة التي يريدونها نزاعاً له في حقّه شبّهها بماءٍ خلط بالسمّ القاتل محضه: خالصه.

وقوله إنّ تكن الأخرى: إنّ لا يزالوا مفتونين، فلا تمت نفسك غمّاً عليهم، وهو ما جاء بالآية الكريمة التي استشهد بها عليه السلام.



وفي هذا البحث محاولة جرت بين ابن أبي الحديد، وأبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة، أحببنا ذكره هنا لمناسبته موضوع كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وأهميته التاريخية في توضيح مسألة الخلافة والوصية.

يقول ابن أبي الحديد: فقلت له: يعني أبا جعفر نقيب البصرة - : من يعني عليه السلام بقوله: كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين؟ ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟

هل المراد يوم السقيفة أم يوم الشورى؟ فقال: السقيفة. فقلت: إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفع النص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إهمال أمر الإمامة، وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث.

ثم قال: ليس يشكُّ أحدٌ من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عاقلاً كاملاً العقل، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تامّ الحكمة، شديد الرأي، أقام ملّةً وشرعاً شريعة، فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتديبه وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والدخول، ولو بعد الأزمنة المتطاولة. ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيتٍ آخر، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا تأرهم منه، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدينين.

والإسلام لم يُحِلْ طباعهم، ولا-غَيْرَ هذه السَّجِيَّةِ المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف توهم لبيب أن هذا العاقل الكامل وتَرَّ العرب، وخصوصاً قريش وساعده على سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمّه الأذى وصهره وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعندته ابنته وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما، ومحبةً لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينصُّ عليه ولا يستخلفه، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! وأنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقةً ورعيّة، فقد عرض دماءهم للإراقة بعده.

وبعد كلام يصبُّ بنفس المعنى والغرض، قال له ابن أبي الحديد: «إلا أن قول الإمام عليه السلام لا يدلُّ على النصِّ فيه، ألا تراه يقول: «ونحن الأعلون نسباً، والأشدون بالرسول نوطاً». فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب، ولو كان عليه نصٌّ، لقال عوض ذلك: وأنا المنصوص عليّ، المخطوب باسمي.

أجاب رحمه الله: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، ألا ترى أنه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقُّ به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه، وهم أحقُّ به من جهة اللحمية والعترية ولم يكن الأسدي يتصوّر النصِّ ولا يعتقده ولا يخطر بباله، لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لِمَ دفعك الناس عن هذا المقام، وقد نصّ عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وإنّما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافةً أي باعتبار الهاشميّة والقربى. فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه، تمهيداً للجواب، فقال إنّما فعلوا ذلك مع أنّا أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غيرها، لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا المنصوص عليّ،، والمخطوب باسمي لما كان قد أجابه، لأنّه ما سأله: هل أنت منصوصٌ

عليك أم لا؟ ولا هل نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة على أحد أم لا؟ وإّما قال: لِمَ دفعكم ... فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه، فلو صرّح له بالنصّ وعرفه تفاصيله لنفّر منه، واتّهمه ولم يقبل قوله ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتديبير الناس أن يُجيب بما لا تُفّر منه ولا مطعن عليه فيه.

\*\*\*

(37) الخطبة 170 الصفحتان 347 و 348 منها في ذكر أصحاب الجمل.

قوله عليه السلام: [دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم].

أي أنّه لو كان المقتول واحداً لحلّ بي قتلهم كلّهم، فكيف وقد قتلوا من المسلمين عدةً مثل عدّتهم التي دخلوا بها البصرة!

وما في «ما أنّهم» زائدة أو مساعدة على سبك الجملة، ومثلها في قوله تعالى، واستشهد الشارح بالآية: (إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَتَطَقُونَ 23) (1).

وصدق عليه السلام فقد قتلوا من أصحابه وخزّان بيت المال في البصرة ومن أوليائه خلقاً كثيراً، بعضهم غدرأً، وبعضهم صبرأً.

\*\*\*

(38) من الخطبة 174 الصفحتان 354 و 355، في النهي عن البدعة. 3.

ص: 80

قوله عليه السلام: [ألا وإنَّ القدرَ السَّابقَ قد وقع والقضاءَ الماضي قد توَّرد، وإني متكلمٌ بَعْدَةَ الله وحجَّتِه، قال الله تعالى ...] واستشهد عليه السلام بالآية المباركة: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) (1).

توَّرد: أي ورد شيئاً بعد شيء. وعِدَّةُ الله: وعده. والمراد من القضاء الماضي: ما قدَّر على الخليفة الثالث وما تبعها من حوادث. والقدر السابق: يشير به إلى خلافته عليه السلام.

وهذه الخطبة من أوائل خطبه أيام بيعته، وفيها إشارة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره أن الأمر سيُنْضِي إليه منتهى عمره، ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعده الله ومحجَّته على عباده في قوله تعالى: وذكر الآية الكريمة: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ... (2)، ومعنى الآية، أنه تعالى وعد الذين أقرؤا بالربوبية ولم يقتصروا على الإقرار بل عقبوا ذلك بالاستقامة، أن يُنزل عليهم الملائكة عند موتهم بالبشرى بالجنة.

روى سفيان بن عبد الله الثَّقَفي، قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بأمرٍ أعتصم به، فقال: «قل لا إله إلا الله، ثم استقم»، فقلت ما أخوف ما تخافه علي؟ فقال: هذا وأخذ بلسان نفسه صلى الله عليه وآله وسلم (3).

وفي الصفحة 357 من نفس الخطبة، قوله: عليه السلام: [ألا وإنَّ الظلمَ ثلاثة: فظلمٌ لا يُغفر، وظلمٌ لا يُترك، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطلب. فأما الظلم الذي لا يُغفر فالشُّرك بالله] واستشهد عليه السلام بالآية: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) (4).

ص: 81

1- سورة فصلت الآية: 30.

2- سورة فصلت الآية: 30.

3- أخرجه الترمذي في «الزهد» باب حفظ اللسان 2410.

4- سورة النساء الآية: 48.

ويُفسر عليه السلام نوعي الظلم: الظلم الذي يُغفر، فهو ظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، أي الشيء اليسير والمراد به صغائر الذنوب. وظلم لا يُترك، هو ظلم العباد بعضهم بعضاً. ففيه حقوق الناس وفيه القصاص.

«(39) من الخطبة 181 الصفحة 372، في قدرة الله وفضل القرآن.

قوله عليه السلام: [فقد أصبحتم في مثل ما سألت إليه الرجعة من كان قبلكم]. يقول الشارح الشيخ محمد عبده: أي أنكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي ندم المهملون على فواتها وسألوا الرجعة للدنيا، كما حكى الله عنهم، واستشهد بالآية: (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ 99 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) (1).

وفي الصفحة 373 من نفس الخطبة.

قوله عليه السلام: [أسهروا عيونكم وأضمروا بطونكم واستعملوا أقدامكم، وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ...] واستشهد عليه السلام بقوله: [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (7) (2). وقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (11) (3).

خذوا من أجسادكم: أتعبوا بالعبادة حتى تنحل.

يوضح عليه السلام أن الله سبحانه لم يستنصركم من ذل، ولم يستقرضكم 1.

ص: 82

1- سورة المؤمنون، الآيتان: 99 - 100.

2- سورة محمد الآية: 7.

3- سورة الحديد الآية: 11.

من قُلِّ، أي من قلة فله جنود السماوات والأرض، وخزائن السماوات والأرض، وإنما أراد أن يختبركم أيكم أحسن عملاً.

ويقول عليه السلام: [فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره، رافق بهم رسله، وأزارهم ملائكته، وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لُغوباً ونصباً]، واستشهد عليه السلام بالآية المباركة: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) (1)).

والحسيس: الصوت الخفي، ويُطلق على صوت النار.

واللغوب: شدة الإعياء. والنصب التعب.

\*\*\*

«(40) الخطبة 184 الصفحة 381، في التوحيد، وهي تجمع من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة.

يقول عليه السلام: [ يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ ]، أي لا يتكلف الحفظ سبحانه، واستشهد الشارح بالآية: (وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (21) (2)).

وقوله عليه السلام: [يقول لمن أراد كونه كُن فيكون، لا بصوت يقرع ولا بنداء يُسمع، وإنما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً].

كلامه تعالى: الألفاظ والحروف التي يُطلق عليها كلام الله، أو المراد بالكلام هنا - يقول محمد عبده - ما أريد في قوله تعالى واستشهد .

ص: 83

1- سورة الحديد، الآية: 21.

2- سورة البقرة، الآية: 255.

بالآية الكريمة: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ) (1). وهو على ما قال بعض المفسرين أعيان الموجودات.

\*\*\*

(41) من الخطبة 188 الصفحة 389، في الأمر بالتقوى.

يصف عليه السلام أهل التقوى، وسوقهم إلى الجنة جماعات، فيذكر بداية كلامه الآية الكريمة: (وَسَيَقُ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) (2). قد زحزحوا عن النار، وأمنوا العذاب، واطمأنت بهم الدار. وسوقهم وفتح أبواب الجنة قبل مجيئهم تكرمه لهم، عكس أهل النار، فسوقهم وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم إهانة لهم.

\*\*\*

(42) من الخطبة 189 الصفحة 391، في وصيته بالزهد.

قوله عليه السلام: [فإنَّ التقوى في اليوم، الحرُّ والجنة، وفي غدٍ الطريقُ إلى الجنة... فما أقلُّ من قبلها وحملها حقَّ حملها أولئك الأقلون عدداً، وهم أهلُ صفة الله سبحانه إذ يقول...]، وذكر الآية: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) (3). وفي قوله عليه السلام: [أوصيكم بتقوى الله فإنها حقُّ الله عليكم، والموجبة على الله حقكم].

ص: 84

1- سورة الكهف، الآية 109.

2- سورة الزمر، الآية: 73.

3- سورة سبأ، الآية: 13.

يقول الشارح: جرى في الكلام على نحو قوله تعالى، وذكر الآية المباركة: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ 47) (1).

وفي نفس الخطبة الصفحة 394، في وصف الندم على التفریط، وفوات الأوان لمن لم يستغلّ الفرصة الممنوحة له في الدنيا لبلوغ المراد في الآخرة، ويستشهد عليه السلام بالآية القرآنية: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ 29) (2)

منظرين: مؤخّرين للتوبة.

\*\*\*

«43» الخطبة 190 الصفحتان 394 و 395، وتُسمّى القاصعة في من ذمّ الكبر، وتتضمّن ذمّ إبليس على استكباره، وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أوّل من أظهر العصبيّة، وتبع الحميّة، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

يقول عليه السلام: [الحمدُ لله الذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللّعة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمّرات القلوب ومحجوبات الغيوب ...].

وذكر قوله تعالى: (إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ 71 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ 72 فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ 73 إِلَّا إِبْلِيسَ) (3).4.

ص: 85

1- سورة الروم، الآية: 47.

2- سورة الدخان الآية 29.

3- سورة ص، الآيات: 71 - 74.



والحمى: ما حميته من الغير.

وفي الصفحة 396 من نفس الخطبة، يحذّر من غواية إبليس واستفزازه وقلبه بخيله ورجله، لإيقاع الناس بحبائله ويستشهد بالآية الكريمة: (رَبِّ مَا أَعْوَيْنِي لِأَزِينَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ (29) (1)).

وفي الصفحة 400 بذات الخطبة، يُحذّر عليه السلام من اعتبار كثرة الأولاد، ووفرة الأموال، دليلاً على رضا الله سبحانه والنقص فيهما دليلاً على سخطه، فقد يكون الأول، استدراجاً، والثاني ابتلاءً. ويستشهد بقوله تعالى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ 55 نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56) (2)).

وفي الصفحة 405 من الخطبة نفسها، يذكر الآية الشريفة: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ (35) (3)) عن لسان حال الأغنياء من مترفة الأمم، وتعصّب بهم لآثار مواقع النعم. فيقول عليه السلام: [فإن كان لا بدّ من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء].

وآثار مواقع النعم: ما ينشأ عن الترف والنعم من التعالي والتكبر. ومنها جاءت العصبية عند الأمم المترفة، ومقاتلة بعضها بعضاً.

\*\*\*

«44» من الخطبة 192 الصفحة 420، في وصف المنافقين. 5.

ص: 86

1- سورة الحجر الآية 39.

2- سورة المؤمنون، الآيتان: 55 و 56.

3- سورة سبأ، الآية: 35.

قوله عليه السلام: [ يقولون فيشبهون، ويصفون فيمؤهون، قد هَوَّنوا الطَّرِيقَ، وأضلعوا المضيق فهم لَمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَّةُ النِّيرانِ ] وذكر قوله تعالى: (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ 19) (1).

فيشبهون: يشبهون الحق بالباطل ويوقعون الشُّبُه في القلوب. يمؤهون: من التمويه وهو التزيين.

وهَوَّنوا الطَّرِيقَ: يهَوِّنون على الناس طرق السَّير معهم على أهوائهم الفاسدة، ثم يضلِّعوا على المضايق: يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكوا. واللِّمَّة: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة. ويُراد هنا مطلق الجماعة. والحمَّة بالتحفيف: الإبرة تلسع العقرب بها ونحوها والمراد بحمة النيران: لهيبها.

\*\*\*

«45» من كلام له رقم 197 الصفحة 430، يوصي به أصحابه.

ويحثُّ على معاهدة الصلاة والحفاظ عليها والاستكثار منها، والتقرب بها إلى الله، فإنَّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. ويستشهد عليه السلام بكتاب الله حكاية عن سؤال أهل النار وجوابهم، فيقول: [ ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سُئلوا... ] ويذكر قوله تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ 42 قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصَلِّينَ 43) (2).

وبالصفحة 431 من نفس كلامه عليه السلام، يقول في الصلاة: [ وقد عرف.

ص: 87

1- سورة المجادلة، الآية: 19.

2- سورة المدثر، الآيتان: 42 و 43.

حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، وَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) (1).

ويذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلاقته بالصلاة فيقول: [ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصيباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقوله سبحانه ] وذكر الآية: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (2) فكان يأمر أهله بها ويصبر عليها نفسه صلى الله عليه وآله وسلم.

والنصب: التعب.

وفي الصفحة 432 لذات الكلام. يذكر عليه السلام عن أداء الأمانة، وأنها عرضت على السماوات والأرضين والجبال فامتنعن من حملها وأشفقن من العقوبة، وحملها من هو أضعف منهن وهو الإنسان، وذكر قوله سبحانه: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (72) (3)

وفي فضل الصلاة وأهميتها الكثير مما جاء في الكتاب العزيز يوصي بها ويؤكد على المحافظة عليها وكذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمنه أنه قال: الصلاة عمود الدين، فمن تركها فقد هدم الدين (4).

وقال عليه السلام أيضاً: علم الإيمان الصلاة فمن قرع لها قلبه، وقام بحدودها، فهو المؤمن.

وقالت أم سلمة: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

ص: 88

1- سورة النور، الآية: 37.

2- سورة طه، الآية: 132.

3- سورة الأحزاب، الآية: 72.

4- المروزي في تعظيم الصلاة 194.

وقال عليُّ عليه السلام: لا يزال الشيطانُ ذِعْراً من المؤمن ما حافظ على الخمس، فإذا ضَيَّعَهُنَّ تجرأ عليه، وأوقعه في العظائم صلَّى أعرابيٌّ في المسجد صلاة خفيفة، وعمر بن الخطاب يراه فلما قضاها قال: اللهم زوّجني الحور العين. فقال عمر: يا هذا لقد أسأت التّقْد، وأعظمت الخطبة!

وجاء في الخبر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة.

وقال هشام بن عروة: كان أبي يطيل المكتوبة ويقول: هي رأس المال.

قال ابن مسعود: الصلاة مكيال، فمن وَفَّى وَفَّى له، ومن طَفَّفَ، فويل للمطففين.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله، ادع لي أن يرزقني الله مرافقتك في الجنة فقال: أعني على إجابة الدعوة بكثرة السجود (1).

\*\*\*

«46» من كلام له رقم 199 الصفحة 433، في الوعظ.

ويحدّر عليه السلام من السكوت على المنكر، والتّوقّف في ردّه ومقابلته، فيقول: [إنّما يجمع الناس الرّضاء والسُّخْط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعَمَّهُمُ الله بالعذاب لما عموه بالرّضا فقال سبحانه ...] وذكر الآية: (فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ 157) (2).

يجمع الناس ... أي يجمعهم في استحقاق العقاب، فإنّ الراضي بالمنكر كفاعله، ومن لم ينع عنه فهو راضٍ به.

ص: 89

---

1- ذكره النسائي في كتاب التطبيق، باب فضل السجود 1138.

2- سورة الشعراء، الآية: 157.

قال النبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليِّ عليه السلام: أتدري من أشقى الأولين؟ قال: نعم، عاقر ناقة صالح. قال: أفندري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: من يضربك على هذه حتى تخضب هذه (1). وأشار إلى رأسه ولحيته صلى الله عليه وآله وسلم.

\*\*\*

(47) من الخطبة 209 الصفحة 444، في عجيب صنعة الكون.

يستشهد بالآية المباركة: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26) (2)، جاء ذكر الآية بعد وصفه لعجائب صنع الكون، وعظمة خلق الله تبارك وتعالى.

\*\*\*

(48) من كلام له عليه السلام رقم 218 الصفحة 456، وقد تلا قول الله تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ 1 حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ 2) (3). ثم قال: [يا له مراماً ما أبعد، وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفضعه].

ألهاه: صرفه والمرام الطلب. والزُّو: الزائرون.

وقد اختلف المفسرون في تأويل هاتين الآيتين، فقسم قال: أي أنكم قطعتم أيام عمركم بالتكاثر بالأولاد حتى جاءكم الموت، فكنتي عن حلول الموت بهم بزيارتهم للمقابر.

ص: 90

1- ذكرها الطبراني في «الكبير» 7311، والهيثمي في «مجمع الزوائد» 136/9.

2- سورة النازعات، الآية: 36.

3- سورة التكاثر، الآيتان: 1 و 2.

وقسم فسر أنهم كانوا يتفاخرون بأنفسهم وبأسلافهم ممن ماتوا فقالوا منّا فلان وفلان تفاخراً، وهو التفسير الذي يُناسب كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أي أنه لا فخر بذلك، وطلب الفخر بذكر الأموات بعيد وإنما الفخر بطاعة الله وبالتقوى.

\*\*\*

(49) من كلام له رقم 219 الصفحة 462.

قاله عند تلاوة قوله تعالى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (1) قوله: [إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة].

الذكر: استحضر الصفات الإلهية. وجلاء القلوب: تقول جلوت السيف والقلب جلاء بالكسر والوقرة: ثقل في السمع والعشوة: ضعف البصر.

\*\*\*

(50) من كلام له رقم 220 الصفحة 464.

قاله عند تلاوته قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (2)

[يا أيها الإنسان! ما جرّك على ذنبك، وما غرّك برّبك، وما أنسك بهلكة نفسك؟ أما من دانك بلول! أم ليس من نومتك يقظة!] إلى آخر كلامه عليه السلام.

ص: 91

---

1- سورة النور، الآية: 37.

2- سورة الانفطار الآية: 6.

أَنَّسِكَ بالتشديد واستأنست بمعنى واحد، أي كيف لم تستوحش من الأمور التي توَدِّي بنفسك للهلكة. وبُلُول بَلِّ مرضه، أي حسنت حاله بعد هزال. والمعنى واضح في هذا الفصل.

\*\*\*

(51) من دعاءٍ له رقم 222 الصفحة 469.

يقول: [اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي باليسار، ولا- تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني، وأفتن بدم من منعني وأنت من وراء ذلك كله وليُّ الإعطاء والمنع]، وذكر قوله تعالى: (إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) (1)).

صن وجهي: احفظه من التعرض للسؤال. وبذل الجاه: إسقاط المنزلة من القلوب. واليسار الغنى. والإقتار: الفقر. وقوله أسترزق ترتيباً على البذل، بالإقتار فإنه لو افتقر لطلب الرزق من طلاب رزق الله وهم الناس.

وقوله وأنت من وراء ذلك كله: القادر عليه والقاهر له.

\*\*\*

(52) الخطبة 223 الصفحة 471، في التنفير من الدنيا.

قوله: [فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور، ويُعثرت القبور]، وذكر قول الله تبارك وتعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْأَلَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ (30) (2)).

ص: 92

---

1- سورة آل عمران الآية: 26، سورة التحريم الآية: 8.

2- سورة يونس، الآية: 30.

تناهت بكم الأمور: وصلت إلى غايتها. والمراد انتهاء مدّة البرزخ، وبُعثرت القبور: قُلِبَ ثراها وأُخرج موتاها.

تبلو: تخبر وتعلم جزاء أعمالها، وضلّ عنهم: بطل عنهم ما كانوا يدعون ويكذبون بأنهم شفعاء.

ومن جيّد شعر أبي نؤاس بهذا المعنى قوله:

يا بني التَّقْصِ والغَيْرِ \*\*\* وبني الضَّعْفِ والخَوْزِ

وبني البُعْدِ في الطِّبَا \*\*\* ع على القُرْبِ في الصُّوَرِ

والشكول التي تبا \*\*\* ينُ في الطُّولِ والقِصَرِ

أينَ من كانَ قبلكم \*\*\* من ذوي البأسِ والخَطَرِ

سائلوا عنهم المدا \*\*\* نِئَ واستبحثوا الخبر

سبقونا إلى الرحيـ \*\*\* لـ وإنا لبلاثر

من مضي عبرةً لنا \*\*\* وغداً نحنُ معتبر

إنّ للموت أخذةً \*\*\* تسبق اللّمح بالبصر

\*\*\*

«53» من كتاب له رقم 241 الصفحتان 492، 493، كتبه لشريح ابن الحارث، وكان قاضياً له.

بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ شريحاً اشترى داراً ثمينة، فاستدعاه وسأله عنها، فأقرّ شريح بذلك، فقال له عليه السلام: [أما إنّك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت، لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهمٍ فما فوق. والنسخة هذه: هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ من عبدٍ قد أزعج للرحيل...] في كلام طويل من المواعظ والحكم

ص: 93



والوصايا المحذرة من الدنيا وأطماعها المرغبة بالآخرة وثوابها، وختم كتابه مستشهداً بالآية القرآنية: (وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (1)).

وكان كتابه عليه السلام الذي كتبه لقاضيه شريح درساً في الزهد بالدنيا واستكثار القليل منها، والابتعاد عن الإسراف، وخوفه أن يكون ابتاع الدار بمالٍ حرام وهو يشغل منصب القاضي لديه.

\*\*\*

(54) ومن كلام له رقم 253 الصفحة 504، كان يقوله إذا لقي العدو محارباً.

[ اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدونا وتشّت أهوائنا ]، ويذكر الآية: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) (2))

\*\*\*

(55) من كلام له رقم 261 الصفحة 510، قاله قبيل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

[ أنا بالأ-مس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن أبق فأنا وليّ، دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالفغو لي قربة وهو لكم حسنة، فاعفوا ]، وتلا الآية: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) (3).

وقال: [ والله ما فجنني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، 2

ص: 94

1- سورة غافر، الآية: 78.

2- سورة الأعراف الآية 89.

3- سورة النور، الآية: 22

وما كنتُ إلا كقاربٍ وردَ، وطالبٍ وجدٍ [وتلا قوله تعالى: (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ 198) (1)].

قسّم سلام الله عليه، أيامه ثلاثة أقسام: أنا بالأمس صاحبكم أي كنتُ أرجى وأخاف، واليوم عبرة لكم: عظة تعتبرون بها، وغداً مفارقكم: أكون في دارٍ أخرى غير داركم.

وذكر عليه السلام أنه إن سلم منها فهو وليّ دمه، إن شاء عفا أو شاء اقتصّ. وإن لم ينج، فولاية دمه للورثة، وأوماً إلى أن العفو منهم أحسن، بقوله: «وهو لكم حسنة». بل أمرهم صراحةً بالعفو عندما تلا الآية: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)، وينبغي أن يكون أمره بالعفو هنا محمولاً على الندب.

وفجئتني: أتاني بغتة. والقارب: طالب الماء ليلاً، يريد عليه السلام أنه مستعدٌّ للموت راغبٌ للقاء الله، لا يكره ما يقبل عليه منه.

\*\*\*

(56) من كتاب له رقم 266 الصفحة 521، إلى معاوية، وهو من محاسن الكتب.

في هذا الكتاب الذي أرسله عليه السلام جواباً لكتاب أرسله معاوية له، مباحث مهمة أوردناها في باب الاحتجاج، ولكن هنا نأخذ ما يتصل بهذا البب، وهو الآيات البيّنات التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام، في معرض كلامه.

قوله عليه السلام: [و كتاب الله يجمع لنا ما شدّ عتاً وهو قوله سبحانه ...].

ص: 95

وذكر الآية: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (1)، وقول تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

وهو عليه السلام وآل البيت أولى بالقرابة مرةً وأخرى أولى بالطاعة.

وفي الصفحة 523 من نفس الكتاب، استشهد عليه السلام بالآية المباركة: (فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) (18) (3)، معرضاً بتقاعس معاوية وتراخيه في نصرة الخليفة عثمان في أزمته التي قضى بها. والمعوقون: المانعون من النصر.

وفي الصفحة 524 لنفس الكتاب، يحدّر معاوية ويتوعده إن هولج المعاندة والمنابذة ومجانبة الحق.

فيقول: [ وأنا مرقلٌ نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، شديدٍ زحامهم، ساطعٍ قتامهم، متسريلين سرايل الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحتهم ذريةٌ بدرية، وسيوفٌ هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك ] ثم ذكر قوله تبارك وتعالى: (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) (83) (4).

مرقل: مسرع. والجحفل: الجيش العظيم. الساطع: المنتشر. والقتام: الغبار. متسريلين: لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم. والذرية البدرية: من أولاد أهل بدر. 3.

ص: 96

1- سورة الأنفال، الآية 75 وسورة الأحزاب، الآية: 6.

2- سورة آل عمران الآية: 68.

3- سورة الأحزاب، الآية: 18.

4- سورة هود، الآية: 83.

أما أخوه: فهو حنظلة وخاله: الوليد بن عتبة وجده: عتبة بن ربيعة، أب هند زوجة أبي سفيان وجميعهم قتلوا يوم بدر بسيف علي عليه السلام، أو شارك عمه حمزة وعمه عبيدة في قتلهم. وأهله: منهم شيبه ابن عتبة وغيره من بني أمية ممن قتلهم علي وهم مشركون.

\*\*\*

«57» من كتاب له رقم 283 الصفحة 564، إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

ذكر فيه الكثير من المواعظ والإرشادات والتحذير من التهافت على ملاذ الدنيا، ويعلمه ترويض النفس بالتقوى مخافة الانغماس بالدنيا، لتأتي النفس آمنة يوم الفزع الأكبر، وتثبت في مداحض الزلل. وبآخر كتابه عليه السلام، يذكر أهل الزهد والتقوى ويستشهد بالآية المباركة: (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 22) (1)، موجهاً خطابه لابن حنيف: [فاتق الله يا بن حنيف، ولتكفأ أقرصك، ليكون من النار خلاصك].

واشتداده عليه السلام في ذات الله، وتحذيره لعماله وتعويدهم على ترويض النفس، والقناعة والاقتصاد بهذه الصورة الشديدة إنما هو درس

تربوي مهم لحكام هذا الزمن، ليتقوا الله في مال الناس، وحقوقهم، وليبتعدوا عن الترف والمبالغة في السرف والبذخ والبذل على حساب أقوات الجوعى والمحرومين من عامة من يحكمونهم، ما يدفع الناس للتدبر من حكاهم، واليأس من عدلهم واللجأ للمخالفة والمنازعة 2.

ص: 97

والمشاغبة عليهم. والنصح مؤثّر ومفيد، إذا كان صاحب الأمر والناصح أول الملتزمين لما يطرحه وينصح به، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام، بأعلى وأسمى درجات رياضة النفس، وهو مَنْ قنع من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، وما كنز تبرا، ولا ادّخر وفراً، ولا حاز من أرضها شبراً، ولا أعدّ لبالي ثوبه طمراً. وللدنيا في عينه أوهى من عفصةٍ مقرّةٍ فإن كان قدوة الناس وحاكمهم يتأسّى به الفقير والمعوز، وكان مثلاً رائعاً كاملاً لعفة النفس، وكرامة الروح، وجلال الخلق، وعظيم القناعة وبالغ الرضا، فلا يتبيغ فقير بفقره في دولته، ولا يخاف مظلوم من ضياع حقه، ولا يتجرأ ظالمٌ فيأخذ ما ليس له ولا يتجاوز عاملٌ لأكثر ممّا خُصّص إليه، بل العدل والإنصاف دستور، وخلق القرآن سنّته.

\*\*\*

«58» عهده للأشتر 291 الصفحة 581، كتبه له لَمَّا ولّاه على مصر

وأعمالها، وهو أطول عهدٍ كتبه وأجمعه للمحاسن.

ومن جملته قوله عليه السلام: [وارد إلى الله ورسوله ما يُضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال تعالى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ...] واستشهد بالآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (1). ويُفسّر الآية بقوله عليه السلام: [فالردُّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردُّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة].

ما يضلّعك المراد ما يُشكل عليك من أمور ومحكم كتابه نصّه .

ص: 98

1- سورة النساء، الآية: 59.

الصريح وسنته الجامعة: فسنة رسول الله كلها جامعة ولكن رويت عنه صلى الله عليه وآله وسلم سنن افرقت بها الآراء، فإذا أخذت فخذ بما أجمع عليه ممّا لا يختلف في نسبه إليه.

وفي نفس العهد الصفحة 594، يوصي عليه السلام بالوفاء عند الوعد وعدم الخلف، فالخلف يوجب المقمت عند الله والناس، وذكر الآية المباركة:

(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) (1)).

وقد مدح الله نبياً من الأنبياء هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بصدق الوعد. وكان يقال: وعد الكريم نقدٌ وتعجيل، ووعد اللئيم مطلٌ وتعطيل.

كتب أحدهم: حق لمن أزهَرَ بقولٍ أن يثمر بفعل. قال أبو مقاتل الضَّرير، قلتُ لأعرابي: قد أكثر الناس في المواعيد، فما قولك فيها؟ قال: بس الشيء! الوعد مشعلٌ للقلب الفارغ، متعبَةٌ للبدن الخافض، خيره غائب، وشره حاضر.

وفي الحديث المرفوع: عِدَّة المؤمن كأخذٍ باليد.

\*\*\*

«59» من كتاب له رقم 293 الصفحة 598، إلى معاوية.

وهو من جملة الكتب التي كان يترسل بها مع معاوية، مرّةً لتنبهه وإعلامه خطورة ما يسعى إليه من بثّ الفتن وتفريق شمل المسلمين، وأخرى يردُّ بها على رسائل كان يبعث بها لأمير المؤمنين عليه السلام، وثالثة يفنّد ويسفّه آراءه وما يستدرج به عامة الناس وبسطاءهم من أقاويل واتهامات يُرسلها كيف يشاء، تحقيقاً لأغراضه الخبيثة كاتّهام الإمام عليه السلام بدم عثمان 3.

ص: 99

1- سورة الصّف، الآية: 3.

واتخاذ هذه التهمة الباطلة ذريعة لتحقيق مبتغاه وطمعه في طلب ما ليس له به حق.

وهذا أحد كتبه عليه السلام إلى معاوية بين بطلان ادعائه في قضية مقتل عثمان، ومنه قوله عليه السلام: [فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته أنت وأهل الشام بي]. غدوت: وثبت.

يقول الشيخ محمد عبده: وتأويل القرآن: صرف قوله تعالى، واستشهد بالآية المباركة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ... 178 وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... 179) (1). وتحويله إلى غير معناه، حيث أفنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان منه.

وعصبته: ربطته أي أنك وأهل الشام ربطتم دم عثمان بي وألزمتوني ثأره، كما تلزم العصابة الرأس.

وفي نفس الكتاب الصفحتان 598 و 599، يقول عليه السلام مخاطباً معاوية: [لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك] ويذكر الآية: (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (87) (2).

والباحة: الساحة.

\*\*\*

«60» من كتاب له الرقم 305 الصفحة 614، إلى عامله على مكة قُثم بن العباس. 7.

ص: 100

---

1- سورة البقرة، الآيتان: 178 - 179.

2- سورة الأعراف الآية: 87.

يقول: [وَمُرَّ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِي أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ ...]، وجاء بالآية الشريفة: (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) (1)

ويفسر ذلك بقوله: [فالعاكف: المقيم به، والبادي: الذي يحجُّ إليه من غير أهله].

\*\*\*

«61» في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 78 الصفحة 642، وكان أحدهم سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟

ذكر في كتاب «الغرر» الشيخ أبو الحسين رحمه الله ما رواه عن الأصبع بن ثبابة من سؤال السائل وجواب الإمام عليه السلام له: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطناً، ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره، فقال السائل: عند الله أحسب عنائي، ما أرى لي من الأجر شيئاً. فقال الإمام: مه، لقد عظم الله أجركم في مسيركم ومنصرفكم، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين فقال الشيخ السائل: وكيف القضاء والقدر ساقانا؟ فقال: ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازماً، وقدرًا حتمًا! لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأتي لائمة من الله لمذنب، ولا محمداً لمحسن، ... إن الله سبحانه أمر تخبيراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً. واستشهد عليه السلام بالآية: (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ 27) (2) فقال الشيخ: فما القضاء والقدر 7.

ص: 101

1- سورة الحج، الآية: 25.

2- سورة ص، الآية: 27.



اللَّذَانِ مَا سَرْنَا إِلَّا بِهِمَا؟ قَالَ: هُوَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُكْمُ، وَتَلَا قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) (1)

فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته \*\*\* يوم الشُّور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان مُلتبساً \*\*\* جزاك ربُّك عتاً فيه إحسانا

والقضاء والقدر: من الألفاظ المشتركة، قد يكون بمعنى الحكم والأمر.

يقول الشيخ محمد عبده: القضاء علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها وفي أوضاعها والقدر: إيجادها لها عند وجود أسبابها، ولا شيء منها يضطرُّ العبد لفعلٍ من أفعاله، فالعبد وما يجد من نفسه من باعثٍ على الخير والشر، واختيار الشخص هو دافعه إلى ما يعمل، والله يعلمه فاعلاً باختياره إمّا شقيّاً به وإمّا سعيداً، والدليل ما ذكره الإمام عليه السلام.

\*\*\*

«(62) في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 88 الصفحة 644، وروى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: [كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما فدوونكم الآخر فتمسّكوا به. أمّا الأمان الأوّل الذي رُفِعَ: فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا الأمان الباقي فلا استغفار] واستشهد بالآية: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا

ص: 102

1- سورة الإسراء، الآية: 23.

كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) (1).

يقول الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

\*\*\*

«(63) ومن الحكم رقم 93 الصفحة 645، قوله: [لا يقولنَّ أحدكم «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الفتنة» لآته ليس أحدٌ إلا وهو مشتملٌ على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعد من مضلّات الفتنة، فإنَّ الله سبحانه يقول ...] واستشهد بالآية الكريمة: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (2).

يقول الرضي: وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام في التفسير. ويكمل عليه السلام توضيح الآية والمقصود من كلامه فيقول: [ومعنى ذلك أنه سبحانه يختبر عباده بالأموال والأولاد ليتبين السَّخَطَ لِرِزْقِهِ، والراضِي بِقِسْمِهِ، وإنَّ كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ والعقاب، لأنَّ بعضهم يُحِبُّ الذكور ويكره الإناث، وبعضهم يُحِبُّ تثمير المال، ويكره انثلام الحال].

تثمير المال: إنماؤه بالربح. والثلام الحال نقصه.

والفتنة: لفظ مشترك، فتارة تطلق على البليّة التي تصيب الإنسان، وتارة تُطلق على الاختبار والامتحان، وأخرى تُطلق على الإحراق كقوله تعالى: (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ 13) أي يُحرقون، وتارة تُطلق على الضلال كقوله تعالى: (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ 162) أي مضلين. هذه 8.

ص: 103

1- سورة الأنفال، الآية 33.

2- سورة الأنفال، الآية: 28.

إطلاقات لفظ الفتنة، فمن استعاذ منها وأراد: البليّة أو الإحراق أو الضلال فلا بأس بذلك، وإن أراد الاختبار والامتحان فغير جائز، فالله أعلم بالمصلحة، وله أن يختبر عباده ولا ليعلم حالهم، فهو عالم بكلّ حال، بل ليعلم بعض عباده حال بعض.

\*\*\*

«64» في باب الحكم رقم 96 الصفحة 646.

قوله عليه السلام: [إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به] ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (1)

وقال: [إنّ وليّ محمّد من أطاع الله، وإنّ بُعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمّد من عصى الله وإنّ قرّبت قرابته].

لحمته: نسبه.

يقول ابن أبي الحديد: هكذا في الرواية «أعلمهم» والصحيح «أعملهم»، لأنّ استدلاله بالآية يقتضي ذلك، وكذا قوله: «إنّ وليّ محمّد من أطاع الله...»، فلم يذكر العلم، وإنّما ذكر العمل.

\*\*\*

«65» في باب الحكم رقم 99 الصفحة 646.

سمع رجلاً يقول: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (2). فقال عليه السلام: [إنّ .

ص: 104

1- سورة آل عمران الآية: 68.

2- سورة البقرة الآية: 156.

قولنا: «إِنَّا لِلَّهِ» إقرارٌ على أنفسنا بالمُلْك، وقولنا: «وإِنَّا إِلَيْهِ راجعون» إقرارٌ على أنفسنا بالهُلْكَ [.

فقولنا: «إِنَّا لِلَّهِ»: اعترافٌ بأنَّ مملوكون لله وعبيدٌ له، فاللام لام التملك، كما تقول: الدار لزيد.

وإِنَّا إِلَيْهِ راجعون: إقرارٌ بالتَّشور والقيامة، فهو معنى الرجوع إليه سبحانه. وذكر عليه السلام الهلْكَ، لأنَّ هُلْكنا مفضٌّ إلى رجوعنا يوم القيامة إليه، فعبرَ بمقدِّمة الشيء عن الشيء، كما تقول: الفقر الموت، ونحو ذلك.

\*\*\*

«66» في باب الحكم رقم 131 الصفحة 655، عند رجوعه من صفين، وقد أشرف على القبور بظاهر الكوفة، خاطب أهل القبور، وهذا بعضٌ منه: [أما الدور فقد سَكنت، وأما الأزواج فقد نُكحت وأما الأموال فقد قُسمت هذا خبرٌ ما عندنا، فما خبرٌ ما عندكم؟] ثمَّ التفت إلى أصحابه فقال: [أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنَّ «خير الزاد التقوى»] وتلا: (حَيْرَ الزَادِ التَّقْوَى) (1).

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله: «زر القبور تذكر بها الآخرة، ولا تررها ليلاً، وغسل الموتى يتحرك قلبك، فإنَّ الجسد الخاوي عِظَةٌ بليغة، وصلَّ على الموتى فإنَّ ذلك يُحزنك، فإنَّ الحزين في ظلِّ الله (2).

وقال الحسن السبط عليه السلام: مات صديقٌ لنا صالح فدفتاه ومددنا على القبر ثوباً، فجاء صيلة بن أُشيم، فرفع طرف الثوب ونادى يا فلان:9.

ص: 105

1- سورة البقرة، الآية: 197.

2- أخرجه الحاكم في «المستدرک» 139.

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ \*\*\* وَإِلَّا فَاِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيَا

وفي الحديث المرفوع: أنه عليه السلام كان إذا تبع الجنائز أكثر الصُّمات، ورُئي عليه كآبة ظاهرة، وأكثر حديث النفس.

وسمع الحسن عليه السلام امرأة تبكي خلف جنازة وتقول: يا أبتاه، مثل يومك لم أره! فقال: بل أبوك مثل يومه لم يره.

وجاء في الحديث: ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضح منه (1).

وأيضاً: القبر أول منزل من منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر، ومن لم ينج منه فما بعده شرُّ منه (2).

\*\*\*

(67) في باب الحكم رقم 136 الصفحة 657.

قال عليه السلام: [من أُعطيَ أربعاً لم يُحرم أربعاً: من أُعطيَ الدُّعاء لم يُحرم الإجابة، ومن أُعطيَ التَّوبة لم يُحرم القبول، ومن أُعطيَ الاستغفار لم يُحرم المغفرة، ومن أُعطيَ الشُّكر لم يُحرم الزيادة].

قال الرضي: وتصديق ذلك كتاب الله تعالى: واستشهد بالآيات البيِّنات لكلِّ حالة:

ففي الدعاء قوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (3)، وفي الاستغفار قوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا).

ص: 106

---

1- في كتاب «الزهد» للترمذي، باب ما جاء في ذكر الموت 2308.

2- نفس المصدر السابق.

3- سورة غافر، الآية: 60.

رَحِيمًا) (1) وقال في الشكر: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (2)، وقال في التوبة: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ<sup>ط</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (3).

وفي بعض الروايات إن ما نسب إلى الرضي من استنباط هذه المعاني من القرآن الكريم من متن كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

المراد بالدعاء: ما كان مقرونًا بالاستعداد للعمل لنيل المطلوب، والتوبة والاستغفار: ما كانا ندمًا على الذنب، مع عدم العود إليه، والشكر: تصريف النعم في وجوهها المشروعة.

\*\*\*

(68) في باب الحكم رقم 205 الصفحة 671.

قوله عليه السلام: [لا يُزهدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضع الكافر، ] وذكر الآية: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ 134) جاء في آل عمران 134 و 138 والمائدة 93.

وأخذ ابن أبي الحديد هذا المعنى وقال:

لا تُسدينَّ إلى ذي اللؤم مكرمةً \*\*\* فإنه سبَّح لا يُنبُت الشجرا

فإن زرعَ فمحموظٌ بمضیعةٍ \*\*\* وأكلُ زرعك شكرُ الغير إن كفر

\*\*\*

ص: 107

1- سورة النساء، الآية: 110.

2- سورة إبراهيم، الآية: 7.

3- سورة النساء، الآية: 17.

قوله عليه السلام: [لتعطفنَّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الصُّروس على ولديها]، وتلا قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) (1))

الشماس: امتناع ظهر الفرس من الركوب. الصُّروس: الناقة سيئة الخلق، تعضُّ حالبها. ومعنى القول: أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها، وتلين بعد خشونتها، كانعطف الناقة على ولدها وإن امتعت عن حالبها.

وهو عند الإمامية: إخبار المهدي (عج)، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبعض المذاهب تقول هو إشارة لملك السفاح والمنصور وابني المنصور بعده، فهم أزالوا ملك بني أمية وهذا لا يلزم لأنه لم يكونوا بالممدوحين عند الناس ولا المرضيين، وهو عليه السلام استشهد بالآية التي تجعلهم الوارثين والأئمة. ونقول الزيدية: إنه لا بد من أن يملك الأرض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد، وإن لم يكن أحد

منهم الآن موجوداً.

والقول الأول يرجحه ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: لو لم يكن من الدنيا إلا يومٌ واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يظهر مهدئنا فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً. وجاء الحديث بألفاظ شتى، ولكنها بمعنى واحد وغاية واحدة.

\*\*\*

«70» في باب الحكم رقم 236 الصفحة 676.

سئل عليه السلام عن قوله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) (1)، فقال: هي القناعة.

لا ريب أنّ الحياة الطيبة هي حياة الغنى، والغنيّ: هو القنوع، وإذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجةً إلى الناس.

قيل لحكيم: لم لا تغتم؟ قال: لأني لم أتخذ ما يغمّني فقدته. وقال شاعر:

فمن سرّه ألا يرى ما يسوءه \*\*\* فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقداه

وقال آخر:

غنى النفس ما يكفيك من سدّ حاجةٍ \*\*\* فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنا فقرا

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خير الكلام: ليس الغنى بكثرة العَرَض، إنّما الغنى غنى النفس.

\*\*\*

«71» في باب الحكم رقم 233 الصفحة 676.

قال عليه السلام في الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (2). العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضُّل.

ص: 109

---

1- سورة النحل، الآية: 97.

2- سورة النحل، الآية: 90.



«72» في باب الحكم رقم 319 الصفحة 698.

قال له بعض اليهود: ما دفتّم نبيكم حتّى اختلفتم فيه. فقال عليه السلام إنّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتّى قلتّم لنبيكم]، وذكر الآية المباركة: (وَاجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ وَإِلَهُةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) (1)).

وقوله: اختلفنا عنه لا فيه: إنّ الاختلاف لم يكن في التوحيد والنّبوة، بل في الفروع، نحو الزكاة والميراث. واليهود اختلفوا في التوحيد الذي هو الأصل. وما أحسنه استنتاج، واستشهاد بالآية الكريمة.

وغاية جهل اليهود في تصرّفهم مع نبيهم موسى عليه السلام، فبعد مشاهدتهم الآيات والأعلام، وخلصهم من رقّ العبوديّة، وعبورهم البحر بانشقاقه، ومشاهدة غرق فرعون وأتباعه وجنده، طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كعباد الأصنام، فاتخذوا العجل لذلك.

\*\*\*

«73» في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 343 الصفحة 703.

قوله عليه السلام: [ الأفاويل محفوظة، والسرائر مبلّوة ] وذكر قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) (2)).

والسرائر: ما أسرّ في القلوب من التّيات والعقائد.

مبلّوة: بلاها: اختبرها وعلمها، فظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله .

ص: 110

1- سورة الأعراف الآية: 138.

2- سورة المدثر الآية: 38.

سبحانه. والآية تعني: الأنفس مرهونة بأعمالها، فإن كانت خيراً خلصتها، وإن كانت شراً حبستها.

قال عمر بن عبدالعزيز للأحوص لما قال:

ستبلى لها في مضمرة القلب والحشا \*\*\* سريرة حب يوم تبلى السرائر

إنك يومئذ عنها لمشغول.

وقال عليه السلام: [اتقوا الله فكم من مؤملٍ ما لا يبلغُهُ، وبانٍ ما لا يسكُنُهُ، وجامعٍ ما سوف يترُكُهُ، ولعلَّه من باطلٍ جمعه ومن حقٍّ منعه أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً فبَاءَ بوزره وقدم على ربِّه أسفاً لاهفاً قد...] واستشهد بالآية: (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) (1).

وأما الآمال التي لا تبلى، فأكثر من أن تُحصى، ولا نهاية لها.

وما أحسن قول الشاعر:

واحسرتا مات حظي من وصالكم \*\*\* وللحظوظ كما للناس أجال

إن متَّ شوقاً ولم أبلغ مدى أمني \*\*\* كم تحت هذي القبور الخرس آمال؟

\*\*\*

«74» في باب الحكم رقم 370 الصفحة 710.

يستشهد عليه السلام بقول الله تعالى: (فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيران)، وهو حديثٌ قدسي فإن هذا القول الذي وضع بين قوسين قرآنيين لم يكن موجوداً في القرآن الكريم.

\*\*\*

ص: 111

1- سورة الحج، الآية: 11.

«75» في باب الحكم وقصار / المكلمات رقم 376 الصفحة 712، قوله عليه السلام: [لا تأمننَّ على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله تعالى ...] وذكر الآية: (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ 99) (1)

وقوله عليه السلام: [ولا تئاسنَّ لشرِّ هذه الأمة من رَوْحِ الله لقوله تعالى ...] وذكر الآية: (إِنَّهُ لَا يَنفَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ 87) (2)

ورَوْحِ الله: رحمته.

وتفسير كلامه عليه السلام: أنه لا يجوز القول: فلان نجا ووجبت له الجنة، ولا فلان هلك ووجبت له النار. وهذا القول، حق، لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامة العاقبة، والأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلا إن مات عليها.

\*\*\*

«76» في باب الحكم رقم 433 الصفحة 724.

قوله عليه السلام: [الزهدُ كلُّه بين كلمتين من القرآن ...] واستشهد بقوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (3).

ويُكمل عليه السلام: [ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه]. 3.

ص: 112

1- سورة الأعراف الآية 99.

2- سورة يوسف، الآية: 87.

3- سورة الحديد، الآية: 23.

من لم يأس على الماضي: لم يحزن على ما نفذ به القضاء. وقد ورد ذكر الزهد فيما مضى.

\*\*\*

«77» باب الحكم رقم 461 الصفحتان 729 و 730.

قوله عليه السلام: [يأتي على الناس زمانٌ عَضُوضٌ، يعَضُّ الموسر فيه على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك] وذكر قوله تعالى: (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (1).

[ينهذ فيه الأشرار، ويُستدَلُّ الأخيار، ويُباع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن بيع المضطرين].

العضوض: الشديد: أي كلب على الناس كأنه يعصمهم. ينهد فيه الأشرار: ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم، ويُستدَلُّ أهل الدين وأهل الخير.

ويكون فيه بيع على وجه الاضطرار، كمن باع ضيعته وهو ضعيف إلى صاحب ضيعة قوي، ذي ثروة وعزّ وجاه فيمنعه الماء ويستدله حتى يُجبره على بيعه ضيعته، وذلك منهي عنه، لأنه حرام محض.

\*\*\*

وفي الصفحة 729 كانت آخر الآيات القرآنية المجيدة التي استشهاد بها أمير المؤمنين أثناء خطبه ورسائله وكتبه وحكمه، وما وجدنا من لطائف الاستخراج ومحاسن الاستنباط الاستنباط من الآيات. 7.

ص: 113

1- سورة البقرة، الآية: 237.

فلا بدّ للقرآن من ترجمان وهو عليه السلام ترجمان القرآن، وريب رسول مُنزل القرآن وخليفته، وتلميذه الذي أخذ عنه العلوم التي وهبها ربّه إليه. ولطالما كان المسلمون بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، يلجؤون إليه في استخراج الأحكام الشرعية، وفي الفتوى والحدود. وهناك من الأمور والقضايا التي لم يُبتل بها أحد في زمن النبيّ، فلم تُبين تفاصيل تشريعاتها وحدودها التي أمر بها الله سبحانه.

فقد سئل عن حدّ الخمر، فقال: ثمانون جلدة، ولمّا طلبوا منه البرهان، ذكر الآية التي فيها حدّ الافتراء ورمي المحصنات بالباطل (فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) (1)، وبين أنّ شارب الخمر يفقد عقله ويفتري لذلك.

وسئل عن القديم وزمنه، فاستدلّ بالآية الكريمة: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ 39) (2)، فحدّد القديم بستة أشهر، ذلك أنّ العرجون: وهو عود عذق النخلة بين الشمراخ إلى منبته، إذا عتق تدقّ ويتقوس ويصفر، وذلك يحدث بستة أشهر، وقد أطلق القرآن عليه بالقديم.

وعندما أرادوا إقامة الحدّ على امرأة ولدت لستّة أشهر من الحمل، منعهم، واستدلّ بالقرآن على براءتها وطهارتها، رحمها، فذكر الآية: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (3)، والآية: (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) (4)، فإذا كان الحمل والفاصل وهو الفطام ثلاثين شهراً، والفاصل عامين وهما 24 .4

ص: 114

1- سورة النور، الآية: 4.

2- سورة يس الآية: 39.

3- سورة الأحقاف، الآية: 15.

4- سورة لقمان الآية: 14.

شهرًا فيكون أقصر مدّة الحمل ستّة أشهر بعد طرح الأربعة وعشرين شهرًا من الثلاثين.

وغير هذا ما لا يُحصى من استدلالاته عليه السلام ولطائف استخراجاته ومحاسن استنباطه من كتاب الله، ما لم نجده لغيره من الصحابة، حتّى أخذوا عنه، وتعلّموا منه، ووضعوا مناهج مذاهبهم من طروحاته صلوات الله عليه.

وقد قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (1). أحصيناه: ضبطناه. والإمام المبين: كتابُ بين هو اللوح المحفوظ أو القرآن وكان عليه السلام ترجمان كلام الله، والمحصي علوم القرآن وعلوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

\*\*\*

ص: 115

---

1- سورة يس الآية: 12.



المدخل: الملاحم: جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة في الحرب.

ورد في خطب الإمام عليه السلام ورسائله وكتبه الكثير من الإخبار بالملاحم والفتن، وكانت ردود الأفعال من الناس حول ذلك متفاوتة حسب تفاوت الاستعداد عند الأشخاص.

فالنخبة المميّزة من الذين امتحن الله قلوبهم وعرفوا بالمنازل العالية من الإيمان والتقوى والعرفان كانوا يعتبرون كلام أمير المؤمنين من المسلّم به، ويأخذونه بالتصديق والتسليم لعلمهم بمنزلة ومكانة ومعرفة قائله، وإيمانهم به أنه لا يقول إلا حقاً ولا ينطق إلا صدقاً. وآخرون لم يكن استعدادهم المعرفي والثقافي يؤهل عقولهم وأفكارهم لتقبّل ما يُصرّح به أمير المؤمنين عليه السلام من أخبار وملاحم ويعتبرونها إمّا من الخوارق، أو ممّا لا يُصدّق. وطائفة من الحاسدين والمبغضين والمخالفين للإمام لم يكونوا ليتحمّلوا كلّ هذه المناقب والفضائل، التي جبل عليها وعُرف بها، فتفضّل على غيره لما يحمل من علم وعرفانٍ ومواهب.

والإمام عليه السلام في معرفته وإخباره بالملاحم ليس بدعاً، ولا منفرداً



فيه، ففي قصص القرآن الكريم الكثير من الملاحم والأخبار التي جرت على لسان بعض الأنبياء والأولياء والصلحاء.

فهذا العبد الصالح الذي اتبعه نبيُّ الله موسى عليه السلام على أن يعلمه ممَّا علَّم رُشداً، والذي يقول عنه القرآن: (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا 65)، وجاء في التفاسير أنه الخضر عليه السلام، وقال بعضهم إنه نبيٌّ، وآخرون قالوا إنه ولي وعليه أكثر العلماء.

فاشترط الخضر على موسى أن لا يسأله عن شيءٍ يفعلُه حتَّى يُحدث له منه ذكراً، ويبيته إليه، وما كان من السفينة التي خرمتها وهي في عرض البحر والغلام الذي قتله، والجدار الذي أقامه وعدَّة ما فعله الخضر. واعتراض موسى عليه السلام على الأمور الثلاثة التي فعلها الخضر، حتَّى بين له علَّتُها، وأنه ( ... وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) (1) وإنَّما آتاه الله سبحانه رحمةً منه، وعلمه من لدنه علماً. فكانت معرفته بالملك الذي يأخذ كلَّ سفينةٍ غصباً، وبالغلام الذي لو عاش لأرهق أبويه الصالحين طغياناً. وما تحت الجدار من كنزٍ ليتيمين، حتَّى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما، فهو إذا تعلَّم من ذي علم.

وما حكى القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام في الآية: (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (2).

وإخبار الناس عن مدخراتهم وما يأكلون من الغيبات التي لا يقدر عليها أحد، إلا أن تُعرف وتُعلم من مصدر كلِّ علمٍ وهو الله سبحانه.

وفي القرآن الكثير من هذا، ونكتفي بما ذكر لتجنّب الإطالة. إنَّ في 9.

ص: 118

1- سورة الكهف، الآية: 82.

2- سورة آل عمران الآية: 49.

جواب أمير المؤمنين عليه السلام لأحد أصحابه حين سمعه يذكر بعض الملاحم فقال: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، دليل على أن إخباره بأي معلومة أو خبر من أخبار الأمم والجماعات وغيرها، إنما هو تعلم من ذي علم، قال: [يا أبا كلب - وكان القائل كلبياً - ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدده الله سبحانه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (1)... فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد غير الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه [ (2)، وهكذا حددت الآية المباركة خمسة من العلوم الغيبية التي اختص بها الله تبارك وتعالى، ولم يشرك بها أحد من عباده، وما عداها فقد أكرم بعض أنبيائه وأوليائه بعلمها ومعرفتها، ليظهر منازلهم ويبين كراماتهم، فيكونون أقرب للتصديق، ولثقة الناس فيهم.

وبعد فإن أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمام تيار إعلامي مناهض من بني أمية، ومن اليهود والمنافقين وغيرهم من أعداء الدين وأعدائه، وهم يتربصون للتيل منه عليه السلام، وإذا ما عرفنا أن الكثير من أخباره بالملاحم كانت تمس بني أمية، وتنبئ بتاريخهم الأسود، وظلمهم، وما يكونون عليه من الضلال وسوء العاقبة فكان الإعلام الأموي الخبيث لا يهدأ ولا يتوانى في شنّ الحرب على أمير المؤمنين واستغلال كل شيء لإيذائه. وفي مجال ملاحمه عليه السلام بالذات فقد جتدوا إعلامهم للتشويش وقلب الحقائق وإرسال الأقاويل، والاعتراض عليه والتشكيك بأقواله، ليؤثروا في ثقة الجمهور بإمامهم، وحتى يعيبوا مصداقيته عندهم.

ص: 119

1- سورة لقمان الآية: 34.

2- نهج البلاغة الخطبة رقم 126 الصفحة 275.

وكان لهم الأتباع والمروّجين لإعلا-مهم المغرض من المنتفعين والمنافقين الذين ما أحبّوا أمير المؤمنين ولا- رغبوا فيه لنفاقهم وخبث سرائرهم وسوء عواقبهم.

ففرى عند قوله عليه السلام كلمته المشهورة: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فنةٍ تضلُّ مائة أو تهدي مائة، إلا تبتأتكم بناعقها وسانقها، ولو شئت لأخبرتُ كلَّ واحدٍ منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه».

فاعترضه تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي قائلاً: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما والله إنني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به! ولقد أخبرت بقيامك ومقالك، وقيل لي إن على كلِّ شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزك، وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحصُّ على قتله (1).

وكان ابنه «حصين» آنذاك طفلاً، ثم كبر وصار على شرطة عبيدالله ابن زياد وخرج مع عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام، فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام.

وإن كان المعترض على أمير المؤمنين ليس أمويّاً بالنسب إلا أنه كان كذلك بالرأي والاعتقاد والهوى، حتّى أن أثر إرهابات الأمويين، وبهتانهم نراه جليّاً في تاريخنا الإسلامي، الذي كُتب الكثير من فصوله بأيدي أمويةٍ، وبأقلام إعلاميين مرتزقة كانوا يكتبون بأجر ويؤرّخون بمال. وإن الأثر هذا لا زال قائماً حتى اليوم، ففرى من يعترض على كلام نهج البلاغة، ويدّعي أنه من وضع الشريف الرضي وليس من كلام الإمام عليه السلام، فما أن وجدوا كلاماً في تاريخ أجدادهم، ومثالبهم حتّى .

ص: 120

قالوا ذلك ليس من قوله ليحرموا كلَّ متذوّق من أن يستفيد من هذا الكنز، ويتعلّم ويأخذ من هذه المعارف. وليدفعوا مخازي آبائهم ومساويء تاريخهم، لعلمهم أنّ قولاً مثل قول عليّ عليه السلام، جديرٌ بالمسلمين الوثوق والاعتقاد به، فدواء ذلك عندهم دفعه بأكمله ليخلصوا أنفسهم من حساب من هذا التاريخ.

ونحن هنا لسنا في معرض الردّ على من زعم بأنّ نهج البلاغة منحول، فقد اجتهد لذلك الكثير من أصحاب الضمائر وأبطلوا هذا الزعم السخيف.

وقد وردت كلمة «سلوني قبل أن تفقدوني»، وبألفاظٍ مختلفة في

النهج بالخطبة 92 الصفحة 210 ومن كلامه رقم 187 الصفحة 387. ويحقّ لنا أنّ نسأل هنا: ألا يودُّ أصحاب الألباب أن يقيّض الله لهم في زمانهم من يقول مثل هذا القول «سلوني قبل أن تفقدوني» فيستثمروا ذلك أعظم استثمار، ويستفيدوا به أجلّ فائدة؟

أهو مبلغٌ وعيهم، وغاية إدراكهم؟

أم سوء حظّنا نحن الذين جننا في زمنٍ ليس فيه مثل علي بن أبي طالب؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لقد علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم ألف باب يُفتح لي من كل باب ألف باب. وملاحمه عليه السلام إحدى هذه الأبواب التي تعلّمها من خاتم الرسل وسيّد الكائنات الذي قال فيه: أنا مدينة العلم وعليّ بأبها.

\*\*\*



من كلامه رقم 13 الصفحتان 66 و 67، ذمّ فيه أهل البصرة، وقال: [كأنني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها].

وفي رواية: [وايم الله لتغرقنّ بلدتكم حتىّ كأنّي أنظرُ إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة، أو نعامه جائمة].

وقول آخر: [كجؤجؤ طيرٍ في لجة بحر].

وفي رواية أخرى: [بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها من الماء، وأبعدها من السّماء، وبها تسعةُ أعشار الشّرّ. المحتبس فيها بذنبه، والخارج بعفو الله. كأنّي أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء، حتىّ ما يرى منها إلّا شرفُ المسجد، كأنّه جؤجؤ طيرٍ في لجة بحر].

الجؤجؤ: الصدر. جائمة: من جثمّ: أي وقع على صدره أو تلبّد بالأرض.

وقد قع ما أوعد به أمير المؤمنين بالبصرة غرقت مرتين في أيام القادر بالله مرّة، وأخرى في أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلّا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الوضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ومن جهة

الجبل المعروف بجبل السّنام، وخربت دورها وغرق كما ما في ضمنها وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروف عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم.

ومعنى قوله: أبعدا من السّماء، أنّها في أرضٍ منخفضةٍ والمنخفض عادةً أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه.

\*\*\*

## (2) في بليّة الفرقة ومحنة الشتات

من كلامه رقم 16 الصفحتان 68، 69.

قوله عليه السلام: [ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهبيّتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والذي بعثه بالحقّ لتبليبلنّ بلبلة، وتغربلنّ غربة، وتساطنّ سوط القدر، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصرنّ سابقون كانوا سبقوا].

لتبليبلن: لتخلطن. لتغربلن: لتقطعنّ من غربة اللحم: أي قطّعته ويجوز أن يكون من الغريال الذي يغربل به الدقيق. لتساطنّ: من السوط، وهو أن تجعل شيئين في القدر وتضرب بعضهما ببعض حتّى يختلطا.

وقوله: سوط القدر، أي كما تختلط المواد الموضوعّة فيه عند غليانه، فينقلب أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، وذلك حكاية عمّا يؤولون إليه من الاختلاف، وتقطع الأرحام، وفساد النظام.

ويمكن تفسير تنبئه عليه السلام بوصول معاوية إلى مقام الخلافة، وقد كان في قصوره عن ذلك المقام بحيث لا يظنّ وصوله إليه. وقصّر آل البيت عليهم السلام عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس إليه.

ص: 124

أما بليّة العرب التي كانت محيطيّة بهم، يوم بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هي بليّة الفرقة ومحنة الشتات حيث كانوا متباغضين متنافرين، يدعوا كلُّ لعصبيّته، ويضرب بعضهم رقاب بعض، وتلك هي مهلكة الأمم. وقد صاروا إليها بعد مقتل عثمان، فُبعثت العداوات التي قتلها الدّين، وجاشت روح الشحناء من الأمويين لاستئصال شأفة الإسلام والانقضاض عليه.

\*\*\*

### (3) في أهل النهروان

من الخطبة رقم 36 الصفحة 109.

قوله عليه السلام: [فأنا نذيرٌ لكم أن تُصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، على غير بيّنةٍ من ربّكم ولا سلطانٍ مُبينٍ معكم].

النهروان: اسمٌ لأسفل نهرٍ بين الخافيق وطرفاء على مقربةٍ من الكوفة، بطرف صحراء حروراء. وأعلاه يُقال له تامر.

أمّا الخوارج، فالذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم، وقد جهروا بعداوتهم ونقضوا بيعته وصاروا له حرباً. وهؤلاء يلقَّبون بالحروريةٍ لاجتماعهم في حروراء. ورئيس هذه الفئة الضالّة «حرقوس بن زهير السعدي» ويُلَقَّب «بذي الثدية»، تصغير ثدي.

والأهضام: جمع هضم، وهو المطئنُّ من الوادي.

والغائط: المراد به المنخفضات وما سفل من الأرض.

وهم أول المجبيين لأهل الشام عند رفع المصاحف، وقد نهاهم أمير المؤمنين عليه السلام عن إجابتهم وقال: إنهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا إلى حكمها، وإنهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقُّ

ص: 125



مقطعه ولم يبق إلا أن يُقطع دابر الذين ظلموا. فخالفوا واختلفوا، فوقفت الحرب. وتكلم الناس في الصلح والتحكيم، فاختار معاوية عمرو بن العاص، واختار أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري، ولم يقبل به الإمام واختار عبدالله بن عباس، لكنهم لم يرضوا به، واختار الأشر ولم

يُطيعوا، وأصرّوا على أبي موسى الأشعري، فوافقهم مكرهاً. وانتهى التحكيم بانخداع الأشعري لعمرو بن العاص، وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية، ثم صعود ابن العاص وإثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين، بطريق الغش والخديعة لا بتحكيم القرآن والتزام أمر الله.

وقد تحقّق ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، فقد سقطوا في معركة النهروان صرعى بأثناء النهر ومنخفض الوادي، ولم ينج منهم إلا دون العشرة. صرّوا على غير بيّنة ولا سلطان.

ذُكر في الصّحاح: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم، يدعى «ذو الخويصرة» فقال: اعدل يا محمد فقال الرسول: قد عدلت فقال له ثانية: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ومن يعدل إذا لم أعدل! فقام عمر فقال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه، فقال: دعه فسيخرج من ضنّضيء هذا قومٌ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ... يقرؤون القرآن لا- يُجاوز تراقيهم. آيتهم رجلٌ أسود - أو قال: أدعج مخدج اليد، إحدى يديه كأنه ثدي امرأة، أو بضعةٌ تدرّدر (1) «الضنّضيء: الأصل والمعدن. الأدعج: المظلم الأسود. مخدج اليد: ناقص اليد. البضعة: القطعة».

وفي بعض الصّحاح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر، وقد غاب .

ص: 126

الرجل عن عينه: قم إلى هذا فاقتله، فقام ثم عاد وقال: وجدته يصلي فقال لعمر مثل ذلك، فعاد وقال: وجدته يصلي، فقال لعلي عليه السلام مثل ذلك، فعاد وقال: لم أجده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو قُتل هذا لكان أول فتنة وآخرها، وذكر الحديث (1). وفي بعض الصحاح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقتلهم أولى الفريقين بالحق.

وفي مسند أحمد عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامراً ولأسفله النهروان، بين الخافيق وطرفاء، قالت: ابغني على ذلك بيّنة، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك، قال: فقلتُ لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: إنهم شرُّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة (2). وعن مسروق أيضاً في «كتاب صفين» للمدائني، أن عائشة رضي الله عنها قالت له لما عرفت أن علياً عليه السلام قتل ذو النُدَيَّة: لعن الله عمرو بن العاص: فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية، إلا أنه ليس يمنعني من نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتله خير أمّتي من بعدي.

\*\*\*

#### (4) في ذكر الكوفة

من كلام له رقم 47 الصفحتان 120 و 121، قوله عليه السلام: [كأنّي بك يا كوفة تُمَدِّينَ مَدَّ الأديم العكاظي، تُعْرِكِينَ بالنوازل، وتركيبن بالزلازل].

ص: 127

1- تخريج الحديث السابق.

2- أخرجه مسلم كتاب «الزكاة» باب شرِّ الخلق والخليقة 1067.

وإني لأعلم أنه ما أراد بك جباراً سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل].

العكاظي: نسبة إلى عكاظ، وهو سوقٌ كانت تقيمه العرب بناحية مكة في صحراء بين «نخلة والطائف» يجتمعون إليه بداية شهر ذي القعدة ليتعاطوا، أي يتفاخروا كلُّ بما لديه من فضيلة وأدب، ويتبايعوا فيه أيضاً، وأكثر ما يُباع فيه الأديم، وهو الجلد المدبوغ، فنُسب إليهما.

قال أبو ذؤيب:

إذا بُني القبابُ على عكاظٍ \*\*\* وقام البيعُ واجتمع الألوْفُ

وعندما جاء الإسلام هَدَمَ ذلك.

تُعرِّكين: من عركتهم الحرب إذا أتعبتهم. والنوازل: الشدائد. والزلازل: المزعجات من الخطوب.

وقوله تُمدِّين: تصويرٌ لما ينالها من العسف والخبط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في فضل الكوفة: يُحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً، وجوههم على صورة القمر. وقوله: هذه مدينتنا ومحلّتنا، ومقرُّ شيعتنا. وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: اللهم ازم من رماها وعاد من عادها.

وقوله: تربةٌ تُحبُّنا ونُحبُّها.

وقد تحقّق ما قاله عليه السلام عن الكوفة، فقد نالها من العسف والظلم والعدوان الشيء العظيم، على يد ابن زياد والحجاج وغيرهما من الظالمين صنائع بني أمية وأتباعهم.

أمّا ما همّ به الجبارة وأرباب السلطان لها من سوء، ودفاع الله عنها فكثير ومنه:

قال المنصور العباسي لجعفر الصادق عليه السلام: لقد هممتُ أن أبعث إلى الكوفة من ينقص منازلها، ويُجمّر نخلها، ويستصفي أموالها، ويقتل أهل الريبة منها، فأشّر عليّ. فقال الصادق عليه السلام: إن المرء ليقندي بسلفه، ولك أسلاف ثلاثة: سليمان أُعطي فشكر، وأيوب ابتلي فصبر ويوسف قَدَرَ فغفر، فاقتدِ بأبهم شئت. فصمت المنصور قليلاً، ثم قال: قد غفرت.

وروى ابن الجوزي في «المنتظم»، أن زياداً لما حصَبَهُ أهل الكوفة وهو يخطبُ على المنبر، هم أن يُخرَب دورهم، ويُجمّر نخلهم، فجمعهم في المسجد، وعرض عليهم البراءة من عليّ عليه السلام، وهو يعلم أنهم سيمنتعون، فيحتجّ بذلك على استئصالهم، قال ابن السائب الأنصاري: فإني مع نفرٍ من قومي، والناس يومئذٍ في أمرٍ عظيم، إذ غفوت فرأيتُ شيئاً أقبل طويلاً العنق أهدر أهدل فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النَّقَّادُ ذو الرقبة، بُعثتُ إلى صاحب هذا القصر. فاستيقظت مرعوباً، وقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا من القصر مَنْ يقول: انصرفوا، فإنَّ الأمير يقول لكم: إني عنكم اليوم مشغول، فإذا بالطاعون قد ضرب ابن زياد فكان يقول: أجد في نصف جسدي مثل حرِّ النار حتّى هلك. فقال ابن السائب:

ما كان منتهياً عمّا أراد بنا \*\*\* حتّى تناوله الرِّقَّادُ ذو الرِّقبة

فأثبت الشَّقَّ منه ضربةً عظمتُ \*\*\* كما تناول ظلاماً صاحبُ الرحبة

\*\*\*

## (5) في من يأمر بسبّه

من كلام له عليه السلام رقم 57 الصفحة 130، يقول: [أما إنّه سيظهرُ

عليكم بعدي، رجلٌ رحبُ البلعوم، مُندحِقُ البطن، يأكلُ ما يجد، ويطلبُ ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنَّ سيأمركم بسبِّي والبراءة مِنِّي. فأما السَّبُّ فسبوني، فإنَّه لي زكاةٌ ولكم نجاة، وأما البراءةُ فلا تتبرؤوا مِنِّي فإنِّي ولدتُ على الفطرة، وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة].

مندحِقُ البطن: بارز البطن والدحوق في النوق إذا خرج رحمها عند الولادة. رحب البلعوم: واسع.

وقد ذهب البعض إلى أنه عليه السلام عنى به زياد ابن أبيه والبعض قال: عنى به الحجاج وقال آخرون: إنَّه عنى المغيرة بن شعبة، والظاهر أن جميع هؤلاء فيهم مواصفات سعة البلعوم وبروز البطن، والنَّهم في الأكل، وكلَّهم في إمرته وحكمه مارس سبَّ أمير المؤمنين وأمر به لسنة سنَّها معاوية. لذا ذهب البعض إلى الاعتقاد بأنَّ الإمام عليه السلام عناهم بقوله. والأكثر دقَّةً إنَّه عنى معاوية بذلك، فهو الذي أمر بسبِّه عليه السلام، وسبَّ آخرين من رموز أهل البيت صلوات الله عليهم، وجرى على ذلك طيلة حكم الأمويين، حتَّى منعه عمر بن عبدالعزيز.

وقد حدث ما قاله عليه السلام فيمن يأمر بسبِّه، وذكر أوصافه كاملة.

أمَّا قوله: فاقتلوه ولن تقتلوه، فلا تنافٍ بين الأمر بالشيء والإخبار به إنَّه لا يقع، وهذا مثل قوله تعالى: (فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (1)، ثم قال: (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) (2).

وفي مسألة السبِّ والبراءة، وكيف أجاز لهم السبِّ لخلاص الأنفس، ومنع من التبرؤ، والاتئان غير جائز! 5.

ص: 130

1- سورة البقرة، الآية: 94.

2- سورة البقرة الآية: 95.

يقول ابن أبي الحديد: عند أصحابنا لا فرق بين سبّه والتبرؤ منه، في أنّهما حرامٌ وفسقٌ كبير، وأنّ المكره عليهما يجوز له فعلهما عند خوفه

على حياته، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف. ويجوز ألا يفعلهما وإن قُتل، إذا قصّد بذلك إعزاز الدين، كما يجوز له أن يسلم نفسه للقتل ولا يظهر كلمة الكفر إعزازاً للدين. وإنّما استفحش البراءة لأنّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن إلا عن المشركين، ألا ترى قوله تعالى: (بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 1) (1)، وقوله: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) (2)، فصارت في العرف الشرعيّ مطلقة على المشركين خاصّة، فيحمل هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السب، وإن كان حكمهما واحداً. وتقول الإماميّة: إنّ حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنه عليه السلام ومن أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام حكمٌ واحد.

أما كيف علّل عليه السلام نهيه البراءة منه بقوله: فإنّي ولدتُ على الفطرة، فهذا ما لا يختصّ به وحده فإنّ كلّ واحدٍ ولد على الفطرة، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة، وإنّما أبواه يهودانه وينصرّانه (3). فإنّه عليه السلام، أراد بالفطرة العصمة، وأنّه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين قط، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيءٍ من الأشياء، وهذا ما تقوله الإماميّة.

أمّا ابن أبي الحديد فيقول: ذلك لعدّة أمور وعلل: منها أنّه ولد على الفطرة، وسبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يُعلّل بواحدة فقط، وأنّ.

ص: 131

1- سورة التوبة، الآية: 1.

2- سورة التوبة، الآية: 3.

3- أخرجه مسلم، كتاب «القدر» 2658.

مراده بالولادة على الفطرة: لم يولد في الجاهلية، لأنه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وقد جاء في صحيح الأخبار أنه صلى الله عليه وآله وسلم مكث قبل الرسالة عشر سنين يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله وسلم، والمولود فيها إذا كافي حجره وهو مَنْ يتولّى تربيته، مولودٌ في أيام كأيام النبوة، وقد ورد أنّ السنة التي ولد فيها عليّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي السنة التي بدأ فيها برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكُشف عن بصره، فشاهد أنواراً، وهي السنة التي بدأ بها بالتبثّل والانقطاع والعزلة في حراء.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتيمّن بتلك السنة وبولادة عليّ عليه السلام فيها، ويُسمّيها سنة الخير والبركة. وقال لأهله ليلة ولادته عليه السلام في الكعبة، وفيها شاهد ما شاهد من القدرة الإلهية والكرامات، ولم يكن قبلها شاهد من ذلك شيئاً: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة». وكان كما قال، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغمّاء عن وجهه، وبسيفه ثبت دينُ الله، ورسد دعائمه وتمهّدت قواعده.

وفي تفسير آخر: أي على الفطرة التي لم تتغيّر ولم تُحلّ، فلم يصدّ عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنّه حال عن مقتضاها، وزال عن موجبها.

\*\*\*

## (6) في مصير الخوارج ومالهم

من كلام له رقم 58 الصفحة 131 خاطب به الخوارج عندما

ص: 132

خطأوا الإمام في التحكيم، ونقضوا بيعته وشرطوا في العودة إلى طاعته، أن يعترف أنه كان كفر ثم آمن.

يقول عليه السلام: [أصابكم حاصب، ولا بقي منكم أبر! أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله، أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. فأوبؤا شرَّ مآبٍ وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنكم ستلقون بعدي ذُلًّا شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتخذها الظالمون فيكم سنةً].

الحاصب: ريحٌ شديدة تحمل الحصباء، والمراد دعاء عليهم بالهلاك.

أبر: يقول الرضي: من قولهم رجل أبر للذي يأبر النخل أي يصلحه. ويروى أثر وهو الذي يأثر الحديد أي يرويه ويحكيه، وهو أصح الوجوه، كأنه عليه السلام يقول: لا يبقى منكم مخبر. ويروى أبر بالزاي وهو الواثب، والهالك يقال له أبر أيضاً.

والخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا قبل التحكيم أصحابه وأنصاره في الجمل وصفين وهذا الدعاء والمخاطبة وإخبارهم عن مستقبل حالهم موجّه إليهم. وقد وقع ذلك، فإن الله سلط على الخوارج بعده الذلّ الشامل والسيف القاطع، والأثرة من السلطان، وما زالت حالهم تضمحل، حتى أفناهم الله وأفنى جمهورهم وكان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنيه الحنف القاضي، والموت الزؤام.

\*\*\*

## (7) بعض الملاحم في الخوارج

من قوله رقم 59 الصفحة 132، ورقم 60 نفس الصفحة.

ص: 133



عند عزمه حرب الخوارج، فقبل له: إنهم عبروا جسر النهروان فقال: [مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة].

ولما قُتل الخوارج قيل له: هلك القوم بأجمعهم، فقال: [كلّوا والله إنهم نُطِفُ في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلّما نَجَمَ منهم قرنُ قُطِعَ حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلايين].

قال الرضوي: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جمّاً.

وهذا الخبر من معجزاته عليه السلام وأخباره المفصّلة عن الغيوب، فقد تحقق عدم عبورهم النهر، وأنهم صرعوا بأجمعهم إلا ثمانية نجوا منهم، ومصارعهم دون النطفة كما قال تماماً، ولم يُقتل من أصحابه إلا دون العشرة. ومثل هذا الخبر لا يُحتمل التلبس لتقييده بعددٍ معين من الخوارج ومن أصحابه، ووقوعه دون زيادة أو نقصان، وذلك أمرٌ إلهيٌّ عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والرسول عرفه من جهة الله تعالى، وقابليّة البشر تعجز عن إدراك مثل هذا الأمر، وقد كان له عليه السلام من هذا الباب ما لم يكن لغيره، لاختصاصه برسول الله وبعلمه صلى الله عليه وآله وسلم.

قرارات النساء: كناية لطيفة عن الأرحام.

وكلّما نَجَمَ منهم قرن: أي كلّما ظهر وطلع منهم رئيس قُتل، حتّى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلايين، لا يقومون بملك ولا ينتصرون إلى مذهب ولا يدعون إلى عقيدة، شأنهم شأن الصعاليك الجهلة.

وقد صحَّ إخباره عليه السلام عنهم، فإنهم لم يهلكوا بأجمعهم في حرب

النهروان ودعوتهم دعا بها أقوام لم يُخلقوا في زمانه بعد، حتّى أفضى الأمر أن صار حَلَفَهُم قَطَّاع طرق، متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض.

\*\*\*

## (8) في ذمّ أهل العراق

من الخطبة 70 الصفحة 145.

قوله عليه السلام: [ ولقد بلغني أنكم تقولون «عليّ يكذب»! قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه. كلاً والله ولكنّها لهجةٌ غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها. ويُلَمُّه كَيْلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلّمنّ نبأه بعد حين!].

كان عليه السلام كثيراً ما يخبرهم عن الملاحم، ويُعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فيقول المنافقون من أصحابه: «إنّه يكذب» كما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام يرُدُّ عليهم، أنّه أوّل من آمن بالله ورسوله فكيف يجترىء الكذب على الله أو على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مع عظيم إيمانه، وكمال يقينه. وما دام الأمر متعلق بالملاحم والإخبارات الغيبية التي كان المنافقون يكذبونها، أدرجنا هذا الحديث في هذا الباب لإتمام الفائدة.

لهجة غبتم عنها ضربٌ من الكلام أنتم في غيبة عنه، أي بعيدين من معناه فلا تفهمونه، لذلك تكذبونه.

ويُلَمُّه: كلمةٌ للتعجب والاستعظام، تُقال في مقام المدح وإن كان اللفظ موضوعاً لصدّه. ومثل ذلك معروف في لسان العرب. وأصل الكلمة «ويل أمّه».

ص: 135

وقوله كيلاً: أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة بلا ثمن لو أجد حاملاً لهذا العلم، وهذا مثل قوله عليه السلام: «ها إن بين جنبي علماً جمّاً لو أجد له حملة».

وعنه عليه السلام قوله: «إن أمرنا صعبٌ مستصعب، لا يحمله إلا ملكٌ مقرب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان» (1). وهذا كلام عارف عالم بأنّ في الناس من لا يصدّقه، وهذا أمرٌ مركز في الجبلّة البشريّة، وهو استبعاد الأمور الغريبة وتكذيب الأخبار بها. ولو تأملنا أحوال أمير المؤمنين عليه السلام، في خلافته كلّها لوجدناها شبيهة تماماً بأحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، في حربه وسلمه، وكأنّها نسخة منها، وكذلك في سيرته وأخلاقه، وشكايته من المنافقين من أصحابه، والمخالفين له.

\*\*\*

## (9) في مروان بن الحكم

من كلام له رقم 72 الصفحة 150

أسر مروان في حرب الجمل، واستشفع الحسنان عليه السلام إلى أمير المؤمنين، فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين. فقال: [أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟! لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ يهوديّة! لو بايعني بكفّه لغدر بسبّته. أما إنّ له إمرةً كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر].

كفّ يهوديّة: أي غادرة ماكرة. سبّته: إسته، وكنتى به عن الغدر.

ص: 136

---

1- من كلام له رقم 187 الصفحة، 387، من نهج البلاغة طبعة الأعلمي.

الخفي، واختاره لتحقير الغادر، أو هو إشارة لما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بالعهد أو العقد، فكانوا يحبون عند ذكره استهزاءً.

لعقة الكلب أنفه: كناية عن قصر المدة، وكانت إمرة مروان تسعة أشهر. والكبش: رئيس القوم. وقيل إن الأكباش الأربعة هم أبناء عبد الملك بن مروان: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، جميعهم تولوا الخلافة، وقيل لم يتول الخلافة أربعة إخوة سواهم. وقيل هم، أولاده الأربعة، عبد الملك وتولى الخلافة، وعبد العزيز وقد ولي مصر، ومحمد الجزيرة وبشر العراق، وهؤلاء بنو مروان الصلبة.

واليوم الأحمر: اليوم الشديد، أو هو كناية عن سفك الدماء الكثيرة التي حصلت في ملكهم.

وجميع ما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه هذا وقع كما أخبر به تماماً فكانت إمرة مروان قصيرة لمدة تسعة أشهر كما ذكرنا، وكان له أكباش أربعة، حكموا وتلقّت الأمة منهم ومن أبيهم أياماً حمراء.

وعنه عليه السلام أنه قال: يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وهو يعني به مروان بن الحكم، فقد ولي الخلافة وهو ابن خمسة وستين، والحكم أبوه هو عمّ عثمان بن عفّان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفاه وطرده من المدينة، وسيّره للطائف، ولم يرجع إلى المدينة إلا في خلافة عثمان. وهو ابنه ملعونان على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال صاحب «الاستيعاب»: نظر علي عليه السلام يوماً إلى مروان، وقال له: ويلٌ لك وويلٌ لأمة محمد منك ومن بنيك إذا شاب صدغاك! وكان مروان يُدعى خيط باطل، قيل لأنه كان طويلاً مضطرباً.

\*\*\*

## (10) في بني أمية

من الخطبة رقم 86 الصفحة 183.

قال عليه السلام: [حتى يُظنَّ الظَّانُّ أنَّ الدنيا معقولةٌ على بني أمية، تمنحهم درّها وتوردُهم صفوها، ولا يُرفعُ عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها، وكذب الظَّانُّ لذلك، بل هي مُجَّةٌ من لذيذ العيش، يتطعمونها برهة، ثمَّ يلفظونها جملة].

معقولة: محبوسة، كأنهم شدّوها بعقال، كالناقة تمنحهم درّها، أي لبنها. ومُجَّةٌ من لذيذ لعيش: مصدر مَجَّ الشراب من فيه، أي قذفه ورماه. يذوقونها زماناً ثمَّ يقذفونها، فلا يبقى شيءٌ معهم

وهو إخبارٌ منه عليه السلام عن حكم بني أمية وما تنعموا به من لذة، حتى يظنَّ الناس أنها دائمةٌ لهم، وإذا هم يتطعمونها برهة والبرهة: مدة من الزمن فيها بعض الطول، ثمَّ يلفظونها جملة، وهو ما حصل لهم، وزوال ملكهم، فلم يبق منه ومنهم أثرٌ يذكر إلا سوء الذكر وسوء العاقبة.

\*\*\*

## (11) دعوني والتمسوا غيري

من الخطبة رقم 91 الصفحة 209، لما أُريد على البيعة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قوله عليه السلام: [دعوني والتمسوا غيري فإنَّ مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإنَّ الآفاق قد أغامت والمحجَّة قد تنكَّرت].

لا تقوم: لا تصبر. أغامت الآفاق: غطّأها الغيم.

ص: 138

والمحجّة الطريق. تنكرت: جُهلّت فلم تُعرف.

يقول الشارح: إنّ الأطماع تنبّهت في كثير من الناس على عهد عثمان، بما نالوا من التفضيل بالعطاء، فلا يسهل بعد ذلك أن يكونوا في مساواةٍ مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه، وطلبوا طائشة الفتنة، وهم أغلب الرؤساء في القوم، فإذا أقرهم الإمام عليه السلام على امتيازاتهم التي كانوا عليها، فقد أتى ظلماً، وخالف شرعاً، ومن نعم على عثمان يطالبون بالتصفة، فإنّ لما ينالوها تحرّشوا للفتنة. فكيف يتجه للحقّ على أمنٍ من الفتنة؟ وقد كان بعد بيعته ما تقرّس به قبلها.

ومن يحمل كلامه عليه السلام على أنّه إخبار عن غيبٍ يعلمه هو ويجهلونه هم، وهو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، واختلاف الكلمة وظهور الفتنة.

ومن حمّله محمل التضجّر منهم والتبرّم بهم، والتسخّط لأفعالهم، لعدولهم عنه من قبل، وهناك آراءٌ أخرى في هذا الفصل من قوله عليه السلام، ليس هنا مجال ذكرها. وعلى كلّ حال فإنّ الأوصاف التي ذكرها أمير المؤمنين لقادم الأيام بعد مقتل الخليفة عثمان، حصل كما قال ومثل ما وصفه.

## (12) فاسألوني قبل أن تفقدوني

من الخطبة 92 الصفحة 210 يقول عليه السلام: [ فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئةٍ تهدي مائة وتُضلُّ مائة إلا أنباتكم بناعقها، وقاندها وسائقها، ومُناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يُقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً].

ص: 139

الفئة: الطائفة. ناعقها: الداعي إليها. الركاب: الإبل. روى ابن عبدالبر في «الاستيعاب» عن جماعة من المحدثين قالوا: لم يقل أحد من الصحابة «سلوني» إلا علي بن أبي طالب.

وقال أبو جعفر الإسكافي في كتاب «نقض الثمانية» عن علي بن الجعد عن ابن شبرمة قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر «سلوني» إلا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام قَسَمَ، بقوله: «فوالذي نفسي بيده» أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلا أخبرهم به، وليس هذا ادعاءً بالربوبية أو النبوة، وإنما كان يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك.

ويقول ابن أبي الحديد: ولقد امتحننا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة.

ويُسرِد ابن أبي الحديد أمثلة كثيرة من إخباراته والتي حدثت وصدقت بأجمعها، وهي مذكورة في النهج، أو في كتب السير التي اشتملت عليها.

ولاقتضاء الحال هنا، فنحن نورد بعض الأمثلة التي أوردها ابن أبي الحديد من إخباراته عليه السلام: كإخباره عن الضربة يُضْرَبُ بها في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل ولده الحسين عليه السلام، وما قاله عن كربلاء عند مروره بها وملك معاوية من بعده وخبر الحجاج، ويوسف بن عمر، وما أخبر من أمر الخوارج بالنهران، وما قاله لأصحابه وقتل من يُقتل منهم وصلب من يُصلب وقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وهم أهل الجمل وصفين والنهران وإخباره عن عدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لَمَّا شخص إلى البصرة لحرب الجمل، وقوله عن عبدالله بن

الزبير: «خَبَّ ضَبَّ يرومُ أمراً ولا يُدرِكه ينصبُ حباله الدِّين لاصطياد الدنيا، وهو بعدُ مصلوب قريش»، وإخباره عن هلاك البصرة بالغرق، وهلاكها بالزنج تارة أخرى، وعن ظهور الرايات السود من خراسان، وذكره قومٌ من أهلها بالأسماء، كآل أهلها بالأسماء، كآل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده وإسحاق بن إبراهيم وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسية، وإخباره عن الأئمة الذين ظهرُوا من ولده بطبرستان، كالناصر والداعي وغيرهما، في قوله: «وإنَّ لآل محمد بالطالقان كنزاً سيُظهره الله إذا شاء فيدعو إلى دين الله». وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله: «إنَّه يُقتل عند أحجار الزيت»، ومقتل أخيه إبراهيم بباب حمزة: «يُقتل بعد أن يظهر ويُقهر بعد أن يقهر»، وإخباره عن قتلى وَجَّ، وقوله فيهم: «هم خير أهل الأرض». وإخباره عن المملكة العلوية في المغرب، وإخباره عن بني بويه، وقوله فيهم: «ويخرج من ديلمان بنو الصياد إشارة إليهم، وكان أبوهم صياد سمك، فأخرج الله تعالى من صلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم، وقوله فيهم: «ثمَّ يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء»، وذكر مدتهم فقال: «مائة أو تزيد قليلاً».

وإخباره عبد الله بن العباس عن انتقال الأمر إلى أولاده. وغيرها الكثير من الإخبارات الغيبية التي تحققت بالكامل، وبأجمعها موجودة في كتب السير مفصلة.

أمَّا عن سبب تقيده بالعدد مائة، بقوله: فئة تهدي مائة...، ذلك لأنَّ ما دون المائة حقير تافه لا يُعتدُّ به ليُذكر ويخبر عنه، فكأنَّه قال: مائة فما فوق.



وفي الصفحة 211 من نفس الخطبة، يقول عليه السلام في ذكر فتنة بني أمية: [ألا إنَّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنَّها فتنة عمياء مظلمة عمَّت خطتها، وخصت بليتها، ... ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه].

وقوله: عمَّت خطتها، وخصت بليتها: أي أنَّها عمَّت الناس كافة من حيث كانت رياضة شاملة لكلِّ أحد، ولكنَّ حظَّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من بليتها أعظم، ونصيبهم فيها أوفر.

وصدق صلوات الله عليه، فإنَّ بني أمية ساموهم العذاب قتلاً وصلباً وحسباً وتشريداً. وقال: حتَّى يكون انتصار أحدكم، وما بعده، أي لا انتصار لكم منهم. والصاحب من مستصحبه: أي التابع من متبوعه.

وفي الصفحة 212 من نفس الخطبة، قوله عليه السلام: [ثمَّ يُفَرِّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأسٍ مُصَبَّرةً].

تفريج الأديم: أي سلخ الجلد عن اللحم. يسومهم خسفاً: يُلْزِمهم دُلاً. وكأسٍ مُصَبَّرة: مملوءة إلى رأسها.

وهذا الكلام عن ظهور المسوِّدة، وانقراض ملك بني أمية. وقد وقع بموجب إخباره عليه السلام.

وهناك أخبارٌ مستفيضة في مسألة زوال ملك بني أمية، وحوادث جرت كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر بها، ف وقعت كما أخبر بالضبط، وقد أشرنا إليها من بعيد ودون تفصيل للاختصار، وفسح المجال للحوادث الأخرى.

من كلام له رقم 96 الصفحتان 215 و 216.

[أما والذي نفسي بيده ليظهرنَّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنَّهم أولى بالحقِّ منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقِّي].

ومن كلامه رقم 97 الصفحة 218 في ظلم بني أمية، وما يؤول إليه مصير الناس في فترة حكمهم السوداء المقيتة، فيقول: [والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلووه، ولا عقداً إلا حلّوه وحتى لا يبقى بيتٌ مدرٍ ولا وبرٌ إلا دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيهم].

ففي كلامه الأوّل يُقسم عليه السلام، أنّ أهل الشام لا بدّ أن يظهروا على أهل العراق، وذلك ليس لأنَّهم على الحقِّ وأهل العراق على الباطل، بل لأنَّهم أطوع لأمرهم ومدار التّصر في الحروب إنّما هو على انتظام أمر الجيش وطاعته لقيادته، وليس على اعتقاد الحقِّ فقط، فذلك لا يغني الجيش إذا اختلف بالآراء، ولم يُطع من يدبّر أمره.

وإنّ كان قدّمه عليه السلام بظهور أهل الشام على أهل العراق، استنتاجاً لما وصل إليه الحال من إبطاء أهل العراق عن حقِّ أمير المؤمنين وتقاؤسهم عن الجهاد وإسراع أهل الشام إلى معاوية واستجابتهم لباطله، فهو عند أكثر المحدّثين والرواة من إخباراته بالملاحم ومعرفته من طرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بذلك، وقد تحقّق الأمر على ما قاله به وأخبر به صلوات الله عليه.

وفي الجزء الثاني من كلامه عليه السلام في ظلم بني أمية:

بيوت المدر: المبنية من طوب وحجر ونحوها. وبيوت الوبر: الخيام وهو كناية عن أنّ ظلم بني أمية عامٌّ شامل لكلّ خلق الله.

نبا به سوء رعيهم: أصله من نبا به المنزل، إذا لم يو المنزل، إذا لم يوافقته فارتحل عنه، والقصد سوء سياستهم وإمرتهم، حتى يخسر العمران، فلا تتبوا الحكومة الظالمة إلا خراباً تنعق فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيها. وروي «سوء رعيتهم» أي سوء ورعهم أي سوء تقواهم.

وقد أخبرنا التاريخ عن ظلم بني أمية وسوء حكمهم وخبث إمارتهم ما ليس عليه زيادة وجدير أن تُقرأ مثل هذه الأخبار الواردة في بني أمية، ولا يلتفت لما تروجه بعض الأقلام الداعية إلى تصحيح سيرة هذا البيت الموصوف بالقرآن «بالشجرة الخبيثة»، وحتى لا تشوه الحقائق، وتُستغفل العقول، وتكثر الأباطيل، ولكي تتعرف الأجيال على تاريخها السليم الصحيح، غير المشوه، وغير المسيس، ليعرفوا ويتعرفوا على قذوراتهم فتصلح سيرتهم في مجتمعهم، لا أن يكونوا صوراً قاتمة من ذلك التاريخ القائم لمثل آل أمية، فيعم الفساد ويُظلم العباد مرة أخرى، كما ظلموا على يد الأمويين في غابر الأيام.

وقد جرى هذا الكلام منه عليه السلام، بعد التحكيم، ولطالما كان يذكر أصحابه بخطر وصول الأمويين لدفة الحكم، لما يعلمه من خبث نواياهم وبغضهم للإسلام ولنبي الإسلام وله عليه السلام، ولجميع من آمن بالله الواحد ودعوتهم للجاهلية وسعيهم لضرب كيان المجتمع الإسلامي، وأخذ ثارات آباءهم المشركين الذين سقطوا صرعى بسيف الحق على يد عليّ والصحابة الأبرار في حروب الإسلام.

وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رئي باسماء بعد أن شاهدتهم في منامه ينزون على منبره نزو القردة، وإن كانت القردة لتستكف أن تمثل بهؤلاء، وهي عند العقلاء أقل ضرراً من بني أمية وليس لها ذنوب كذنوب الأمويين.

## (14) عن المهدي (عجل الله تعالى فرجه)

من الخطبة 99 الصفحة، 221 قوله عليه السلام: [ حَتَّى يُطَلَعَ اللهُ لَكُمْ مِنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبَلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مَدِيرٍ، فَإِنَّ الْمَدِيرَ عَسَى أَنْ تَزَلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتِيهِ، وَتَثْبِتَ الْآخَرَى فترجعاً حتى تثبتا جميعاً. أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَثَلِ نَجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعَ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ].

يضمُّ نَشْرَكُمْ: يصل متفرقكم. قائمتيه: رجليه. خوى: غاب.

وهذا الكلام فسره الكثير على أنه يعني به «الإمام المهدي المنتظر» رُوحِي فداه وعجل الله تعالى فرجه وظهوره الشريف.

وقبل هذا الكلام، كان أمير المؤمنين يتحدث عن نفسه الشريفة.

قال: [فَإِذَا أَتَمَّ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ].

ويقصد نفسه، أي أطعموه وأجللتموه، ثم أخبرهم بموته، وأنهم يلبثون بعده ولم يحدّد ذلك بوقت وقال: ما شاء الله، ثم يُطَلَعُ اللهُ مَنْ يَجْمَعُهُمْ وَيَضُمُّهُمْ، وهو إشارة واضحة للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

وقوله: فلا تطمعوا في غير مقبل، ولا تياسوا من مدبر: أنه نهاهم أن يطمعوا في صلاح أمورهم على يد رئيس غير مستأنف الرئاسة، وهو معنى مقبل، أي قادم، فكلّ الرئاسة التي تشاهدونها لا تطمعوا في صلاح أموركم على يدها، إنّما ذلك يكون على يد هذا المقبل الموعود، الذي هو المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

ولا تياسوا من مدبر: أراد أن منّا إذا تضطرب أو تزل إحدى رجليه

ثبتت الأخرى فثبتت الأولى وتتنظم أموره، فلا تحاربوا أحداً منّا، ولا تيأسوا من إقبال من يدبر أمره منّا. ثم ذكر أنّهم أي أهل البيت عليهم السلام كنجوم السماء، كلّما خوى نجمٌ طلع نجم. وقد وعد عليه السلام بقرب الفرج، وأنّ ما تأملون به أمرٌ قد قرب وقته، وهذا على نمط المواعيد الإلهية بقيام الساعة، فكُلّ الكتب المنزلة صرّحت بقرب وقوعها، وإن كانت عندنا بعيدة، فالبعيد في معلوم الله قريب، وقد قال سبحانه: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا) (7) (1).

وفي جزئي الحديث الذي ذكرناه لأمر المؤمنين عليه السلام، فيه إخبارٌ منه بالملاحم: الأوّل عن المهدي وظهوره وصفته والثاني، إعلامهم أنّهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه، وطاعتهم له. وهكذا وقع الأمر، فقد نُقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه وطاعةً له (عجل الله تعالى فرجه) من الشهر الذي قُتل فيه. وجاء في الأخبار أنّه عقد للحسن عليه السلام ولأبي أيوب الأنصاري وسعد بن قيس وغيرهم حتّى اجتمع له مائة ألف سيف، وتهيّأ للخروج إلى الشام، فضربه اللعين ابن ملجم، فكان من أمره ما كان، وانفضّ من حوله جمعهم، وكانهم غنمٌ فقدت راعيها.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله عن المهدي (عجل الله تعالى فرجه): إنّ من من ولد الحسين، - وذكر حليته - فقال: أجلي الجبين، أفنى الأنف، ضخم البطن، أزيل الفخذين، أبلج الثنايا، بفخذه اليمنى شامة. ذكر هذا الحديث عبد الله بن قتيبة في كتاب «غريب الحديث».

\*\*\*

ص: 146

1- سورة المعارج، الآيتان: 6، 7.

من الخطبة 100 الصفحتان 222 و 223، وهي من الخطب المشتملة على الملاحم.

كان أمير المؤمنين عليه السلام، في بعض خطبه، يُخبر بالملاحم، ويذكر الأخبار التي ذكرها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن جميع من يستمع إليه من أصحاب اليقين والإيمان، أو من العارفين بمنزلة الإمام، ومكانته العلمية السامية التي تؤهله لحمل مثل هذه العلوم. فكان منهم من يُنكر عليه ما يقوله، أو يتهمه بادعاء الغيب من نفسه، ومنهم من لم يصرح بذلك، فينظر بعضهم لبعضٍ تغامزاً بالإنكار لما يقول، وغير ذلك. لهذا فإنه عليه السلام طالما كان يذكرهم أنه لا يقول إلا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنه قوله: [فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أتيتكم به عن النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم. ما كذب المبلّغ، ولا جهل السامع].

فلق الحبة: أي شقها وأخرج منها الورق الأخضر، قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) (1).

برأ النسمة: أي خلق الإنسان. يقول ابن أبي الحديد: وهذا القسم، أي: «فلق الحبة وبرأ النسمة»، هو من مبتكرات أمير المؤمنين ومبتدعاته، وكان دائماً يُقسم به.

والمبلّغ والسامع هو نفسه عليه السلام، أي: ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعمداً، ولا جهلت ما قاله فأنقل عنه خطأً.

ثم يقول: [ولكأني أنظر إلى ضليلٍ قد نعق بالشام، وفحص برايته 5.

ص: 147

في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته، واشتدَّت شكيمته، ونُقِلت في الأرض وطأته، عصَّت الفتنةُ أبناءها بأنيابها وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها. فإذا أُنِع زرعها، وقام على ينعها، وهَدِرت شقاشقُهُ، وبرقت بوارقه، عُقدت راياتُ الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم، هذا وكم يخرقُ الكوفة من قاصف ويمرُّ عليها من عاصف، وعن قليل تلتفُّ القرون بالقرون، ويحصدُ القائم، ويحطمُ المحصود]

ضليل: شديد الضلال مبالغ فيه. النعيق: صوت الراعي بغنمه. فحص براياته: يُريد أنه نصب له رايات بحث لها في الأرض مركزاً. كوفان: هي الكوفة، والكوفة في الأصل: اسم الرملة الحمراء، وبها سميت الكوفة. فغرت فاغرته: فتح فاه. كناية عن الافتراس، كما يفتح الأسد فاه عند الافتراس.

الشكيمة: شديد المراس، شديد النفس، والشكيمة في الأصل: حديدة معترضة في اللجام في فم الدابة. كلوح: عبوس. والكدوح: آثار الجراحات، واحدها كدح وهو الخدش.

وقصد بقوله: «من الأيام» ثم قال: «من الليالي»، أي أنّ هذه الفتنة مستمرة، لأنّ الزمان ليس إلاّ النهار والليل.

أينع زرعها: حان قطافه. وقام على ينعها حالة نُضجها. هدرت شقاشقه: الشقاشقة: مثل الرثة يُخرجه البعير من فيه إذا هاج. وبرقت بوارقه: سيوفه ورماحه. يخرق الكوفة: يقطعها. والقاصف: الريح القويّة تكسر كلَّ شيءٍ تمرُّ عليه.

وهذا كناية عن عبدالملك بن مروان فهذه الصفات التي ذكرها

هي فيه أتم منها في غيره. فقد قام بالشام عندما دعا لنفسه، وهذا معنى نعيقه. فحصدت راياته: تارة حين شخص إلى الكوفة وقتل مصعباً، وتارة عندما استخلف الأمراء عليها. واشتداد وطأته، بإمارة الحجاج على الكوفة. وتفاقم الفتن مع الخوارج، وعبدالرحمن بن الأشعث. وعندما كمل أمر عبدالملك، وهو معنى قوله: «أينع زرعه» هلك، وهاجت الفتن بعده، كحروب أولاده مع بني المهلب ومع زيد بن علي عليه السلام، والفتن القائمة بالكوفة أيام يوسف بن عمر، وخالد القسري، وغيرهم. وما جرى من استئصال الأموال وذهاب الأنفس.

وقال بعضهم، إنه عليه السلام كنى عن معاوية بن أبي سفيان وما حدث في زمانه من فتنٍ وأحداثٍ يزيد وعبيد الله بن زياد، وما كان من واقعة قتل الحسين عليه السلام، وغيرها.

والأول: أرجح لأن معاوية في أيام أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد نعق في الشام، ودعاهم إلى نفسه، وكلام الإمام يدلُّ على أنَّ الناعق يأتي بعده.

ثم وعد عليه السلام بظهور دولة أخرى، فقال: وعن قليل تلتفت القرون بالقرون، وهو كناية عن دولة بني العباس وظهورها على دولة الأمويين. والقرون: واحدها قرن وهو الأجيال من الناس.

ويحصد القائم، ويحطم المحصود: إخبار منه عليه السلام عن قتل الأمراء من بني أمية في الحرب وقتل المأسورين منهم صبراً.

فحصد القائم: قتل المحاربة منهم. وحطم الحصيد: القتل صبراً، وهكذا وقعت الحال مع عبدالله بن علي، وأبي العباس السفاح.

\*\*\*



من كلام له رقم 101 الصفحتان، 223، 224، يُندَرُ فيه صلوات الله عليه بظهور الفتن الشديدة فيقول: [فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة، ولا تُردُّ لها راية، تأتيكم مزومة، مرحولة، يحفزها قائدها ويجهدها ركبها، أهلها قومٌ شديدٌ كلبهم، قليلٌ سلبهم يُجاهدهم في سبيل الله قومٌ أذلةٌ عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون، فويلٌ لك يا بصرةٌ عند ذلك من جيشٍ من نعم الله، لا رهج له ولا حسٌ وسييتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر].

لا تقوم لها قائمة: لا تثبت لمعارضتها قائمة خيل، أي لا سبيل إلى قتال أهلها. مزومة مرحولة: تامة الأدوات وكاملة الآلات كالناقة التي عليها رحلها وزمامها. يحفزها: يدفعها.

يجهدها: يحمل عليها فوق طاقتها. و الكلب: الشدة. السلب: ما يأخذه القاتل من المقتول، من سلاح وغيره، والمراد أن همهم القتال لا السلب أي ليسوا من أهل الثروة.

الرهج: تحرك الغبار. والحس: الجلبة والأصوات.

الموت الأحمر: كناية عن الجوع والوباء. الأغبر: كناية عن المحل ووصف الجوع بالأغبر، لأن الجائع يرى الآفاق مغيّرة.

واختلفت الآراء في تفسير هذا الفصل فقومٌ قالوا إنه أشار إلى الملائكة بقوله: «مجهولون في الأرض، معروفون في السماء»، ولكن لفظ «أذلة عند المتكبرين» يُبعد هذا الوصف.

وفسره قومٌ بأصحاب الزنج، وفتنة صاحبهم وهو علي بن محمد بن

عبد الرحيم من بني عبدالقيس، ادعى أنه علوي ومن أبناء محمد ابن أحمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين والتفّ حوله الزنوج الذين كانوا في السّ باخ المحيطة بالبصرة، وخرج بهم على المهتدي العباسي سنة 255 هـ، وكثر أصحابه واستفحل أمره وملك «أبله» وفتك بأهلها، واستولى على «عبادان» و«الأهواز» وسمّى عاصمته «المختارة»، وقد قتله الموفق أخو المعتمد بعد معارك شديدة وحصار طويل. وقد فرح الناس بقتله أشدّ الفرح، لانكشاف رزئه عنهم. وقال البعض إنّ هذا بعيد لأنّ أصحاب صاحب الزنج كانوا شديدي السلب والنهب ولأنّ الإمام عليه السلام أنذر أهل البصرة بهذا الجيش عند حدوث الفتن، ولم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتنّ شديدة على ما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام.

وسيأتي ذكر صاحب الزنج في ملاحم أخرى ذكرها الإمام عليه السلام، وربّما هذا إنذار بملحمة تجري في آخر الزمان تخصّ البصرة أكثر من سواها، والله أعلم.

\*\*\*

## (17) وصف آخر الزمان

من الخطبة رقم 102 الصفحة 226، يُزهد في الدنيا، ويصف الناس وأخلاقهم في بعض الأزمان، فيقول: [ وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كلُّ مؤمن نُومَةٍ، إنّ شهد لم يُعرف، وإنّ غاب لم يُفتقد، ... سيأتي عليكم زمانٌ يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه ].

نومة كثير النوم، وقصد به البعيد عن الأشرار ومشاركتهم في شرورهم. ثمّ ذكر أنّه سيأتي على الناس زمانٌ تنقلب فيه الأمور الدينيّة إلى أضدادها وتناقضها، وقد شهدنا ذلك عياناً.

ولأمير المؤمنين عليه السلام، الكثير من قبيل هذه الأوصاف للأزمة التي تلت عليه السلام، وقد تحقّق ما قاله

وبموجب ما وصفه.

\*\*\*

## (18) نهاية الأمويين

من الخطبة رقم 104 الصفحة 229، قوله عليه السلام: [فأقسم بالله يا بني أمية عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم].

في هذا القسم خاطب بني أمية وصرّح لهم بأنّ ملكهم سيزول ويصير بيد عدوهم، ووقع الأمر بموجب ما أخبر عليه السلام فبعد أن بقي الأمر في أيدي بني أمية تسعين عاماً، عاد إلى البيت الهاشمي، وانتقم الله منهم على يد أعدائهم شرّاً انتقام.

وكان آخر خلفاء بني أمية «مروان بن محمد» الملقّب بالحمار، وقد سار إليه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس في جيش عظيم والتقى بالزاب من أرض الموصل، وهُزم مروان، واستولى عبد الله على عسكره وقتل من أصحاب مروان خلقاً كثيراً.

وفرّ مروان هارباً إلى الشام وعبد الله يتبعه، حتى صار إلى صعيد مصر، فتبعه عبد الله وقتله هناك، وقتل خواصّه وأتباعه وبطانته وكان عبد الله قد قتل على نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين قريباً من ثمانين رجلاً، وكذلك أخوه داود بن علي قتل في الحجاز من بني أمية قريباً من هذا العدد.

ومما يروى عن مهلكة بني أمية على أيدي بني العباس ما جاء في «الكامل»: دخل شبيل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي، وقد أجلس ثمانين من بني أمية على سمط الطعام، فأنشد:

ص: 152

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ \*\*\* بالبهايل من بني العباسِ

طلبوا وتر هاشمٍ وشَفَوْها \*\*\* بعد مَيَلٍ من الزَّمانِ وياسِ

لا تُقيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثاراً \*\*\* واقطَعَنَّ كلَّ رَقْلَةٍ وأواسي

واذكروا مصرعَ الحسينِ وزيدٍ \*\*\* وقتلاً بجانبِ المهراسِ

نعم شبُلُ الهراشِ مولاكَ شبُلُ \*\*\* لونجا من حبائلِ الإفلاسِ

فأمر عبدالله فشدخوا بالعمد، ووضعت البسطة عليهم، وجلسوا فوقهم، ودعا بالطعام، وإنه ليسمع أثنين حتى هلكوا بأجمعهم. ويروى هذا الشعر وحادثته إلى سُديف مولى آل أبي لهب، قاله في حضرة أبي العباس السفاح، يروي ذلك أبو الفرج.

أما رواية المبرّد في «الكامل»، أن سُديفاً لم يقم هذا المقام ولكن كان له مقام آخر: دخل على أبي العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك، فأنشد:

لا يَعْزُتُكَ ما ترى من رجالٍ \*\*\* إنَّ تحتِ الصُّلُوعِ داءٌ دويّاً

فضع السيف وارفح السوط حتى \*\*\* لا ترى فوق ظهرها أمويّاً فقال: سليمان ما لي ولك أيها الشيخ! قتلتني قتلك الله! فقام أبو العباس، فدخل وإذا الحبل قد ألقى في عنق سليمان، ثم جروه وقتلوه.

وجاء في الخطبة رقم 105 الصفحة 233، ما يتصل بزوال ملك بني أمية، قوله عليه السلام: [وايم الله لو فرّقوكم تحت كل كوكب، لجمعكم الله لشرّ يوم لهم].

يقسم عليه السلام بالله: إن أهل الشام لو فرّقوكم تحت كل كوكب فإنّ الله سيجمعكم لشرّ يوم لهم: أي لبني أمية، وكنتي بذلك عن ظهور المسوّد

وانتقامهم من أهل الشام والأمويين، والمسودة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية.

وحصل ذلك بموجب إخباره عليه السلام كما ذكر.

\*\*\*

## (19) ظهور السفيناني

الخطبة 107 الصفحة 235 وما بعدها وهي من خطب الملاحم.

منها يقول عليه السلام: [رأية ضلالٍ قد قامت على قُطبها، وتفرقت بشعبها، تكيلكم بصاعها، وتخبطكم بباعها، قائدُها خارجٌ من الملة، قائمٌ على الصلّة، فلا يبقى يومئذٍ منكم إلا ثفالةٌ كثفالة القدرِ، أو نفاضةٌ كنفاضة العِكمِ تعركم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد].

قامت على قطبها: انتظم أمرها، واستحكمت قوتها، أو المعني بالقطب: الرئيس الذي يدور عليه الأمر.

شُعبها: جمع شعبة، أي انتشرت بفروعها. تكيلكم: تأخذكم للهلاك جملة، كأخذ الكيال للحب الذي يوزنه. تخبطكم: من خبط الشجر، أي ضربه ليتناثر ورقه، أو من خبط البعير بيده الأرض. وعبر بالباع: كناية عن الاستطاعة والاستطالة والقدرة على تناولها للقريب والبعيد. الثفالة: ما استقر من كدر، وثفالة القدر: ما بقي في قعره من عكارة، والمراد: الأرزال والسفلة.

النفاضة: ما يسقط بالنفض. والعِكم: العدل. تعركم: من عركت

الشيء، أي دلكته بشدة. الأديم: الجلد. والحصيد: الزرع المحصود. يذكر عليه السلام هنا ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفيناني

ص: 154

وغيره وعلى ما روت الأخبار عن السفيناني وفتنته، مقارِبٌ لما ذكره أمير المؤمنين في هذا المقطع من خطبة الملاحم.

وقد أشار ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الخطبة على ظهور السفيناني، وربطه بقول: «راية ضلال»، ولم يتوسّع بذكر أخبار عن السفيناني، وهي مذكورة يمكن للراغب أن يأخذها من مظانّها.

ويمكن عطف لفظ راية «ضلال على» كلّ راية من رايات الضلال التي ظهرت في مجتمع الإسلام، وأخذت باثباج الناس، وموّهت عليهم الحقائق، وأفسدت الأمور، وأبعدتهم عن طاعة الله، واستغلّت ذلك كلّه لمنافع وأغراض دنيويّة، وأطماعٍ دنيّة.

\*\*\*

## (20) غلامٌ تقيف

في الخطبة رقم 115 الصفحة 257، قوله عليه السلام:

[ أما والله لِيُسَلِّطَنَّ عليكم غلامٌ تقيفٍ الذّيّالُ الميّالُ يأكل خَضِرَتكم، ويُدَيِّبُ شحمتكم. إِيهِ أبا وَذَحَةَ! ]

غلامٌ تقيف: هو الحجّاج بن يوسف «لعنه الله». الذّيّال: الطويل القدّ، الطويل الذيل، وأصله: التائه من ذال أي تبخر، والميّال الظالم.

يأكل خضرتكم: يستأصل أموالكم. يُدَيِّبُ شحمتكم: مثل سابقتها وكلتا اللفظتين استعارة.

وقوله: إِيهِ أبا وَذَحَةَ؛ إِيهِ: كلمة يُستزاد بها من الفعل، تقديره: زد وهات ما عندك، وضدّها إِيهًا، أي كُفَّ وأمسك.

قال الرضويّ: والوذحة: الخنفساء.

ص: 155

وقال المفسرون في قصة الخنفساء وجوهاً منها: أنّ الحجاج رأى خنفساء تدبُّ بقربه فطردها وعادت ثانية، ثم طردها وعادت، فتناولها بيده ففرصته وورمت يده منها، حتّى كان حتفه من ذلك. فقتله الله تعالى بأهون مخلوقاته، كما قتل نمرود بالبقة التي دخلت أنفه.

ومنها أنّه إذا رأى خنفساء تدبُّ قريبة منه، أمر غلمانها أن يبعدها، ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً لها بالبقرة.

ومنها أنّ الحجاج رأى خنفساوات مجتمعات فقال: عجباً لمن يقول إنّ الله خالق هذه! فقيل له: ومن خلقها إذا؟ قال: الشيطان، فإنّ ربكم أعظم شأنًا أن يخلق هذه الودح. وقد كَفَّرَه الفقهاء في عصره.

ومنها أنّ الحجاج كان مثفاراً - وهو نعت سوء - وكان يُمسك الخنفساء وهي حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلا شائناً مبغضاً لأهل البيت عليه السلام.

سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس، فقال: رحمٌ منكوسة، يُوتى ولا يأتي وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله تعالى قط، ولا تكون أبداً، وإنّما تكون في الكفّار والفسّاق والناصبين للأطهار. وكان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي منهم، وهو أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مُصَفَّرُ أَسْتَه.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه: إنّ أمير المؤمنين بقوله: «إيه أبا وذحة»، على شيئاً آخر، هو أنّ العرب من عاداتهم إذا أرادوا تعظيم إنسانٍ كَنّوه بما هو مظنة التعظيم، كقولهم: أبو الهول، وأبو المقدام وأبو المغوار، وإذا أرادوا تحقيره والنقص فيه، كَنّوه بما يُستهان به، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية: أبو زنة يعنون القرد وفي كنية سعيد بن حفص

البخاري المحدث: أبو الفار، ولعبد الملك: أبو الذَّبَّانِ لِبَحْرِهِ، ومثل قول ابن بسَّام لبعض الرؤساء:

فَأَنْتَ لِعَمْرِي أَبُو جَعْفَرٍ \*\*\* وَلَكِنَّا نُحَذِفُ الْفَاءَ مِنْهُ

وقال أيضاً:

لَيْمَ دَرْنُ الثَّوْبِ \*\*\* نَظِيفُ الْقَعْبِ وَالْقَدْرِ

أَبُو النَّتَنِ أَبُو الذَّفْرِ \*\*\* أَبُو الْبَعْرِ أَبُو الْجَعْرِ

فلَمَّا كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي والذنوب والآثام، التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمثابة البعر الملتصق بشعر الشاة، كناه «أبو وذحة»، ويمكن أيضاً لدمايته وحقارة منظره، وتشوّه خلقته، فقد كان قصيراً دميماً نحيفاً، أخفش العينين معوج الساقين، قصير الساعدين، مجدور الوجه فكناه بأحقر الأشياء، وهو البعر.

وروى قوم هذه اللفظة بصيغ أخرى، منها: «إيه أبا ودجة» مفرد أوداج، كناه بها لأنه كان ذبّاحاً قتالاً يقطع الأوداج بالسيف. ومنها: «أبا وحره» وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، فشبهه بها.

ولقد روى التاريخ من قصص الظلم والجور وسفك الدماء والإسراف في زهق الأرواح والفساد من قبل الحجاج ما تشمئز منه النفوس، وتحار فيه العقول، وكتب السير فيها الشيء الوفير من هذه القصص، ما لا يُحصى من روايات جرائمه وعسفه وفساده في الأرض، وفي عباد الله الذين أكل خضرتهم وأذاب شحمتهم، كما وصف أمير المؤمنين سلطان هذا السفاح.

ص: 157



من كلامه رقم 126 الصفحة 274، يُخبر فيه عن ملاحم في البصرة، يقول: [كأنّي به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبارٌ ولا لجبٌ، ولا قعقةٌ لُجُم، ولا حمحمة خيل، يُثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدامُ النّعام ويلٌ لسكككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة التّسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يُندبُ قتيّليهم، ولا يُفتقدُ غائبهم].

اللجب: الصوت، أو الصياح. اللجم: جمع لجام. وقعقتها: ما يُسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل.

الحمحمة: صوت البرزون. السكك: جمع سكة، وهو الطريق المستوي، وهذا إخبار عمّا يصيب تلك السكك من تخريب على يد صاحب الزنج. أجنحة الدور: رواشنها، وفي تعبير هذا الزمان ما يطلق على «البالكون». خراطيمها: ميازيبها.

وقوله: لا يُندب قتيّليهم: ذلك لأنّ أكثر الزنج كانوا من العبيد، وكانوا عزاباً فلا نادية لهم. وقوله: لا يُفتقد غائبهم: يُريد كثرتهم، وأنّهم

كلّما قُتل منهم أحد، سدّ مكانه آخر، فلا يظهر أثر فقده.

هذا وإنّ خير صاحب الزنج ورد في حديث سبق، ونذكر هنا لمحا من أخباره: فقد ظهر سنة 255 هـ في البصرة، وهو من عبد قيس، واسمه عليّ بن محمد بن عبدالرحيم، وأمّه أسديّة من أسد بن خزيمه، جدّها محمد بن حكيم الأسدي من أهل الكوفة. كان مع زيد بن علي، ولمّا قُتل زيد، هرب ولحق بالرّي وجاء إلى القرية التي يُقال لها ورزنين، وبهذه القرية ولد عليّ بن محمد، وبها منشؤه.

وصاحب الزنج هذا كان متّصلاً بجماعة من حاشية السلطان يعلّم أولادهم النحو والخط والنجوم وكان حسن الشعر، فصيح اللهجة، بعيد الهمة، تسمو نفسه إلى المعالي، ولا يجد إليها سبيلاً. وكان ظاهر حاله يذهب إلى مذهب الأزارقة، في قتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى. ومن الناس من يطعن في دينه ويرميه بالزندقة والإلحاد، وهذا هو الظاهر من أمره، كما ذكر المسعودي في «مروج الذهب»، وأنه في بدايته كان متشاعلاً بالسحر والتنجيم. وقد زعم أنه «عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين عليه السلام، فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السّباخ في البصرة. وكانت له وقعات معروفة مع أهل البصرة يُهزم فيها تارة، وينتصر أخرى، حتّى كان يوم يدعى بيوم «الشّذا» (1) المذكور في أشعار لناس، وقد عظّموا ما فيه من القتل، فقد قُتل فيه جمعاً كثيراً من أهل البصرة، وأقام مع أصحابه في السّباخ، وهو يُغير مرّة ويكمن مرّة، حتّى حاز على الأبدّة في شهر رجب من سنة 256 هـ، وأحرقها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وانتهب الأموال، واستسلم أهل عبّادان بعدها لصاحب الزنج. ثمّ بعد عبّادان دخل الزنج الأهواز، وفعلوا فيها كعادتهم مثل ما فعلوا في «إيلّة» من حرق ونهب وسلب وقتل.

ثمّ كان بين الزنج وأصحاب السلطان بالأهواز وقعات كثيرة، كان الظفر فيها لصاحب الزنج. وتوالت حروبهم وفسادهم في الأرض مدّة طويلة من الزمن، ضجّ الناس فيها من ظلمهم وإسرافهم في القتل والنّهب حتّى دخلت سنة سبعين ومائتين في زمن المعتمد، وكان قد أرسل إلى حرب الزنج أخاه الموفق «أبو أحمد» طلحة بن المتوكّل، وكان عارفاً بالحرب وقيادة الجيوش مؤيّداً منصوراً، وهو الذي أخذ بغداد للمعتز، .

ص: 159

---

1- الشّذا: واحدها شذاة وهي لفظة ليست بعربية وهي ضربٌ من السفن.

وكسر جيوش المستعِين، وخلعه من الخلافة، وعقد له المعتمد على ديار مضر وقنسرین والعواصم وشخص نحو البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين.

ودارت بين «أبو أحمد» وصاحب الزنج وقائع ومعارك ومنازلات كان الأمر فيها سجالاتاً بينهما، حتى سنة سبعين ومائتان وقد كثرت إمدادات الموفق بالجيوش والعتاد والمؤن حتى تحقق له النصر على صاحب الزنج وأتباعه، وقُتل هو ومن كان معه من قواده وخواصه، وحُمل رأس صاحب الزنج إلى الخليفة وبذلك انتهت حركتهم وخفي أمرهم، وولت فتنهم.

وفي نفس كلامه ذي الرقم 126 الصفحة 275 يومىء به إلى وصف الأتراك.

يقول عليه السلام: [كأنني أراهم قوماً كأنَّ وجوههم المجانُّ المطرقة، يلبسون السَّرَقَ والديباج ويعتقبون الخيل العتاق، ويكونُ هنالك استمرارٌ قتلٍ حتى يمشي المجروحُ على المقتول، ويكونُ المفلت أقلُّ من المأسور].

المجان: جمع مجنّ وهو الترس. المطرقة: أي يُطرق بعضها على

بعض كالنعل المطرقة أو المخصوصة، والمراد مظاهره الشيء بعضه بعضاً. السَّرَق: الحرير. يعتقبون: يحتسبون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم. استمرار القتل: اشتداده.

وهذا الغيب الذي أخبر به عليه السلام، تحقق بخروج التتار من أقاصي المشرق، حتى وردت خيلهم العراق والشام.

يقول ابن أبي الحديد في تعرضه لهذا المقطع من كلام أمير

المؤمنين عليه السلام: «القد رأينا نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام»، ويُعقب بحديثه عن أفعالهم وما لاقته بلاد المشرق بأكملها وسواها من فتكهم فيقول: «وفعلوا بملوك الخطا - صنّف أصناف الأتراك - وقفجاق، وبلاد ما وراء النهر وخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم نحدّث التواريخ منذ خلق آدم إلى عصرنا هذا - عصره هو، أي ابن أبي الحديد - على مثله، فإنّ بابك الخرمي لم تكن نكايته وإن طال مدّته نحو عشرين سنة إلا في إقليم واحد وهو أذربيجان، وهؤلاء دَوَّخُوا المشرق كلّه، وتعدّدت نكايتهم إلى بلاد إرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق. وبُخت نصر الذي قتل اليهود إنّما أخرج بيت المقدس، وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل. وأي نسبة بين مَنْ كان في بيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد والأمصار التي أخرجها هؤلاء، وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم.

\*\*\*

## (22) الفنة الباغية

من كلام له رقم 135 الصفحة 285، قوله: [وإنّها للفنة الباغية فيها الحما والحمة، والشبهة المغدقة].

الحما: مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير بن العوام، فإنّه من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ابن عمّته. قالوا وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عليّاً عليه السلام أنّه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته، وهي المقصودة «بالحمة»، وأصلها الأبرة اللاسعة من الهوام، أو سمّ العقرب.

الشبهة المغدقة: الشبهة الساترة أي أنّ شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق. يقول ابن أبي الحديد:

ص: 161

وقوله عليه السلام: وإِنَّهَا لَلْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، لَامِ التَّعْرِيفِ فِي «الْفِتْنَةِ» تُشْعِرُ بِأَنَّ نَصًّا قَدْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّهُ سَتُخْرَجُ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ بَاغِيَّةٌ، وَلَمْ يُعَيَّنْ لَهَا وَقْتُهَا وَلَا كُلَّ صِفَاتِهَا، بَلْ بَعْضُ عِلْمَاتِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَرَأَى تِلْكَ الْعِلْمَاتَ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، قَالَ: وَإِنَّهَا لَلْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ أَيَّ وَإِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ، الْفِتْنَةُ الَّتِي وُعدت بِخُرُوجِهَا عَلَيَّ.

ولولا هذا لقال: «وإِنَّهَا لَفِتْنَةٌ بَاغِيَّةٌ» عَلَى التَّنْكِيرِ. ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الْعِلْمَاتِ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ، كُلُّ هَذَا يُوَكِّدُ بِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ غَيْرِهِ أَنَّ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ هِيَ تِلْكَ الْفِتْنَةُ الْمَوْعُودُ بِخُرُوجِهَا، وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنِ نَصَابِهِ، وَخَرَسَ لِسَانُهُ بَعْدَ شَعْبِهِ.

وهذا استنتاج جيد وتحليل صائب لقوله عليه السلام: «وإِنَّهَا لَلْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

وقد وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، منها قوله: يا علي ستقاتل من بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وغير ذلك، وقد عنى بالناكثين هنا هم أهل الجمل «الفتنة الباغية».

\*\*\*

### (23) الإمام الموعود

من خطبة له رقم 136 الصفحة 286، قوله:

(يعطفُ الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطفُ الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي).

هذه إشارة واضحة إلى إمام يُظهِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَهُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ هَكَذَا يُفَسِّرُهَا ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَلَكِنَّهُ يَقُولُ بَدَلَ يُظهِرُهُ اللَّهُ يَخْلُقُهُ اللَّهُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ، وَالْمَعْتَزِلَةُ يَعْتَقِدُونَ

ص: 162

بكلّ ما جاء عن المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، ويقرون جميع أحاديث التبشير به، إلا أنّهم لا يقولون بوجوده الآن ولكن سوف يخلقه الله في آخر الزمان.

ومعنى يعطف الهوى: يُقهره ويُثنيه ويعمل بالهدى، فيجعله قاهراً

له، ومنتصراً عليه.

ويعطف الرأي على القرآن: يُقهر حكم الرأي والقياس ويعمل عمل القرآن.

وفي نفس الخطبة في الصفحة 287، يذكر عليه السلام الأخبار المعنيّة بظهور عبدالملك بن مروان في الشام وملكه العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبدالرحمن بن الأشعث، وأيام مصعب بن الزبير. وما يكون من ظلمه وظلم أولاده حتّى تؤوب إلى العرب عواذب أحلامها ويقوموا بالأمر، ويزيلوا تلك الدولة التي كرهها الله تعالى، وأذن في انتقالها. وقد جرى مثل هذا القول وهذه الأخبار في أحاديث سابقة تتعلق بمروان ودولته ودولة الأكبش الأربعة.

قوله عليه السلام: [كأني به قد نعق بالشّام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الصّروس، وفرش الأرض بالرؤوس، قد فغرت فاغرت، وثقلت في الأرض وطأته].

فحص: بحث. الصّروس: الناقة السيئة الخلق تعصّ حالبها. وفرش الأرض بالرؤوس: أي غطّاها كما تُغطّى الأرض بالفراش، وهو كناية عن شدة بطشه وعظيم جرمه، وسفكه للدماء، هو وأولاده، وولاته أمثال: الحجّاج سيء الصيت.

\*\*\*

ص: 163

## (24) ما بعد الإمام عليه السلام

من الخطبة 145 الصفحتان 295 و 296 يصف الزمان الذي يأتي من بعده فيقول: [وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفى من الحقِّ ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعةٌ أبورُّ من الكتاب إذا تُلِّي حقُّ تلاوته ولا أنفقُ منه إذا حُرِّف عن مواضعه ولا في البلاد شيءٌ أنكرُّ من المعروف، ولا أعرفُّ من المنكر].

أبور: أفسد، من بار الشيء، أي هلك. أنفق منه: أروج منه.

والوصف الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام هو ما كان عليه زمن الأمويين والعباسيين وما تلا- من ولايات الظالمين، وحكومات المستبدِّين، وتأثير ذلك في نفوس الناس وابتعادهم عن الحقِّ، وكثرة الكذب في الحديث، وهجر القرآن وأحكامه، وترك الأمر بالمعروف والتَّهْي عن المنكر، وغيرها من الأمور التي ذكرها سلام الله عليه.

يقول ابن أبي الحديد: وقد رأينا ورآه من كان قبلنا أيضاً، أي الزمان الذي وصفه عليه السلام.

\*\*\*

## (25) السراج المنير

من الخطبة رقم 148 الصفحتان 299 و 300، وفيها ذكرٌ للملاحم. ففي أولها يومىء إلى فرق الضلال الذين ضلُّوا عن الطريق الوسطى التي هي منهاج الكتاب والسنة.

ونهى عن استعجال ما هو معدّ، فلا بدّ من كونه وحدوثه، وأن لا

ص: 164

يستبطنوا ما يحييء في الغد القريب. ويُصْرَحُ بظهور الفتن قبل قيام يوم القيامة الذي دنا وقته كما يذكر عليه السلام: [هذا إبان ورود كلِّ موعود ودنوُّ من طلعة ما لا تعرفون] وإبان الشيء: وقته وزمانه. والدنو: القرب، وهو إشارة لدنو يوم القيامة الموعود من الله تعالى.

ثم ذكر مهدي آل محمد (عجل الله تعالى فرجه) بقوله: [ألا ومن أدركها منا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليحلَّ فيها ربقاً، ويعتق رقاً، ويصدع شعباً، ويشعب صدعاً، في ستره عن الناس لا يبصر القائف أثره، ولو تابع نظره، ثم ليسد حذنَّ فيها قومٌ شحذ القين النَّصل، تجلى بالتنزيل أبصارهم ويرمى بالتنسير في مسامعهم، ويُعقبون كأس الحكمة بعد الصُّبح].

الربق: عرى الحبل يحلُّ، ويعتق، ويصدع، ويشعب: أي يُفَرِّق جمع الضلال ويجمع متفرِّق الحق. القائف: الذي يعرف الآثار ويتبعها.

يشحذ: يحد. القين: الحداد. والنَّصل: حديدة السيف والسكين وما يشبهها.

تجلى بالتنزيل: يعودون إلى القرآن وتدبره، فينكشف الغطاء عن أبصارهم فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله، ويعني بهم أصحاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الذين يأتونه بأمر الله ومعجزته لينصروه ويؤيدوه في إقامة دولة الحق والعدل والمساواة التي ينتظرها البشر في كلِّ أرجاء المعمورة، وهو تحقيق قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فيملوها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، ويأخذ من الظالم حقَّ المظلوم، وتنعم البشرية بحكمه وتحت رايته بالخير والنماء والبركة. يُعقبون: يُسقون كأس الحكمة صباحاً ومساءً، والمراد أنهم تُفاض عليهم الحكمة الإلهية في جميع حركاتهم وسكناتهم وسرهم وإعلانهم، وهي إشارة أيضاً لأصحابه الغرّ



الميامين وهم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة وحقيقً بمثلهم أن يكونوا أنصار وليّ الله وحبّته الذي اجتنابه الله وجعله أماناً لأهل الأرض فيظهره آخر الزمان ليكون خاتمةً أوليائه، والذي يلقي عصا التكليف عنده.

ويعود عليه السلام في الصفحة 301 إلى ذكر أصحاب المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بقوله: [ولم يَمُنُّوا على الله بالصَّبْر ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق، حتّى إذا وافق واردُ القضاء انقطاع مدّة البلاء، حَمَلُوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا لرَبِّهم بأمر واعظهم].

حين يُنهضُ الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خصَّهم بحكمته، وأطلعهم على أسرار ملكوته، فنهضوا ولم يَمُنُّوا على الله بصبرهم، ولم يستعظموا أن يبذلوا أنفسهم في سبيله، فعندما يوافق قضاء الله وقدره بانتهاة مدّة الفتنة وارتفاع ما شمل الخلق من بلائها ومحنتها وقضاء الله وقدره أيضاً بنهوض هؤلاء العارفين مع إمامهم، حمل العارفون بصائرهم على أسيافهم بمعنى أنّهم أظهرُوا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس، وكشفوها وجرّدها من أجفانها كأنّها شيءٌ محمولٌ على السيوف يُبصره من يبصر السيوف، وفسّر أبصارهم: جمع بصره وهو الدم كأنّه أراد طلبهم للثأر والدماء التي سفكها أهلُ الفتنة، وكانَ تلك الدماء المطلوبة محمولةً على أسيافهم التي جرّدها للحرب. وتأتي البصيرة أيضاً بمعنى: الترس أو الدرع.

\*\*\*

## (26) بلايا الفتن

في الخطبة رقم 149 الصفحتان 302، 303، يذكر أمير

ص: 166

المؤمنين عليه السلام ظهور الفتن وبلاياها التي تصيب الناس. واختلاف الأهواء، والتباس الآراء، حيث تغيضُ فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة.

يقول عليه السلام: [ثم إنكم معشر العرب أغراضٌ بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات التعمية، واحذروا بوائق التعمية، وتثبتوا في قَتام العشوة واعوجاج الفتنة ... ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف، ... تهربُ منها الأكياس، ويدبرها الأرجاس].

أغراض: أهداف. البوائق: الدواهي. القَتام: الغبار.

العشوة: ركوب الأمر على غير بيان. اعوجاج الفتنة: عدولها عن المنهج. الرجوف: كناية عن الشدة. والقاصمة الزحوف: الكاسرة، وسماها زحوفاً، تشبيهاً لمشيها قدماً بمشي الدّبي الذي يهلك الزرع ويبيده.

يذكر عليه السلام الفتنة، وأنها تبدو في أول أمرها وأربابها يمرحون ويشبون

كما يشبُّ الغلام ويمرح، ثم تكبر وتكبر وتنتشر، ويتوارثها قومٌ من قوم، وكلّهم ظالم، أولهم يقود آخرهم، وآخرهم يقتدي بأولهم، فهو يحذو حذوه في الانغماس بالفتنة وإثارتها. ثم يأتي طالع الفتنة الرجوف: أي مقدّمها وأوائلها، والرجوف: كناية عن شدة الاضطراب فيها. يبتعد عنها أي عن الفتنة ويهرب منها الحاذق العاقل، ويديرها ويدبرها الأشرار، وكنى عنهم بالأرجاس.

وكم رأى الناس مثل هذه الفتن ومدبريها والمرّوجين لها، وحاملي راياتها في سائر الأزمان، وكما وصفها صلوات الله عليه وبموجب إخباراته عنها حتى أنّها لا تنقضي حسب روايات أهل البيت عليهم السلام وروايات أهل العلم والمعرفة والحديث إلى أن يظهر الله تعالى من يقصم

ص: 167

ظهر الفتن ويزيل الظلم والجور عن أهل الأرض، ويشمل بعدله وقسطه كل البشر، وتعود حكومة الحق والإنصاف التي وعد الله بها عباده المخلصين الذين يرثون الأرض بأمره تعالى

\*\*\*

## (27) أخبرنا عن الفتنة

من كلام له رقم 154 الصفحة 313 قاله بعد أن سأله رجل: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟ فقال عليه السلام: [لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ (الم 1 أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ 2) (1) علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا] إلى آخر كلامه عن إخبار النبي له عن الفتن وأهلها.

وقد ذكرنا هذا الحديث وتفصيلاته في الباب الأول من هذا الكتاب وتحت الرقم (33)، ولكن أحببت أن أضيف هنا رأي الشيخ محمد عبده رحمه الله في معرض شرحه لهذا المقطع، وتحقيقه عن إشكال الشارحين يكون الآية التي ذكرها عليه السلام مكّيّة، والسؤال الذي سأله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الفتنة التي أخبره الله بها في الآية الكريمة، كان بعد أحد، ووقعها كانت بعد الهجرة، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الإمام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون «العنكبوت» مكّيّة بجميع آياتها، يقول محمد عبده في ذلك: والذي أراه أن علمه يكون الفتنة لا تنزل والنبي بين أظهرهم كان عند نزول الآية في مكّة، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدّين، واهتمام هؤلاء برّد كيد أولئك ثم بعد ما .

ص: 168

خَفَّتِ الوِطَاءُ، وصفا الوقت لاستكمال العلم، سأل هذا السؤال، فالفاء في «فقلت لرسول الله ... إلخ» لترتيب السؤال على العلم والعلم كان ممتدّاً إلى يوم السؤال، فهي لتعقيب قوله لعلمه والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عمّا قبلها، وإن امتد زمن ما قبلها سنين، وهذا الاستتاج يقابله رأي آخر لابن أبي الحديد في هذه المسألة، بقوله: إن الآيتين 1، 2 من العنكبوت أنزلت بالمدينة خاصّة، وأضيفت إلى السورة فغلب عليها نسب المكيّ لأنّ الأكثر كان في مكّة، ومثل هذا في القرآن الحكيم كثير. وذكر أمثالا لذلك.

وأما مغزى قوله عليه السلام في هذه الخطبة، كان يدور حول الملاحم، وإخباره عن الفتن التي ستُصيبُ الناس من بعده، وقد حدث منها الكثير وبموجب ما أخبر به صلوات الله عليه وبالأوصاف والدلالات التي ذكرها عن تلك الفتن.

\*\*\*

### (28) ظلم بني أمية، وزوال ملكهم

في الخطبة رقم 156 الصفحتان 317، 318، منها، يقول عليه السلام: [فعند ذلك لا يبقى بيتٌ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلّا وأدخلهُ الظُّلمةُ تَرَحَةً، وأولجوا فيه نِقْمَةً، فيومئذٍ لا يبقى لكم في السّماء عاذرٌ، ولا في الأرض ناصر ... ثم يقول: فأقسمُ ثمّ أقسمُ، لتتخمنّها أمية من بعدي كما تُلْفِظُ التُّخامةُ، ثمّ لا تدوِّقُها ولا تنطعمُ بطعمها أبداً، ما كرّر الجديدان].

وهذا إخبارٌ عن ملك بني أمية من بعده، وزوال ذلك الملك بعدما يتفاقم فسادهم، ويعمُّ ظلمهم، وتكثر بوائقهم.

والتُّخامة: ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المخاط.

جاء في كتب المحدثين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنّ بني أمية تملك الخلافة من بعده، وقد ذمّهم وذمّ ملكهم ذلك. فقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في تفسيره للآية المباركة: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) (1)، أنّه رأى بني أمية ينزون على منبره تزوّ القردة، فساءه ذلك، ثمّ قال: الشجرة الملعونة: بنو أمية وبنو المغيرة. وقيل إنّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الرؤيا لم يُشاهد باسماء إلى أن مات صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحو ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دُولاً وعباده خولاً (2)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (3). قال: ألف شهر يملك فيها بنو أمية.

وروي عن النبيّ في ذم بني أمية الكثير منه قوله: أبغض الأسماء إلى الله الحكّم وهشام والوليد. وقوله: اسمان يبغضهما الله: مروان والمغيرة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله يبغض بني أمية ويحبّ بني عبدالمطلب. وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام: ثمّ لا تذوقها أبداً، وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مدّة من الزمن.

يقول ابن أبي الحديد في ذلك: والاعتبار في الملك بملك العراق، والحجاز، وما عداهما من الأقاليم لا اعتداد به. ألا وإنّهم ملكوا وظلموا وجاروا وأفسدوا، ولو لم يكن من ظلمهم إلّا قتل سيّد شباب أهل الجنة، .

ص: 170

1- سورة الإسراء، الآية: 60.

2- أخرجه الحاكم في (المستدرک) 8478، وأبو يعلى 6523.

3- سورة القدر، الآية: 3.

وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين الشهيد صلوات الله عليه، لكفى في تفردهم بالظلم والجور والكفر ومحاربة الله ورسوله، ثم إنهم مضوا وانمحي ملكهم وعاف أثرهم، وخاب وخسر سعيهم، ولم يُخلفوا وراءهم غير الذم واللعن، والخسران. ومن ورائهم عذاب الله وانتقامه الذي توعد به الظالمين.

\*\*\*

### (29) الإمام المقتول

من كلامه عليه السلام الرقم 162 الصفحتان 331 و 332 كَلَّمَ به عثمان لَمَّا شكاهُ الناس وسألوه مخاطبته عنهم، واستعبابه لهم، من جملة: [وإني أنشدك الله أن لا تكونَ إمامَ هذه الأُمَّة المقتول، فإنه كان يُقال: يُقتلُ في هذه الأُمَّة إمامٌ يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبسُ أمرها عليها، ويُبثُّ الفتنُ فيها، فلا يُبصرون الحَقَّ من الباطل، يمجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مَرَجاً].

المرج: الخلط.

وقد خَوْفه أن يكون الإمام المقتول الذي يفتح الفتن بقتله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كلاماً مثل هذا القول عن الإمام المقتول.

\*\*\*

### (30) هلاك بني أمية

من الخطبة 164 الصفحة 340، فيها ذكرٌ للملاحم.

في قوله عليه السلام: [افترقوا بعد ألفتهم، وتشتتوا عن أصلهم، فمنهم

ص: 171

أَخَذَ بَغْصِنٍ أَيْنَمَا مَالٌ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ فَرْعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رَكَامًا كَرَكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مَسْتَشَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ [1].

الْقَزَعُ: الْقَطْعُ الْمَتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. الرِّكَامُ: السَّحَابُ الْمَتْرَاكُمُ. وَسِيلُ الْجَنَّتَيْنِ: وَالَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ «سِيلَ الْعَرَمِ» الَّذِي عَاقَبَ بِهِ سَبًّا لَمَّا بَطَرُوا النَّعْمَةَ، فَدَمَّرَ جَنَّتَهُمْ.

يَذْكُرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَالَ أَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَفَرَّقَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ عِنْدَهُ. ثُمَّ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَا بَدَّ أَنْ يَجْمَعَهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةَ، وَهَكَذَا كَانَ، فَإِنَّ الشَّيْعَةَ الْهَاشِمِيَّةَ اجْتَمَعَتْ عَلَى إِزَالَةِ مَلِكِ بَنِي مَرْوَانَ.

وَيَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [وَأَيْمُ اللَّهِ لِيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمَكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ].

فِي أَيْدِيهِمْ: الضَّمِيرُ لِبَنِي أُمِّيَّةَ، وَالْأَلْيَةُ: الشَّحْمَةُ.

وَقَدْ ذَهَبَ مَلِكُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعُلُوِّ وَالتَّمَكِينِ وَالِاسْتِعْلَاءِ فِي الْأَرْضِ وَالطَّغْيَانِ وَذَابَ كَمَا تَذُوبُ الشَّحْمَةُ فِي النَّارِ.

فِي الصَّحِيحِينَ، صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قَرِيشٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَرَلُوهُمْ» [1] وَيَعْنِي بِهِمْ «أُمِّيَّةً». 7.

ص: 172

---

1- أخرج البخاري في «المناقب» 3604، ومسلم في الفتن 2917.

من الخطبة رقم 185 الصفحة 384، وهي في ذكر الملاحم. يُخبر عليه السلام عن أولياء الله وأصفيائه، فيقول: [ألا بأبي وأمي هم من عدّة أسماؤهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة] وهنا لا يمكن العطف على الأسماء بالأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام، لأنّ الأئمة الأطهار أسماؤهم معلومة لأهل الأرض وليست مجهولة كما ذكر صلوات الله عليه، والأرجح أنّه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله في الأرض، والذين ادّخرهم الله سبحانه، ليؤازروا إمام آخر الزمان الذي يُظهره الله رحمةً للعالمين. فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وفي ذلك ما لا يُحصى من الأحاديث المرويّة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أمير المؤمنين عليه السلام وباقي الأئمة الأطهار.

فأسماؤهم معروفة لأهل السماء أي تعرفها الملائكة، وقد أعلمهم الله بها وهي أسماء مجهولة لأهل الأرض، والمقصود عند أكثر أهل الأرض مجهولة لاستيلاء الضلال على أكثر البشر. وإلا فإنّه لا يمنع أن يكون من أهل الأرض، ولو كانوا قلة قليلة، يعرفون هذه الأسماء، وبلدانهم وسيرتهم. ثمّ يُخاطب أصحابه ويبيّن لهم الملاحم والفتن في آخر زمان الدنيا، وعلامات ظهور أصحاب هذه الأسماء مع إمامهم الموعود.

يقول عليه السلام: [فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم، وانقطاع وصلكم، واستعمال صغاركم]. وهذه من علامات الساعة.

ويُعقب عليه السلام: [ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم في حله! ذاك حيث يكون المعطي أعظم أجراً من المعطي، ذاك حيث تسكرون من غير شراب، بل من النعمة والتّعيم، وتحلقون من غير



اضطرار، وتكذبون من غير إحراج، ذاك إذا عصَّكم البلاء كما يعصُّ القَتْبُ غارب البعير. ما أطول هذا العناء! وأبعد هذا الرجاء!].

وهذه بعض تلك العلامات التي يعاينها الناس في آخر الزمان ونحن ومن سبقنا قد وجدنا وشاهدنا هذه العلامات وغيرها. ومما ذكره عليه السلام عن أهل آخر الزمان أنّ المكاسب تكون قد فسدت واختلطت، وغلب حرامها وحلالها. والمتصدّق فيه يكون ماله حراماً، فلا أجر له بالتصدّق، وأنّ أكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة، أو لهوى نفسه. ذلك حيث تسكرون ... إلخ: يعني بها غضارة العيش، وقد قيل في المثل: سُكر الهوى أشدّ من سُكر الخمر.

وتحلفون من غير اضطرار: التهاون باليمين وبذكر الله عزّ وجل.

وتكذبون من غير إحراج: يصبح الكذب عادة، وروي: من غير إحواج بالواو، أي من غير أن يحوجكم إلى الكذب أحد.

القتب: الأكاف. والغارب: ما بين العنق والسنام.

وقوله: ما أطول هذا العناء، وما أبعد: حكاية عن لسان شيعته وأصحابه وأهل التقوى، عند معاينتهم هذه العلامات.

\*\*\*

### (32) علم الإمام عليه السلام

في الخطبة رقم 187 الصفحة 387، قوله عليه السلام: [سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السَّماء أعلمُ منّي بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنةً تظاً في خطامها، وتذهب بأحلام قومها].

شغر برجله: رفعها. والجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها.

وتطأ في خطامها: تتعثر فيه، كناية عن طيشها وعدم قائد لها. فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض: ما اختصّ به من العلم بمستقبل الأمور، وخاصة في الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول منه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب، ولمرات كثيرة جداً، ممّا يُزيل الشكّ في أنه يُخبر عليه السلام عن علم ومعرفة، علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر هو ذلك أكثر من مرة بقوله: «علّم من ذي علم»: أي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم رسول الله من الله تبارك وتعالى. وإنّ هذا الإخبار بالغيبيات ليس على طريق الاتّفاق، فلو كان كذلك لكان الاتّفاق لمرات معدودة وليس لمئات المرات التي ذكرها وأخبر عنها. وقد أوّل البعض قوله عليه السلام: فلأنا بطرق السماء، وما بعدها، قالوا: أراد به الأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهيّة وعبر عنها بطرق السماء، لأنّها أحكام إلهيّة. وعبر عن الأمور الدنيويّة بطرق الأرض، لأنّها من الأمور الأرضيّة. والأوّل أظهر لأنّ فحوى الكلام، وذكره للملاحم والفتن والأخبار في أوّله يدلّ على أنّه هو المراد.

وقد ورد مثل هذا الكلام «اسلوني قبل أن تفقدوني» سابقاً وفي هذا الباب تحت الرقم (12).

\*\*\*

### (33) أصحاب القلب

من الخطبة رقم 190 الصفحة 412، وتُسمّى القاصعة، وهي في ذمّ الكبير.

يذكر عليه السلام في بعض ما جاء بهذه الخطبة عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يُخاطب طواغيت قريش: [وإني لأعلم أنّكم لا تقيئون إلى خير وإنّ فيكم من يُطرح في القلب، ومن يُحزّب الأحزاب].

ص: 175

القليب: البئر، والمراد به قليب بدر. الأحزاب: متفرقة من القبائل اجتمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وقعة الخندق.

وهذا من إخبارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن الذين طرحوا في قليب بدر من المشركين، وقد قتلوا في المعركة التي سميت باسم ذلك القليب أي «بدر» وكانوا نيفاً وعشرين من أكابر قريش، منهم عتبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس، وعمرو بن هشام بن المغيرة، المكّي بأبي جهل، والوليد بن عتبة، وغيرهم. ومن يُحزّب الأحزاب: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، جمع القبائل المتفرقة من العرب وجاء بهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة الخندق، أو ما تُسمى بالأحزاب، التي انتصر فيها المسلمون على جميع الأحزاب، بعد أن قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن عبد ودّ العامري وجماعة عبروا الخندق، فتصدّى لهم أمير المؤمنين، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال.

\*\*\*

### (34) رفع المصاحف

من كتاب له رقم 248 الصفحة 500، إلى معاوية يقول فيه: [فكأنّي قد رأيتك تضحّ من الحرب إذا عصّتك ضجيج الجمال بالأثقال، وكأنّي بجماعتك تدعوني - جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع، - إلى كتاب الله، وهي كافرّة جاحدة، أو مبايعة حائدة].

تضحّ: تصوّت. الجاحدة: المنكرة. الحائدة: العادلة عن البيعة بعد الدخول فيها، أو العادلة عن الحقّ عموماً.

وعن قوله عليه السلام: «كأنّي بجماعتك تدعوني جزعاً... إلى كتاب الله»، يقول ابن أبي الحديد: إمّا أن يكون فراسةً نبويّةً صادقة، وهذا

عظيم، وإمّا أن يكون إخباراً عن غيبٍ مفصّل، وهو أعظم وأعجب، وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب. ويقول: وقد رأيتُ له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا، وهو: «أمّا بعد، فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بمنزلتك التي أنت إليها صائر، ونحوها سائر، وليس إبطائي عنك إلا لوقتٍ أنا به مصدّق، وأنت به مكذّب، وكأني أراك وأنت تضجُّ من الحرب، وإخوانك يدعونني خوفاً من السيف، إلى كتابٍ هم به كافرون، وله جاحدون».

فعلاً إنّ ذكر مثل هذه الحادثة المعروفة والمقصود بها رفع المصاحف يوم صفّين، وبهذه الطريقة المفصّلة لشيءٍ عجيب، وأيُّ شيءٍ لعلي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن بالعجيب؟ والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقد تحقّق ذلك في صفّين، بعد أن أحكم مالك الأشر رضي الله عنه الخناق على معاوية وضرب بسيفه أطناب مخيمه، وكان قاب قوسين أو أدنى من النصر المؤرّر في إزالة جرثومة معاوية من الوجود، وإزاحته عن مسير الحقّ، ورسالة التوحيد، وأصبح لمعاوية رجلٌ في الأرض وأخرى في الركاب يتهباً للفرار والهزيمة من طعنات الأشر وضربات سيفه، حتّى ظهرت مكيدة عمرو بن العاص برفع المصاحف، وهو أبعد خلق الله عن كتاب الله. ومتى كان ابن شائئ رسول الله، ومنّ لعنه الله ورسوله عارفاً بالكتاب ومكانته وقديسيته، حتّى يطلبه للتحكيم؟ بل هي كما قال أمير المؤمنين: «كلمة حقّ أريد بها باطل»، فانطلت الحيلة وتعدّت المكيدة على أصحاب العقول الواهية، والقليلي الإدراك من أصحاب أمير المؤمنين، فطلبوا منه إيقاف الحرب، والاستجابة لهذه الدعوة الخبيثة التي ما وراءها إلا ذلّ الإسلام والمسلمين، وقد حدّتهم الإمام عليه السلام أشدّ تحذيرٍ، ودعاهم إلى الصبر والقتال لاستئصال شأفة النفاق والكفر بالقضاء

على هذه الفئة القاسطة الباغية، فئة معاوية وابن العاص وأمثالهم من العتاد المردة، الذين أذلوا المسلمين، وحاربوا الله ورسوله في شركهم وفي نفاقهم، وادعائهم دخول الإسلام، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم.

وما آلت إليه الأمور بعد رفع المصاحف من وقف القتال، والتحكيم وآثاره وتبعاته.

\*\*\*

### (35) يأتي على الناس زمان

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 102 الصفحة 647، يقول عليه السلام: [ يأتي على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحل، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجر، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصف، يعدّون الصدقة فيه غُرمًا، وصلة الرحم منًا، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء، وإمارة الصبيان، وتدبير الخصبان].

الماحل: الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان، والمحل: المكر والكيد. لا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجر: لا يُعَدُّ الإنسان ظريفًا إلا إذا كان ماجنًا خليعًا. ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصف: يحسبون صاحب الورع والإنصاف ضعيفًا، والظالم عندهم شهماً غُرمًا: خسارة. وهي من الإخبار عن الغيوب، ومن آياته، والمعجزات التي اختصّ بها دون غيره عليه السلام.

فقد وصف بهذا الوصف الزمان الذي يأتي على الناس، حتّى يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان، وتدبير الخصبان. وقد جرت هذه الأمور بحذافيرها وبالأوصاف التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في عصور وحكومات دولة الإسلام وفي مراحل وأوقاتٍ متعددة.

\*\*\*

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 210 الصفحة 671، قوله عليه السلام: [لتعطفنَّ الدُّنيا علينا بعد شِماسِها عطفَ الصُّروسِ على ولدها، وتلا عقيب ذلك: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (1)].

الشماس: امتناع ظهر الفرس من الركوب. والصّروس: الناقة سيّئة الخلق تعضّ حالبها. أي أنّ الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها.

وهي إحدى إخباراته عليه السلام بالإمام الموعود، المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه). الذي يُظهره الله آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وقد جاءت إخباراته عليه السلام عن هذا الأمر، مرّات عديدة، وبمناسبات مختلفة، تأكيداً منه لحدوثه، وإيعازاً وتحفيزاً للمؤمنين على انتظاره، والدعاء له بتعجيل الفرج، وأنّ مجرد الانتظار، فيه أجرٌ عظيم و ثوابٌ كبير، جعلنا الله من أنصاره وأعدائه والمهتدين به والمستشاهدين بين يديه.

وقال البعض: إنّ إشارة إلى ملك السّفاح والمنصور وابني المنصور بعده. فهم الذين أزالوا ملك بني أميّة، وهم من هاشم، وبذلك عطف الدني على بني عبدالمطلب عطف الصّروس. والأوّل هو الأصح، لأنّه عليه السلام ذكر عقيب حديثه الآية الكريمة: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا)، وبني العباس ليسوا مستضعفين حينها، ولا هم ممّن يرثون الأرض، لأنّ الوراثة المقصودة هنا وراثة أئمّة الصّلاح، لا أئمّة الفساد، وما جرى على أيدي خلفاء بني العباس لا يدلُّ على كونهم من .

ص: 179

الصالحين، بل كانوا أسوأ حالاً من بني أمية وخلفوا تاريخاً دموياً لا يقل فظاعة عن دموية الأمويين إذا ما زاد عليهم بأضعاف.

ثم إن الإمام عليه السلام يقول: لتعطفن الدنيا علينا، وهذا بيان واضح أنه يعني نفسه الشريفة ومن بعده أولاده الأئمة المعصومين الأطهار، وخاتمهم مهدي آل محمد، القائم المنتظر عجل الله تعالى ظهوره الشريف، ليملا الأرض بالقسط والعدل والخير والحق والتماء ويثأر من الظالمين، للدماء التي سفكوها بغير حق.

وأخيراً فإن أمير المؤمنين عليه السلام، له أحاديث كثيرة وإخبارات للملاحم عديدة، ذكر فيها حكم بني العباس، ووصولهم للخلافة بعد إبادتهم الأمويين، ولكنه لم يصفهم بالأئمة الذين يرثون الأرض من بعد الاستضعاف، وإنما ذكر الكثير مما يجري على أيديهم من الظلم وسفك الدماء، أو على أيدي صنائعهم من أمراء السوء. وكان ذلك واضحاً جلياً في أن الأئمة الأطهار في زمن خلفائهم قتلوا على أيديهم وما من أحد منهم إلا مسموماً أو مقتولاً غدرًا.

\*\*\*

### (37) يعسوب الدين

من غريب كلامه المحتاج إلى تفسير رقم 1 الصفحة 682، يقول عليه السلام: [إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون إليه كما يجتمع فرع الخريف].

اليعسوب: السيد العظيم، ويدعى بذلك فحل التحل وسيدها. والقزع: قطع السحاب الرقيقة.

وهذا إخبار آخر عن المهدي المنتظر الذي يظهر آخر الزمان، وهو

من ولد الحسين بن علي عليه السلام. ومعنى قوله: ضرب بذنبه: أقام وثبت بعد اضطرابه، ذلك أن يعسوب النحل يكون أكثر زمانه طائرًا بجناحيه، فإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران، وقد مثل حال المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) بهذا، فهو يعسوب الدين، ينتقل في الأرض مستتراً خائفاً، فإذا أذن له ظهر وثبت وأقام بدار ملكه، صلوات الله عليه.

\*\*\*

### (38) صفة أهل الضلال

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 370 الصفحة 710، يقول عليه السلام: [يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البناء، خرابٌ من الهدى، سكّانها وعمّارها شرُّ أهل الأرض، منهم تخرجُ الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة، يردّون من شدّد عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها].

هذه صفةُ حال أهل الضلال والفسق والرياء.

فقد وصف عمران المساجد بالبناء، وخرابها من الهدى، لأنّ أكثر سكّانها من أهل الضلال ومثيري الفتنة.

وفي زماننا نرى من هذا الوصف الكثير، فهناك من يعتلون منابر المسلمين ويتصدّون للأمر الشرعيّة والدينيّة وهم من شرّ أهل الأرض، لما يزرعون من الفتن ويستببّون في سفك الدماء البريئة بسبب فتاواهم التفكيريّة، ليضلّوا بها كثيراً من الناس ويزرعوا الفرقة والكراهية والبغضاء بين المسلمين، والله أمرنا بالاتحاد ونبذ الخلاف، فكلّ هؤلاء أهل فتنة يردّون من خرج منها إليها، ويسوقون من لم يدخل فيها إليها أيضاً.

\*\*\*



### (39) اختلاف بني أمية

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 457 الصفحة 728 يقول عليه السلام: [إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مُرُودًا يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدْ اختلفوا فيما بينهم ثُمَّ كَادَتْهُمُ الصَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمُ].

يقول الرضي: وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فالمرود هنا: مفعول من الإرواد وهو الإمهال والإنظار، فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتفض نظامهم.

ويُفسّر ابن أبي الحديد هذا المقطع فيقول: هذا إخبارٌ عن غيب صريح، لأنّ بني أمية لم يزل ملكهم منتظماً ما داموا لم يختلفوا، وإنّما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين، وحرب يزيد لأهل المدينة، وحرب مروان الضحّاك وحرب عبدالملك بن الزبير وحرب هشام زيد بن علي. فلمّا وليّ الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمّه يزيد بن الوليد وقتله، اختلفت بنو أمية فيما بينهم، وجاء الوعد - وصدق من وعد به - فبعد قتل الوليد نهضت دعاة بني العباس في خراسان وأقبل مروان ابن محمد بن الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل من بني أمية جماعة، فاضطرب الأمر على بني أمية وزال ملكهم.

\*\*\*

### (40) زمانُ عضوض

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 461 الصفحة 729، يقول عليه السلام: [يأتي على الناس زمانٌ عَضُوضٌ، يعضّ الموسرُ فيه على ما فيه يديه ولم يؤمر بذلك، قال الله تعالى: (وَلَا تَسْؤُوا الْفُضْلَ بَيْنَكُمْ) (1)7].

ص: 182

ينهدُّ فيه الأشرار ويُسْتَدلُّ الأخيار، ويُبایع المضطُّرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطَّرين].

الزمان العضوض: زمان شديد كلب على الناس كأنه يعضدهم. ينهض فيه الأشرار إلى الولايات والرياسات ويعلو شأنهم، وترتفع أقدارهم وبالمقابل يُستدلُّ أهل الدين والتقوى. وهذه الأوصاف، والإخبارات التي صرَّح بها أمير المؤمنين ظهرت جليَّة واضحة في الأزمان السالفة، وفي زمننا هذا، وهو محصَّلة ابتعاد الناس عن دينهم، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التزام منهج أهل البيت عليهم السلام، الذي هو منهج الحق والعدل المأمور باتباعه والسير على هداه والابتعاد عن المناهج الدخيلة والأفكار المستوردة الفارغة من روح العقيدة، والبعيدة عن فكر الإسلام الحنيف.

هذا ما وجدناه من أحاديث الملاحم في خطب ورسائل وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة. وقد اعتمدنا الدقة في استقصاء كلِّ واردة وشاردة من كلامه فيما يختصُّ بهذا الباب، من خلال القراءة الدقيقة والملاحظة الشاملة لكلِّ فصل أو جزء من كتاب نهج البلاغة. وعلَّنا قد وفَّقنا في إدراج جميع ما يختصُّ بموضوع الملاحم وغيبات الأخبار، ولم نهمل منه شيئاً. وإن حدث تركُّ لقسمٍ منها فذلك سهواً لا قصداً.

ومن المؤكَّد أنَّ ما ورد في هذا الباب من الملاحم والغيبات والذي وجدناه في نهج البلاغة ليس هو كلُّ ما ذكره الإمام عليه السلام من الأخبار، فهنالك الكثير الذي لم يذكره الشريف الرضي رضي الله عنه، وهو قد اعتمد اختيار الكلام والتقاط أحسنه في ميادين متعدِّدة كالفصاحة والبلاغة والبيان والأدب والأخلاق والسياسة وعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد وعلم

الفلك والعقائد والفقہ والأحكام. ولم يختصَّ بابٍ من الأبواب حتَّى يجمع كلَّ ما يخصُّ ذلك الباب. إلا أنَّ هنالك ملاحم وأخبار ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام غير هذه كثيرة، وقد وضعها الباحثون في أوائل اهتماماتهم، وضمَّنوها كتبهم ومجلَّداتهم وبحوثهم، فيمكن للمتتبع الحصول عليها من مظانها أيضاً.

إضافة إلى أنَّ هنالك بعض الأخبار والملاحم المختصة بآخر الزمان وبالإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار لخاصَّة أتباعهم، وخُلص أصحابهم، ممَّن عُرفوا بقوة اليقين وامتازوا بالتقوى والعرفان. ومن هذه الملاحم لا يعرفها إلا هؤلاء، أو من أودعها لديهم.

وذلك كلُّه ممَّا اختصَّ به أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده سلام الله عليهم، دون غيرهم بكرامة من الله تبارك وتعالى. وتعلَّم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أودع كلَّ علمه وأسراره لديهم ليكونوا الهداة من بعده، وليحملوا أعباء الرسالة التي كلف الله بها. حتَّى يُتم الله نعمته عليهم، بأن جعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين.

### الاحتجاج في نهج البلاغة

المدخل: لم تخل خطب ورسائل وكتب أمير المؤمنين عليه السلام، من المناظرات والاحتجاجات التي كانت تدور بينه وبين خصومه، أو بينه وبين من يتعرّض له بالسؤال والاستفهام، وفي بعض الأوقات من أصحابه وأتباعه. فكان عليه السلام يرد على تلك الأسئلة أو الاعتراضات أو الإشكالات، بإقامة الحجج البالغة، وإيراد البراهين اللازمة، وتوضيح الأمور المشكّلة، فيضع النقاط على الحروف، ليزيل عن الأذهان علائق الشبهات، ويُزيح عنها مواطن الشك، ويكشف مبهمات الأمور، فيُنير ظلام تلك الأفهام والعقول التي عاصرها أمير المؤمنين.

وهو عليه السلام بذلك مثال لما مرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته مع من خالفه واعترض دعوته، ووضع العراقيل في طريقه، لتأخير المشروع الإلهي الذي كلّفته به السماء. وهكذا من قبل سائر الأنبياء والمصلحين، فهم في هذا الابتلاء سواء.

فالإنسان هو الإنسان، والعقل البشري هو نفسه وما جبل عليه من الخلاف والاعتراض ومشاكسة الأفضل ومزاحمته وحسده. (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (1) 4.

ص: 185

وفي كل الأحوال فإن الحق واضح وبيّن، والله سبحانه يُجريه على ألسن أوليائه، نصراً لإرادته، وإعزازاً لما بعثهم من أجله. وهو القائل جلّ وعلا: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (1).

لذا أمر الله سبحانه أنبياءه وأوليائه بمحاجة ذوي العدوان وردّ شبهاتهم، كي لا يتأثر عامّة الناس بتلك الشبهات، ويوردهم ذلك موارد التهلكة والخسران ولتكون الحجّة لله على عباده، فقد قال عزّ من قائل: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (2)، وهل الجدل إلا المحاجة وإقامة البرهان؟ وقل تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (3)، وهل طلبه عزّ وجلّ من اليهود والنصارى البرهان إلا احتجاج عليهم؟ وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً»، وما قصد من الجدل إلا الاحتجاج وإقامة البراهين صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد فضّل الله تبارك وتعالى الذابّين عن دين الله القويم وصراطه المستقيم، بالحجج والبراهين والآيات التي سلّحهم الله بها، وميّز عقولهم، وعزّز قابليّاتهم، وأكرمهم بفضل العلم والمعرفة، ليقوموا حجج الله ويدحضوا ما عداها، فهم جنود الله في أرضه، يردّون كيد من يكيد، ويدفعون شرّ من يعتدي بتصديدهم للشبهة ومحاجّتهم أعداء الله وجنود الشيطان.

وعندما يتعلّق الأمر بالفترة الزمنيّة ما بين بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والفترة التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام لآخر حياته المجيدة، فلا بدّ من القول إنّ 1.

ص: 186

1- سورة الأنعام، الآية: 83.

2- سورة النحل: الآية: 125،

3- سورة البقرة الآية: 111.

الفترة بين بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته كانت قصيرة بحيث لا يمكن خلالها إزاحة شوائب الجاهلية، وما كان عليه فكر إنسان الجزيرة العربية آنذاك من الجهل والتخلف، والذي كان جلياً في أسلوب حياته وممارساته من عبادة الأوثان والعبودية وواد البنات وغيرها. لهذا فإن الإنسان الذي عاش قروناً في مثل هذه البيئة المظلمة، بحاجة إلى قوة عقلية مستمرة بمثل عقلية رسول الله، بقدراتها وإمكاناتها ومؤهلاتها وما تتمتع به من إمداد إلهي وتسديد رباني وتوفيق سماوي لغسل دون الشرك والتخلف والعبودية عن تلك العقول، وإزاحة مخلفات تلك المعتقدات الجاهلية المقيتة، وإنارتها بالفكر الإسلامي الجديد، وإرشادها للمناهج البديلة عن المناهج الفاسدة التي كانوا عليها، وما يرافق ذلك كله من معوقات وردود أفعال أو رفض أو ممانعة أو اعتراض لأن الأمر يتطلب انقلاباً تاماً لكل مقومات الحياة وإعادة ترتيب لمستلزماتاتها، برمتها، وإقامة بناء المجتمع من أوله.

وما كان ذلك ممكناً بالفترة الزمنية التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم، لذا فإن العناية الإلهية والكفالة السماوية، قيضت للبشرية ولبنائها وتأسيسها بوفق المنهج الجديد والعهد الجديد، أئمة الحق وورثة الأنبياء، وخزنة العلوم، وخلفاء الرسالة.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي».

فكانت من جملة المهام التي أوكلها الله سبحانه للإمام عليه السلام ومن بعده أولاده الأئمة المعصومين عليهم السلام، أن يأخذوا بأيدي الناس إلى بر الأمان، ويكونوا أعلاماً يهتدون بها، ومصابيح يستضيئون بنورها، ومناراً يلتزموه في أمور دينهم ودنياهم. فيوضّحوا لهم المبهمات من الأمور،

ويبينوا المعضلات من المسائل، ويُزحوا عنهم الشبهات ليستمرّوا في حياتهم بيسرٍ ويتمتعوا بها، ويستفيدوا من نعم الله التي أودعها لهم فيها، ويؤدّوا واجباتهم وينالوا حقوقهم، وقد كانوا جديدي العهد بما جاء به منهج الإسلام، وفكر الدعوة، وتشريعات الدين الجديد.

وإن تصوّر البعض أنّ الجهد الأكبر والمهمّة الأعظم التي اضطلع بها الإمام علي عليه السلام في إقامة دعائم دين الله، ونشر رسالة الإسلام، وتثبيت أركانه، هو السيف والحرب والجهاد، فإنّ هنالك مهامّ وواجبات أعظم وأكبر كانت على عاتقه صلوات الله عليه، أوكلها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتخليفه وإناطة الأمر إليه من بعده، وبأمر الله سبحانه وتعالى، لأنّه المهيأ والقادر على مثل هذه المهام، وصاحب نجاتها. «فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، تعني الكثير: أولها أنّه صاحب الأمر من بعده، والقادر على تثبيت قوائم وأسس البناء الذي أقامه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأنت متّي بمنزلة هارون من موسى»، إشارة واضحة لتلك المنزلة الرفيعة التي أرادها الله له من بعد نبيّه الذي أرسله برسالة السماء.

و«عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي»، إنذارٌ منه صلى الله عليه وآله وسلم وتحذيرٌ من مخالفته، والتماس طريقٍ غير طريقه، (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ) (1).

وغير هذا الذي ذكرناه ما يملأ المجلدات. فبقدر ما هو تبيانٌ لمنزلة أمير المؤمنين، وتوضيحٌ لشأنه، هو تكليفٌ له ومسؤوليّة أولها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأولتها السماءُ إليه ليقوم بها من بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحياة، لديمومة الدعوة، وإبقاء شعلة الفكر الجديد متوقّدةً منيرةً تُضيءُ الطريق وتكشف الظلمات، وتُريح الأدران عن العقول. 2.

ص: 188

فالإنسان في وضعه الجديد الذي أوجبه دعوة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هل يحتاج إلى تشريعاتٍ جديدةٍ، وتوضيحاتٍ واسعةٍ للأمور المتعلقة بحياته وآخرته، من حلالٍ وحرامٍ وحدودٍ وواجباتٍ وحقوقٍ، ومناهجٍ ومسائلٍ مرتبطة به من اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وسياسيةٍ ونفسيةٍ، وغيرها.

وبرأي العقلاء: مَنْ القادر على كلِّ ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبدعم من السماء، وتوجيهٍ وتسديدٍ إلهيٍّ، وما تمليه أوامر الوحي، فيطبّقه بكلِّ دقّةٍ ومسؤوليةٍ وإدراكٍ؟ (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (1). فكيف إذا ما ودّع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحياة؟ (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ 30) (2). هل تتوقّف المسيرة؟ أم أنّ الناس من بعده قد استوثقوا بالإيمان فيهم، وتحرّروا من قيود الجاهلية وأغلالها بأكملها، وأصبحوا بمفازةٍ من الفتن ورين الشبهات، وعرفوا جميع متعلقات أمور دينهم؟ وقد رأينا ما كان من الردّات التي حصلت هنا وهناك، لحدائث ما جاءهم من الفكر والمبادئ والمناهج، والتي لم يتعوّدوا عليها ولم يألفوها، بل كانوا يعايشون ويألفون نقائضها في جاهليّتهم. وهل كان من الممكن أن يأخذ بزمام الأمر، ويتصدّى لهذه الإشكالات، مَنْ كان هو غارقٌ فيها ومشمّلاً عليها، كعبادة الأصنام، وواد البنات وغير ذلك من ممارسات الماضي؟

صحيحٌ أنّ الإسلام يجبُ ما قبله وأنّ النفوس بإيمانها غسلت أدرانها وتخلّصت من ماضيها وتبعاته. ولكن الاستعداد والقابلية هنا تختلف باختلاف أصحابها، فهل يستوي مثل هؤلاء مع من كرم الله وجهه ولم يسجد لصنمٍ قط، ولم يرتكب خطيئة من خطايا الجاهلية التي كانوا غارقين

ص: 189

1- سورة النجم، الآيتان: 3، 4.

2- سورة الزمر، الآية: 30.



فيها؟ ومن تربي واستعدّ لمثل هذه المهام الجسيمة المحتاجة إلى مثل هذه المؤهلات فكان لذلك مستحقاً للإمامة ومنزلتها، دون مَنْ ظَلَمَ نفسه بشركه وعبادته للأوثان، والله يقول: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) (1). وقال: (وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) (2).

ثم إنَّ مثل هذه المهمة العظيمة بحاجةٍ إلى مؤهلات عظيمة واستعداد عظيم، ولم تكن - كما ذكرنا - تلك المؤهلات موجودةً أو مهيتةً عند أحدٍ دونه، في ظرفٍ كظرف أبناء الجزيرة آنذاك، وما تعودوا عليه - إضافة لشركهم وعبادتهم الأحجار - من عادات وممارسات جاهلية تحطُّ من قيمة الإنسان ومنزلته. والله يقول: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (3).

وعليُّ عليه السلام من ذلك المجتمع وعاش بظرفه، إلا أنَّه من بيتٍ ما عرف الشرك ولا عبادة الأصنام، وإنَّما كان بيته يتعبد بدين جدِّه إبراهيم حنيفاً، ويسير على منهجه، وبرحمة من الله وإرادته، ليُخرج من ذلك البيت ومن تلك الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة خاتم أنبيائه وأشرف رسله.

وبعد ذلك فإنَّ الإمام عليه السلام ترعرع وتربى في حجر مَنْ أرسله الله وكلفه بختام الرسالات، فهو تلميذه وربيبه، وصاحب دربه، وخازن علمه، ومستودع سرِّه، وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينةُ العلم وعليُّ بأبها». وعليُّ يقول: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم ألف باب يُفتح لي من كلِّ باب ألف باب».

ص: 190

1- سورة لقمان، الآية: 33.

2- سورة البقرة الآية: 124.

3- سورة الإسراء، الآية: 70.

وأبواب علم علي عليه السلام، يعرفها العارفون، وينهل منها الطالبون، ويستتير بها أولو الألباب.

وقد شهد الأعداء والأولياء بسبقه في العلوم كلّها، ورجاحته على غيره، وعلوّ شأنه وعظيم منزلته.

وعلمُ الاحتجاج الذي أفردنا له باباً في هذا الكتاب، يشتمل على ما ذكر في نهج البلاغة من مناظرات واحتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام، مع خصومه أو مع من سأله، أو أورد إشكالات من إشكالات الأمور المتعدّدة التي ظهرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي عهد الخلفاء قبله، وفي زمن حكمه وخلافته عليه السلام. والحجج والبراهين التي كان يوردها بمنطوقه القويم، وطرحه الراجح السليم، وفراسته التي لا تُجارى، وعلمه الغزير، فهو تلميذ القرآن، ومعلّمه الأوّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

\*\*\*

ص: 191



قوله عليه السلام: [أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات واحتجاجاً بالبيّنات وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات والناس في فتن انجذم فيها جبل الدين، وترعزت سوارى اليقين، واختلف النجر، وتشّت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر] (1).

العلم المأثور: العلم: ما يهتدى به، وهو هنا الشريعة الحقّة، والمأثور المنقول عنه. ويجوز أن يكون القرآن والمتكلمون يسمون المعجزات أعلاماً. الصادع: الظاهر. المثلات: العقوبات: انجذم: انقطع. السوارى: الدعائم. النجر: الأصل، والمراد هنا: اختلفت الأصول فكلُّ يرجع إلى أصلٍ يظنّه حقّاً وما هو من الحقّ في شيء.

وقوله في آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال ديه بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه] (2).

اللجأ: الملاذ وما تعتصم به. الموئل: ما ترجع إليه.

يقول: إنّ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي شأنه ملتجىء إليهم، وعلمه مودع.

1- من الخطبة 2 الصفحات 47، 48، 49 من نهج البلاغة.

2- من الخطبة 2 الصفحات 47، 48، 49 من نهج البلاغة.

عندهم. والعيبة: الوعاء «كالثوب يودّع العيبة». وحكمه شرعه، فهو يرجع ويؤول إليهم. وهم حفاظ كتبه، يحوونها كما تحوي الكهوف ما يكون فيها. والكتب: القرآن، وما أنزل سبحانه من كتب سماوية سبقت القرآن. جبال دينه: أي لا- يتحلحلون عن الدين والدين ثابت بوجودهم، كما إن الرواسي أي الجبال أوتاد الأرض، فهم أوتاد الدين الذي بهم يقوم ويستمر. وكنتى بانحناء الظهر عن الضعف، وبقامته عن القوة. وبهم الأمان من الخوف الذي ترتعد منه الفرائص.

والفريصة: لحمة بين الجنب والكتف ترتعد منذ البداية.

### في بعض ما يختص به عليه السلام

يقول: [ والله لو شئتُ أن أخبر كلَّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخافُ أن تكفروا فيَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ألا وإني مفضيه إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه ] (1).

وهذا كقول المسيح عليه السلام: (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (2). فقد أقسم عليه السلام أنه لو شاء لأخبر كلَّ واحدٍ منهم من أين خرج، وكيف خرج من منزله، وأين يدخل، وجميع شأنه من مأكله ومشربه وما أراد وعزم عليه وما ادّخره وغير ذلك من شؤون حياته.

إلا أنّه خاف كفرهم فيه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي خاف الغلو في أمره، أو تفضيله على رسول الله، أو ادّعاء الربوبية فيه كما ادّعت النصارى في عيسى عليه السلام، لَمَّا رَأَوْا مِنْهُ الْمِعْجَزَات. فعزم عليه السلام على أن يُفضي ذلك 9.

ص: 194

1- من الخطبة 173 الصفحة 351 من نهج البلاغة.

2- سورة آل عمران الآية 49.

لخواص أصحابه وثقاته الذين آمن منهم الغلو، وعلم أنهم لا يفضلونه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمهم أن ذلك من إعلام نبوته، وبعض معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من خلاله بلغ هذه المنزلة الجليلة.

ويقول عليه السلام: [والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إليّ بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ] (1). وذلك قسم ثانٍ أنه لا ينطق إلا صدقاً، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليه بكل ذلك، وأخبره بمن يهلك من أصحابه وغيرهم من الناس ومن ينجو ومآل الأمر، والخلافة وأمور الدولة. وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ترك شيئاً إلا وعلمه إياه، وأخبره بكل أسراره.

ثم يقول: [إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها] (2).

### ولي الله وحبته

يقول عليه السلام: [أنا حجيج المارقين، وخصيم الناكثين المرتابين، وعلى كتاب الله تُعرض الأمثال، وبما في الصدور تُجازى العباد] (3).

حجيج المارقين: خصيمهم، والمارقون: الخارجون عن الدين. والمرتابين: الذين لا يقين لهم. وهو عليه السلام قارعهم وحاججهم بالبراهين الساطعة فغلبهم، وأكذب أبدوّتهم.

ص: 195

1- من الخطبة 173 الصفحتان 351، 352، من نهج البلاغة.

2- من الخطبة 173 الصفحة 352 في نهج البلاغة.

3- من الخطبة رقم 74 الصفحة 153 في نهج البلاغة.

وإن كان هذا القول من جملة رده على بني أمية واتهامهم له بالمشاركة بدم عثمان، وهو عليه السلام كان أحسن الجماعة به قولاً وفعلاً، ولم يكن من المجلبين عليه كأصحاب الجمل. ولا من الذين خذلوه، كأصحاب صفين، وأولهم معاوية، فإن قوله: أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين يعني في حياته، حيث أقام الحجج والبراهين عليهم، وكما ستظهر من خلال البحث في فصول هذا الباب من الكتاب وهو باب الاحتجاج والمناظرات في نهج البلاغة. وهو أيضاً حجيجهم وخصيمهم يوم القيامة، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال: أنا أول من يجتو للحكومة بين يدي الله تعالى (1).

قوله عليه السلام: [واعذروا من لا حجة لكم عليه - وأنا هو - ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر؟] (2).

يقول عليه السلام: لم يبق لأحدٍ منكم حجةٌ يحتجُّ بها عليّ، وقد عدلت فيكم، وأحسنْتُ السيرة، وأقمتكم على المحجة البيضاء. فقد عملتُ فيكم بالثقل الأكبر، وهو الكتاب، وخلفت فيكم الثقل الأصغر، وهما ولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تركت فيكم الثقلين»، وقد سمى الكتاب والعترة بالثقلين لأن الثقل في اللغة يعني متاع المسافر وحشمه، فكان النبي لما قرب لقاءه بربه تعالى، جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزلٍ إلى منزل، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه، فهما أخصُّ الأشياء به صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 196

1- أخرجه البخاري ح: 3965.

2- من خطبة له رقم 86 الصفحة 182 في نهج البلاغة.

وقوله عليه السلام: [أنا شاهدٌ لكم وحجيجٌ يوم القيامة عنكم] (1).

والحجيج: إذا أقنع الآخرين بحجته، والإمام صلوات الله عليه بعلو منزلته عند الله يشهد للمحسنين، ويقوم بالحجة عن المخلصين، وهو إشارة لقوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) (2).

وإنما سمى نفسه عليه السلام حجيجاً عنهم، وإن لم يكن ذلك الموقف موقف مخاصمة، لأنه إذا شهد لهم، فكأنه أثبت لهم الحججة، فصار محاججاً عنهم.

\*\*\*

ص: 197

---

1- من الخطبة رقم 174 الصفحة 354 في نهج البلاغة.

2- سورة الإسراء، الآية: 71.





### (1) محلّ القطب من الرّحى

في الخطبة رقم 3 الصفحة 51 وما تلاها، وهي الخطبة المعروفة «بالشَّقْشَقِيَّة») نسبةً لقوله عليه السلام إلى عبد الله بن عباس: «هيئات تلك شِقْشِقَةٌ هدرت ثمّ قرّت»، وكما ابن عباس طلب منه إكمال خطبته بعد أن توقّف فيها حين اعترضه رجلٌ من أهل العراق يحمل له كتاباً. والشَّقْشَقَةُ: شيءٌ كالرئة يُخرجه البعير من فيه إذا هاج، والبعير عند إخراجِه هذا الشيء من فيه يهدر. وقد نسب البعض هذه الخطبة للرضيِّ، وقالوا إنّها منحوّلة.

قال مصدّق بن شبيب الواسطي: سألت الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب، إنّ كثيراً من الناس يقولون إنّها من كلام الرضي، فقال: أنّي للرضيِّ ولغير الرضيِّ هذا النفس وهذا الأسلوب، ثمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صَدِّقْت قبل أن يُخلق الرضي بماتني عام، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والّد الرضي.

ويقول ابن أبي الحديد: وجدتها في تصانيف البلخي إمام المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرضي بمدة طويلة. ووجدت كثيراً

منها في كتاب «الإنصاف» لأبي جعفر بن قبة وقد مات في عصر المقتدر، قبل أن يكون الرضوي موجوداً.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة، جملة من البراهين والحجج، أوردها فيما يخص أحقيته بالخلافة، وولاية أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وما لحقه من العُبن في صرفه عن حقه الذي قرره له القرآن بقوله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1)، وعهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وما انطوت عليه نفسه الشريفة من إمكانات ومؤهلات تجعله الأكفأ للخلافة، دون منازع.

ولم يهمل أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته هذه، ثابتة من هذه الثوابت، التي تؤدي بالنتيجة إلى مبدأ أحقيته لهذا الأمر، وأنه انشزع منه وأخذ بغير مسوغ، ولا وجه حق، ولا حجة.

فقوله عليه السلام: [أَنَّ مَحَلِّيَّ مِنْهَا مَحَلَّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى].

فكما أنّ الرحي لا تدور إلا على القطب، وإن دارت بغيره فلا فائدة ولا ثمرة لدورانها، كذلك نسبته إلى الخلافة، فهي لا تقوم إلا به، ولا يدور أمرها إلا عليه عليه السلام.

وقوله عليه السلام: [يُنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ].

أراد التذكير بعلو منزلته، ورفعة قدره، وأنّ أيّ من الصحابة لم يصل لبعض تلك المنزلة، حتّى يسوّغ لأيّ أحدٍ التفكير بالخلافة أو الأمل بها، وأنّ هذا الأمر لا يتمّ إلا بشروطه، ومن بعض هذه الشروط: الأفضليّة والتهيؤ والقابليّات. 5.

ص: 200

وقوله عليه السلام: [أرى تراثي نهياً].

وما يعني التراث عند أمير المؤمنين، غير الواجب الإلهي الملقى على عاتقه، وإمامة الناس بخلافته رسول الله، لإتمام المهمة التي بدأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحقيق إرادة الله سبحانه بإقامة حكم العدل والإنصاف في الأرض، وتبليغ رسالة السماء.

وقوله: [فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته].

وعنى الخليفة الأول والثاني في هذا الكلام.

وكان أبو بكر قال: «أقيلوني فلست بخيركم»، والأهم أنه عقد أمر الخلافة إلى عمر بن الخطاب، وهنا وجه الاحتجاج عند أمير المؤمنين عليه السلام، ومن باين: الباب الأول، أن من لا يرى بنفسه الأفضلية ويطلب الإقالة، لا يجوز أن يعهد لها لآخر بمفرد رأيه، وبأمر منه. والباب الثاني: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، صاحب الحق الأول في التصرف بهذا الأمر لم يخلف حسب رأيهم، ولم يعقدها لأحد من بعده، فمن جوّز لهم فعل ما أنكروه على رسول الله في تسمية خليفته؟ ويقول عليه السلام: [فيا لله وللشورى]. [فصغى رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصره].

فالصيغة التي وضعت بها تركيبة الشورى، تهيئ من الوهلة الأولى، عثمان بن عفان للخلافة وبكل سهولة.

فأصحاب الشورى «ستة»: هم عثمان وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة والزبير وعلي. وقد حُدِّدوا بثلاثة أيام فقط للاتفاق وإلا يُقتلوا، ثم رُجِح الفريق الذي فيه عبدالرحمن، وهو تفضيلٌ لا يتناسب ومبدأ الشورى، الذي يقتضي استواء الجميع وعدم

التمايز فهم مرثد حون لمنصب واحد وبدرجة واحدة. فالأمر من بدايته محسومٌ لصالح عثمان، لأنَّ عبدالرحمن كان صهراً لعثمان، لزواجه من بنت عقبة بن أبي معيط «أم كلثوم» وهي أخت عثمان لأمه، وعبدالرحمن وسعد كلاهما من بني زهرة، وفي نفس سعدٍ موجدةٌ من عليٍّ صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أخواله فأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعليٍّ في قتل صناديدهم ما لا يخفى. وكان طلحة ميّال لعثمان وانحرافه عن عليٍّ عليه السلام، فهو تيميٌّ، وبين تيم وبنو هاشم موجدة لموقع الخلافة. هؤلاء أربعة من ستة، ولم يبق غير الزبير، فما يُغني شيئاً لو أعطى صوته لعلي عليه السلام.

مع الأخذ بالاعتبار حال الميل للقبليّة وموافقة الرأي مع الأقرب على حساب المصلحة العامة، والنفوس لم تتخلّص بالكلية من رواسب الماضي، وأمراض العصبيّة والثأر، والمفاخرة وما إلى ذلك.

صغى لضغنه: مال لضغينته، ويعني به سعد.

ومال الصهريه: يعني به عبدالرحمن وميله لعثمان ومصاهرتة. وبعد هذا المخاض العسير، تعود الخلافة إليه، بعد أن صيرّوها في حوزة خشناء، يغلظُ كلمها، ويخشن مسها.

ويُقسم عليه السلام: أنّه لولا حضور الحاضر، أي من حضر بيعته ولزوم ذمّة الإمام لذلك. وقيام الحجّة بوجود الناصر، وهو الجيش الذي يصول به. وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، وهو استئثار الظالم بالحقوق، وهضم المظلومين تلك الحقوق.

أي: لولا وجود الناصر لي، لا كما كانت الحال بُعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم أجد ناصرًا لي مع كوني مكلفًا إلا أمكن الظالم من ظلمه،

لتركت الخلافة، ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون من عطسة عنز، كناية عن صغر الدنيا بعينه، وهوانها عنده، وزهده بها صلوات الله عليه.

\*\*\*

## (2) بنا اهتديتم

من الخطبة رقم 4 الصفحتان 58 و 59، وهي بعد حرب الجمل، وقتل طلحة والزبير، خاطب بها بقيتتهم مبيناً لهم أنه كان يترقب غدرهم ويتفرس فيهم الغرور والغفلة، وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل، لهذا فهم يجهلون قدره ويتركوه إلى من ليس له من الحق على مثل حاله عليه السلام.

يقول: [بنا اهتديتم في الظلماء، وتسئتم العلياء، وبنا انفجرتُم عن السَّرار].

التسئتم: الارتقاء. والسَّرار: الليلة والليلتان يستتر فيها القمر آخر الشهر ولا يظهر. انفجرتُم، ورويت أفجرتُم: دخلتم في الفجر، ومراده: أنكم كنتم في ظلام الشرك والجاهلية فأصبحتم بهدایتنا وإرشادنا لكم، في ضياء ساطع، وهو ضياء الحق والإسلام. وبنا: أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين والإمام أخوه ونصيره ووارث علمه.

وقوله عليه السلام: [أفمتُ لكم على سَنَنِ الحَقِّ في جوادِّ المصنَّة]. أي قمتُ بإرشادكم، وبالغت لكم بالنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعيَّنتُ لكم جادة الحَقِّ، ووقفت لكم على منهج العدل، وأنتم تائهون لا دليل لكم، وطرق الضلال كثيرةٌ ومختلفة من سائر جهاتي، فالذي يرشدكم ويهديكم السبل الراشدة، والمناهج الحَقَّة، لا ينبغي مخالفته وشنَّ الحرب عليه واستعمال الغدر والعدوان والنكث معه.

وبرهانه عليهم، وحبّته قبّالهم، أنّهم غدروا واغترّوا واعتدوا، مع ما كان منه من النصيحة، وحسن السيرة، والعدل فيهم، والهداية لهم.

\*\*\*

### (3) في أصحاب الجمل

من كلام له الرقم 6 الصفحة 62، وقد أشير عليه أن لا يتبع طلحة والزبير، ولا يعدّ لقتالهما، وقد نقضا بيعته، وخرجا مع سواهما يؤلّبان الناس عليه، ويحرّضان ضده.

وقد اتّخذ هؤلاء، ومعاوية، وغيرهم دم عثمان ذريعةً لهم في عصيانهم، وهم منّ ألب على عثمان وخذله، وساهم في قتله.

يقول عبدالله العلابي: «ومن تهكّمات القدر أن يُحرّض عمرو بن العاص على قتل عثمان، وتجبّه عائشة علانية، ويتخلّى عنه وعن نجدته معاوية، ويُعين عليه طلحة والزبير، ثم ينفر هؤلاء أنفسهم هنا وهناك، ويُطالبون بدمه عليّ بن أبي طالب، الذي أخلص له النصيحة، وحذّره من هذا المصير».

يقول عليه السلام: لمن طلب منه ترك الناكثين وشأنهم: [والله لا- أكون كالضبع تنام على طول الدّام، حتّى يصل إليها طالؤها وراصدها، ولكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدير عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً، حتّى يأتي عليّ يومي، فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مُستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يوم الناس هذا].

الدم الضرب. يختلها: يخذعها.

وضرب عليه السلام مثلاً بحال الضبع: يأتي الصائد ويضرب بعقبه عند باب

مغارها ضرباً خفيفاً، ويقول: «خامري أمّ عامر»، مراراً، فتنام على ذلك، فيجعل الحبل في عرقوبها ويجرّها.

ويقول: إنّي لا أقعد وأنتصر لديني ونفسي وللخلافة المأمور بالحفاظ عليها، فيكونُ حالي مع هؤلاء مثل حال الضبُع مع صائدها، فأكون كالعاجز الذي يُسلم نفسه للخارجين عن الوحدة، والناكثين البيعة. بل أحارب من عصي بمن أطاع حتّى يتحقّق وعدّ الله بالنصر أو الشهادة.

وعقّب عليه السلام بقوله: إنّ الاستئثار عليه والممالة له، ودفعه عن حقّه، ليس بالجديد، وإنّما كان ذلك منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحتّى يومه الذي هو فيه.

\*\*\*

#### (4) بيعة الزبير

من كلام له عليه السلام رقم 8 الصفحة 63.

بلغ أمير المؤمنين قول الزبير: بايعتُ بيدي لا بقلبي، ويدّعي تارةً أنّه استخدم التورية في البيعة، ونوى دخيلة. وتارةً أنّه أكره عليها.

فقال أمير المؤمنين كلاماً ردّ به عليه وحاججه بما يدحضُ دعوته تلك، وهو قوله: [يزعمُ أنّه قد بايع بيده ولم يُبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة، وادّعى الوليعة، فليأتِ عليها بأمرٍ يُعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه].

الوليعة البطانة، أو أمرٌ ما تسرّه وتكتمه.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام ساعة بايعه الزبير وطلحة يرّدّ قول الله تعالى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) (1).

ص: 205



ويحتج عليه السلام على قول الزبير بأنه إقرارٌ منه بالبيعة وادعاءٌ لأمرٍ آخر لم يُقم عليه الحجّة والدليل، ولم ينصب به برهاناً، فإمّا أن يُقيم الدليل على فساد البيعة الظاهرة، وأنّها غير لازمة له، وإمّا أن يعود ويدخل في البيعة التي خرج منها.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام، لمّا بايعه الناس تلك البيعة الجماهيرية الشاملة، وهي الأولى في تاريخ الخلافة الإسلامية والأخيرة. كتب إلى معاوية يقول: أمّا بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورةٍ منّي، وبايعوني عن مشورةٍ منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي فبايع لي، وأوفد إليّ أشرف أهل الشام قبلك.

وعندما قرأ معاوية كتاب أمير المؤمنين، كتب إلى الزبير ما يلي: «لعبدالله الزبير أمير المؤمنين، من معاوية: سلامٌ عليك، أمّا بعد فإنّي قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين. وقد بايعت لطلحة من بعدك، فأظهر الطّلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدُّ والتشمير». فلما وصل الكتاب إلى الزبير، سرّ به وقرأه على طلحة، ولم يشكّا في التّصح لهما من معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام.

إنّ قراءةً بسيطةً لكتاب معاوية الذي أرسله إلى الزبير يُخاطبه فيه بإمرة المؤمنين، ويُعطي هذا المنصب لطلحة من بعده، وأنّه اعتمد بذلك على بيعة أهل الشام مُدعياً أنّه أخذها للزبير وطلحة، ودفعه لهما بالمطالبة بدم عثمان، وهما لا يمتّان بأيّ صلة قرابة معه تُبيح لهما بحساب شريعة العصبية القبليّة والفكر الجاهلي، المطالبة بهذا الثأر.

وحثّه وصاحبه للذهاب إلى الكوفة والبصرة، ودعوة الناس والجدّ

والتشمير لإثارة الفتنة وزعزعت دولة الإسلام، إنَّ من يقرأ كلَّ ذلك ليعجب: كيف انطلت مثل هذه المكيدة، التي لا تمرُّ على أبسط الناس، واتَّخذها مثل الزبير ومثل طلحة مأخذ النَّصح من معاوية، ولم ينتبها لمكره ودفعهما ومن معهما ليكونوا حطباءً لِنار الفتنة التي أشعلها. فيُضعف أو يُلهي بها جيوش المسلمين ومقرُّ الخلافة، وينتهز هو الفرصة ثمَّ ينقضُّ على الأمر كلَّه، ويُعيد لها جاهليَّة بعد أن يقضي على الإسلام ودولته بإثارة الفتنة وشنَّ النزاعات، ويأخذ بثأر أشياخه الذين سقطوا صرعى بسيف عليٍّ وأسياف المؤمنين المجاهدين في حروب الإسلام مع الشرك والوثنيَّة.

\*\*\*

## (5) ردُّ القِطائع

من كلام له رقم 15 الصفحة 67، فيما ردّه من قِطائع عثمان إلى بيت مال المسلمين، حال استلامه مهام الخلافة.

قال عليه السلام: [والله لو وجدته قد تزوّج به النِّساء، ومُلك به الإمام، لرددته، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدلُ فالجور عليه أصيق].

القِطائع: الممنوح من الأراضي، وكان عثمان في خلافته قد أقطع بني أميَّة وغيرهم من أتباعه، قِطائع من أرض الخراج. من ضاق عليه ... إلخ: أي أنَّ الذي يعجز عن تدبير أمره بالعدل، فهو بالجور أشدَّ عجزاً، فإنَّ الجور مظنة أن يُقاوم ويصدُّ عنه. كان أمير المؤمنين عليه السلام، في إحقاق الحقِّ، ومقارعة الباطل، لا تأخذه لومة لائم، وهو بذلك يردُّ ويحتجُّ على من عاب سياسته، أو انتقد طريقة معالجته الأمور، وعدم مهادنة الباطل على حساب الحقِّ، أو مناصرة الظالم على حساب المظلوم، وإنَّ كان في ذلك خسارته تأييد البعض ممَّن ضربت مصالحهم، واسترجع منهم ما

ص: 207

كانوا أخذوه دون وجه حقّ. فهو عليه السلام لا يطلب النصر بالجور، وحسبه إقامة العدل، وردّ المظالم، والمساواة بين الناس.

\*\*\*

## (6) ردّ التهمة

من الخطبة رقم 22 الصفحة 80، وقد اتّهم بقتل عثمان، والذي اتّهمه، هو من سفك دم عثمان، أو ألّب عليه، أو خذله. والإمام عليه السلام، أكثر الناس نصيحةً له، ودفاعاً عنه.

يقول عليه السلام: [وإنّهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنتُ شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبتهم منه، ولئن كانوا ولّوه دوني فما التّبعة إلاّ عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلّى أنفسهم].

والدم المسفوك: دم عثمان. والذين سفكوا هذا الدم: هم من طالب أمير المؤمنين عليه السلام به، متّخذين ذلك ذريعةً لنقض العهود ونكث البيعة، والخروج على وليّ الأمر، وإثارة الفتن.

روى أبو جعفر في التاريخ: أنّ علياً عليه السلام كان في حاله بخير لما حُصر عثمان، فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة، وكان لطلحة في حصار عثمان أثر، فجاء عليٌّ ودخل دار طلحة وهي مملوءة من الناس، فقال له: يا طلحة، ما هذا الأمر الذي صنعتَ بعثمان؟ فقال: يا أبا الحسن، أبعد أن مسّ الحزام الطّيبين! فانصرف علي عليه السلام حتّى أتى بيت المال، وكسر الباب وفرّق ما فيه على الناس، فانصرف جمعهم من عند طلحة، وبقي وحده، وسرّ عثمان بذلك، وجاء طلحة فدخل على عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّني أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه، وقد جئتُك تائباً، فقال: والله ما جئتُ تائباً ولكن جئت مغلوباً، الله حسبك يا طلحة.

وروى أبو جعفر، قال: كان عمرو بن العاص ممّن يُحرّض على عثمان ويُغري به، وكان يقول: والله إنّ كنت لألقى الراعي فأحرّضه على عثمان، فضلاً عن الرؤساء والوجوه. وكان ابن العاص في فلسطين مع ولديه، إذ مرّ بهم راكب من المدينة فسأله عن عثمان، فقال: قُتل، فقال عمرو: أنا أبو عبدالله، إذا نكأت قُرحةً أدميتها.

وقال ابن أبي الحديد: لقد غلب على معاوية ظنّه قتل عثمان، ورأى أنّ الشام بيده، وأنّ أهلها يطيعونه، وأنّ له حجة يحجّج بها عليهم، ويجعلها ذريعةً إلى غرضه، وهي قتل عثمان إذا قُتل، وأنّه ليس في أمراء عثمان أقوى منه ولا أقدر على تدبير الجيوش، واستمالة العرب، فبنى أمره من هذا على الطمع في الخلافة. وهو القائل لصعصعة من قبل: إنّه ليس أحدٌ أقوى منّي على الإمارة، وإنّ عمراً استعملني ورضي سيرتي، وقوله لجمع من المهاجرين: إنّ شرعتم في أخذها بالتغالب، وملتم على هذا الشيخ، أخرجها الله منكم إلى غيركم وهو على الاستبدال قادر، وإنّما كان يعني نفسه، وهو يُكنّي عنها، ولهذا تربّض بنصرة عثمان لمّا استنصره، ولم يبعث إليه أحد.

أمّا من يعترض على قول ابن أبي الحديد بعدم إرسال معاوية الجند والمدد للخليفة لمّا استنصره، ويُعزي ذلك أنّ معاوية كان قد عرض على عثمان إرسال جنده له إلى المدينة أو نقله إلى الشام حفاظاً على حياته لوجود الناصر. فتلك إحدى مناورات معاوية وخبثه، فهو يعلم يقيناً أنّ الخليفة لا يرضى التضييق على أهل المدينة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجيوش معاوية وهو بعد ذلك لا يأمن الغدر من معاوية نفسه، حين التمكّن ووجود الجيش، وهذا ليس بالبعيد عنه، ولا صعب المنال. ومعاوية يعلم أيضاً أنّ عثمان لا يترك المدينة ولا يُبدلها ببلاد الأرض

جميعاً، ولكنها دعوةٌ ظاهريّةٌ منه، لينال ثقةَ عثمان ويحظى برضائه، ويبيّث لما هو قادم.

أمّا ما كان من أمّ المؤمنين عائشة تجاه عثمان، ورأيها فيه، فلا يختلف عن رأي هؤلاء من غضبها عليه ونفورها منه وتأليبها الناس على قتله.

غير ما كان من مواقف باقي الصحابة، وأهل الأمصار وغضبهم الذي تحوّل إلى معارضة ثم ثورة، ثم جزع وقتل، والإمام عليه السلام من كلّ هذا، الناصح والمشير، والدافع للخطر، والمدافع عن الخليفة. ومواقفه معروفة في ردّ أهل مصر والثائرين معهم، وإرسال ولديه الحسن والحسين إلى دار الخليفة يدافعان عنه بأنفسهما، وخروجه هو بنفسه، وإيصال الماء إليه بعد أن قطعوه عنه.

فالحق أنّ تبعه قتل عثمان كانت عندهم، فهم من تولى ذلك وأنّ أعظم الحجّة لعلّى أنفسهم هم.

ولا- يمكن استبعاد مروان بن الحكم، من كلّ ما جرى، فهو مع قربه من عثمان، وولائه له، إلا أنّه كان السبب الرئيسي والمباشر للنتيجة المحزنة التي وصلت إليها نهاية عثمان ونشوب الفتنة وسفك الدماء. فقد أساء مروان في استخدام صلاحيّاته الواسعة التي كانت بحوزته في خلافة عثمان، وما جبل عليه مروان من خبث السريرة وسوء الخلق والطمع وكره الناس له.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام رقم 30 في الصفحة 98، ما يتّصل بهذا الموضوع، وهو قوله عليه السلام: [لو أمرت به لكنّ قاتلاً، أو نهيت عنه لكنّ ناصراً، غير أنّ من نصره، لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خيرٌ

منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خيرٌ مِنِّي وأنا جامعٌ لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكمٌ واقعٌ في المستأثر والجازع].

أي أنه عليه السلام بريءٌ من دمه ولم يأمر بقتله، ولم يدافع عنه بسيفه وإنما بلسانه، وهو الذي أمر ولداه الحسن والحسين أن يذبا الناس عنه. ومن نصره ليس بأفضل ممن خذله، لذا فنصره لا يستطيع أن يقول إنني خير من خذله، فقد اتفق أن ناصريه لم يكونوا في شيءٍ من الخير الذي يفضلون به على خاذليه، وممن نصره مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن أبي معيط ومعاوية وغيرهم، وهم كانوا السبب والدافع لثورة الناس عليه.

\*\*\*

### (7) وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من كلام له بالرقم 37 الصفحة 112، يجري مجرى الخطبة. وفيه أربعة فصول مختلفة في القصد والمعنى، وما يهمننا منها في ما نحن فيه الفصل الرابع، وهو قوله: [فنظرتُ في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاقُ في عنقي لغيري].

وهو ردٌّ وبرهان حاجج به من أشكل عليه عدم مطالبته لحقّه بشئى الوسائل، وقبوله بالأمر، وسكوته على ذهاب الخلافة لغيره. فيقول عليه السلام: فنظرتُ فإذا طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي وجوب طاعتي، قد سبقت بيعتي للقوم. فوجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ، ووجوب امتثالي أمره سابقٌ على بيعتي للقوم وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ عليّ الميثاق بترك المطالبة والمنازعة، فلم يحلّ لي أن أتعدّي أمره، أو أخالف نهيه. والرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 211

أخبره أنّ الإمامة حقّه، وأنّه أولى بها من جميع الناس، ولم يُخرجه تقدّم من تقدّم من كونه الأولى والأحق. وميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه أنّ يُمسك عن طلبها ويُغضّي عنها، لو ذهبت لغيره، للمصلحة العامة، وحفاظاً على حوزة الدين، ووحدة المسلمين، وهذا ما كان منه عليه السلام، امتثالاً لما أمره به النبيّ من الرفق، وإيفاء بما أخذ عليه من ميثاق.

\*\*\*

### (8) كلمة حقّ يُرادُ بها باطل

من كلام له رقم 40 الصفحة 114، وقد سمع قول الخوارج: لا حكم إلا الله.

فقال عليه السلام: [كلمة حقّ يُرادُ بها باطل. نعم إنّه لا حكم إلا لله، ولكنّ هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنّه لا بدّ للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجر. يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويُجمع به الفيء، ويُقاتل به العدو، وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي].

عندما نادى منادي الخوارج بهذا الشعار قال عليه السلام: كلمة حقّ يُرادُ بها باطل، وقدم الحجج والبراهين على بطلان زعمهم أنّ لا إمرة إلا لله. والبداهة قاضية أنّ لا بدّ للناس من إمام برٍّ أو فاجر، يؤدّي فيها المؤمن واجباته ويحرز أمور دينه، ويعيش حياته، وكذلك يستمتع الكافر بها، حتّى حلول الأجل. ولا بدّ أنّ تجري سائر المصالح التي ذكرها الإمام عليه السلام، من جمع الفيء، ومقاتلة العدو، وتأمين السبل وغيرها.

ص: 212

من كلام له رقم 66 الصفحة 141، عندما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام الأبناء السقيفة قال: [ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منّا أمير و منكم أمير. قال عليه السلام: فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصّى بأنّ يُحسن إلى محسنهم، ويُتجاوز عن سيئهم. قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصيّة بهم. ثمّ قال: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عليه السلام: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة].

السقيفة: لبني ساعدة اجتمع فيها بعض الصحابة، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لاختيار من يخلفه.

والاحتجاج الذي قدّمه أمير المؤمنين عليه السلام، يُدحض حجّة الأنصار وحجّة قريش معاً. فالأنصار دعوا إلى أن يكون منهم أمير ومن قريش أمير، فاحتجّ عليه السلام بأنّ رسول الله أوصى بأنّ يُحسن لمحسنهم ويُتجاوز عن سيئهم، وهذا يدلّ على أنّ الإمامة ليست فيهم، وإلّا لما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم، بل لكان أوصى إليهم. والخبر الوارد في الوصيّة بالأنصار، خبرٌ صحيح، أخرجه البخاري ومسلم في مسنديهما، ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه: أوصيكم بالأنصار، فإنّهم كرشي، وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن سيئهم (1).

وأما احتجاجه عليه السلام، على المهاجرين بقوله: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ذلك أنّ المقصود بالثمرّة أهل البيت عليه السلام، وهو نفسه .

ص: 213

1- أخرجه البخاري ج: 3799 ومسلم ح: 2510. والترمذي ح: 3904.



كان كبير ذلك البيت بعد رسول الله، وصاحب الأمر فيه، وقد تكرر منه أمثال هذا القول، نحو: «إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإنّ فَلَجَتْ حَجَّتَهُمْ كانت لنا دونهم وإلا فالأنصار على دعوتهم».

ونحو ذلك قول العباس عمّ النبي لأبي بكر: وأما قولك: نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّكم جيرانها، ونحن أغصانها.

\*\*\*

## (10) ردُّ التهمة مرة أخرى

من كلام له رقم 74 الصفحتان 152 و 153، وقد بلغه اتّهام بني أميّة له بالمشاركة في دم عثمان.

قوله عليه السلام: [أولم يه أمة علمها بي عن قرفي؟ أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي؟ ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني. أنا حجيج المارقين، وخصيم الناكثين المرتابين، وعلى الله تُعرض الأمثال، وبما في الصدور تُجازى العباد].

قرفه: عابه أي ألم يكن في علم بني أميّة مكاتبي في الدين، والتحرّج من سفك الدماء بغير حقّ، ما ينهاهم عن أن يعيوني، في اتّهامي بالاشتراك بدم عثمان، وقد علموا أنّي كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولاً فيه؟ ثمّ ذكر أنّ الله تعالى وعظهم في الغيبة بأنّها في منزلة أكل لحم الأخ ميتاً.

وهو عليه السلام حجيج المارقين، أي خصيمهم، وخصيم المرتابين الذين لا يقين لهم، وقد قارعهم بالبرهان فغلبهم.

والأمثال: متشابهات الأعمال والحوادث تُعرض على القرآن، فما وافقه فهو الحقّ، وما خالفه الباطل. والإمام عليه السلام قد جرى على حكم القرآن في كلّ عمل عمله، فليس للغامز عليه أن يُشير بأيّ مطعن ما دام ملتزماً بالكتاب وأحكامه.

وأخيراً قوله عليه السلام: وبما في الصدور تُجازي العباد، فإنّ الله سبحانه سيُجازي بالعقوبة والعذاب من اتّهمني بالباطل ونسب إليّ ما لم أفعله.

وهذه الحجج والبراهين، مع ما ذكرها في خطب سابقة من ردّ التّهم المنسوبة له، في موضوع دم عثمان، من الذين كانت لهم اليد الطولى، والسبب المباشر في ما وصل إليه الخليفة عثمان، ولكنّها المصالح، وحبّ الدنيا، وعدم مخافة الله وعدم التقوى: ما يدفع هؤلاء إلى إيراد الأكاذيب والدعاوى الباطلة، التي كان أمير المؤمنين يردها في الحال، وبراءين لا تقبل الردّ، ولا تقف حيا لها حجّة، وهو من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع الحقّ والحق مع علي، يدور حيثما دار».

\*\*\*

### (11) رأيه في التنجيم

من كلام له عليه السلام رقم 78 الصفحة 156، قاله لبعض أصحابه، لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له يا أمير المؤمنين إن سرّ في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام: [ أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرف عنه السوء؟ وتخوّف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضرُّ؟ فمن صدّقك بهذا، فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب، ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد دون ربّه، لأنّك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النّفع وأمن الضُّراً].

هو برهانٌ على خطأ رأي المنجمين، وتسفيه رأيهم، ودعوة لتعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها، وبطلان ما يُسمى (علم التنجيم) وهو العلم المبني على الاعتقاد بروحانيّة الكواكب، وأنّ لتلك الروحانية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصريّة، وأنّ من يتّصل بأرواحها، بنوع من الاستعداد والرياضة، تُكشف له ما غاب من أسرار الحال والاستقبال. وهذا ما نهى عنه عليه السلام.

وردّ على من طلب منه عدم المسير بوقتٍ معيّن خشية أن لا يظفر بما يطلب، في أنّ ذلك يقتضي للعامل بما تقول أن يوليكَ الحمد دون الله، لأنّك هديته إلى ساعة النفع ودفعته عن ساعة الضرر. وهذا كفر محض.

ثمّ قال عليه السلام: [أيّها الناس! إيّاكم وتعلّم التّجوم إلّا ما يُهتدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالسّاحر، والسّاحر كالكافر، والكافر في النار].

الكاهن: من يدّعي كشف الغيب، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها، ودليل على عدم صحّتها ومنافاتها للأصول الشرعيّة والعقليّة.

\*\*\*

## (12) عجباً لابن النابغة

من الخطبة رقم 83 الصفحتان 175 و 176 في عمرو بن العاص.

يقول عليه السلام: [عجباً لابن النابغة، يزعم لأهل الشام، أنّ فيّ دُعباءة، وأنّي امرؤٌ تلعباءة، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. ألا وشرُّ القول الكذب،

ص: 216

إنه ليقول فيكذب، ويعدُّ فيخلف، ويسأل فيلحف، ويسأل فييخل، ويخون العهد، ويقطع الإلّ. فإذا كان عند الحرب، فأبى زاجرٍ وأمرٍ هو مالم تأخذ السيوف مأخذها، فإذا كان ذلك، كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سدبته. أما والله إنني ليمنعني من اللّعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحقّ نسيانُ الآخرة].

النابغة: المشهورة في ما لا يليق بالنساء، وهو لقب أم عمرو بن العاص. الدعابة: المزاح. تلعبه كثير اللعب. يلحف: يلح. الإلّ: القرابة، ويقطع الإلّ أي يقطع الرحم. السبّة: الإسته، وأكبرُ مكيدةٍ لعمر بن العاص، فعلته عندما نازل أمير المؤمنين في صفين، وصرعه الإمام وكاد أن يضرب عنقه، فكشف عورته، فالتفت عنه وتركه.

والإمام عليه السلام، في كلامه عن ابن العاص، يوضح بقول الحقّ مثالب هذا الرجل، الذي حاول هو وغيره إيجاد مثلبة واحدة لأمير المؤمنين فعجزوا، حتى ألصق ابن العاص من بنات أفكاره ومن خياله المريض تهمة الدّعابة والتلعبا بمقام أبي الحسن، وهو قبل غيره يعرف من هو أبو حسن.

وقد أوردنا ذكر ابن النابغة في هذا الباب، ليتبين نوع الأشخاص الذين خالفوا أمير المؤمنين، ووقفوا بالصفّ المعادي له، ذلك أنّهم لا يمكن لهم أن يكونوا بصفّه، وهم والدين والخلق والحقّ والعدل على خلاف.

ومن أخبار ابن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي. أبوه العاص بن وائل، الذي أنزل الله سبحانه فيه: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3) (1)) ذلك أنه كان يقول: سيموت محمد غداً فينقطع ذكره. .

ص: 217

ودعاه الأبتَر. وهو أحد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه وفي أصحابه نزل أيضاً: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ 95) (1). وكان عمرو يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكَّة ويشتمه ويضع في طريقه الأحجار والأشواك، وهو أحد الأشخاص، الذين رَوَّعوا زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لَمَّا خرجت مهاجرة إلى المدينة حتَّى أجهضت جنينها، وقد آلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشقَّ عليه مشقَّة شديدة. وقد هجا عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يُعلِّم الصبيان هجاءه لِيُنشِدونه بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مرَّ بهم، وقد دعا عليه النبيُّ وهو يصلي: اللهم إنَّ عمرو بن العاص هجاني، ولستُ بشاعر، فالعنه بعدد ما هجاني.

ويوماً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً بفناء الكعبة، فأخذ العاص ومعه عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث سلى جَمَلٍ ووضعوه على رأسه، فسال عليه، فصبر ولم يرفع رأسه، حتَّى جارت فاطمة عليها السلام فرفعت ذلك السلى عن رأسه وألقته، وقد دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولشدَّة عداوة عمرو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أرسلته قريش إلى الحبشة، ليقتل جعفر بن أبي طالب، إن أمكنه، أو يُعيده هو ومهاجرة الحبشة إلى سادات مكَّة، وليزهد ملك الحبشة بالدين الإسلامي. وليس خافياً ما قام به ابن النابغة، من إشعال الفتن، والتأليب على عثمان، وبثَّ الفرقة بين المسلمين، وما قام به من مؤازرة لمعاوية ومساعدته على غيِّه، واستعمال المكائد في صفين، من رفع المصاحف، وبعدها في التحكيم، وما خالف به أحكام الله، واتباعه الهوى، وبيع الدين بالدنيا، إن كان له دين، حتَّى كان من رؤوس القاسطين الذين أوعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهم، وقال لعلي عليه السلام: 5.

ص: 218

سْتَحَارِبِ النَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَاللَّهُ يَقُولُ: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا 15) (1).

أما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» قال: كانت النابغة أم عمرو بن العاص، أمة لرجل من عنزة، فسُبيت، فاشتراها عبد الله ابن جدعان، فكانت بغياً، ثم أعتقها، فوقع عليها أبو لهب، وأميمة بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان، والعاص بن وائل السهمي، في طهرٍ واحد، فولدت عمراً، فادّعاها كلهم، فحكمت أمه فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأن العاص كان يُنفق عليها كثيراً.

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل واسمها سلمى بنت حرملة من بني جَلان بن عنزة بن أسد، وتلقبت بالنابغة.

وجرى حديث في مجلس معاوية، حضره أشخاص من جملتهم عمرو بن العاص، تحدّث به الإمام المجتبي الحسن بن علي عليه السلام، وهو يردُّ على هؤلاء، بعد أن تحزّبوا ضد الإمام الحسن، وشتّموا أمير المؤمنين عليه السلام أمامه وبحضور معاوية.

ومما قاله بخصوص ابن العاص مواجهةً: أمّا أنت يا ابن العاص، فإنّ أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً، من عُهر وسفاح، خاصم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزأها، الأهمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانيء محمّد الأتر، فأنزل الله فيه ما أنزل. وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع المشاهد، وهجوته، وأذيته بمكّة وكدته 5.

ص: 219

1- سورة الجن الآية: 15.

كيدك كلّه، وكنت من أشدّ الناس كه تكذيباً وعداوةً. ثمّ خرجت تُريد النجاشيّ مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكّة، فلمّا أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدّك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي، حسداً لما ارتكب مع حليلتك، ففضحك الله وفضح صاحبك. فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام.

وإنّك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين بيتاً من الشعر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكلّ حرفٍ ألف لعنة، فعليك إذاً من الله ما لا يُحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعّرت عليه الدنيا ناراً، ثمّ

لحقت بفلسطين، فلمّا أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، ثمّ حبست نفسك إلى معاوية، وبعث دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بُغض، ولا نعاتبك على ودّ وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا غضبت له مقتولاً، فهذا جوابك، هل سمعته؟

ولابن النابغة نصيبٌ من عبد الله بن جعفر شبه هذا الكلام ونحوه، في مجلس معاوية أيضاً. وكذلك من عبد الله بن عباس، وقد دعاه معاوية لمجلسه، وأحضر أصحابه، ومن جملةهم عمرو بن العاص، وقد طلب منهم معاوية أن يُحرّكوه على الكلام، ويتحرّشوا به، فنالهم ونال ابن النابغة ما يستحق، وما هو حقٌّ فيه من المثالب والمخازي التي كتبها تأريخه الأسود.

ومن قول ابن عباس:

«فلمّا رأيت الكواشر من الموت، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه،

والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمُنحتَه - رجاء النجاة - عُوْرَتِك، وكشفت له - خوف بأسه - سؤأتِك، حذراً أن يصطلمك بسوطته، ويلتهمك بحملته». معرضاً بكشف عورته عند النزال. وفي ذلك يقول الشاعر:

لا خير في ردّ الردى بمذلةٍ \*\*\* كما ردها يوماً بسوءته عمرو

\*\*\*

### (13) هذا جزاء من ترك العقدة

من كلام له رقم 120 الصفحة 261، وقد قام إليه رجلٌ فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أيُّ الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثمّ قال: [هذا جزاء من ترك العقدة! أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من؟!]

والكلام الذي قاله الرجل لأمير المؤمنين عليه السلام، شبهة من شبهات الخوارج، وقول الإمام عليه السلام: هذا جزاء من ترك العقدة، هو ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة، حتّى يكون الظفر أو الهزيمة. وما كان يدعوهم ويحملهم على حرب أهل صفّين، وترك الالتفات إلى مكيدة رفع المصاحف، وقوله: إنّها كلمة حقّ أريد بها باطل، وإن كان ذلك مكروهاً لديهم، لطول زمن الحرب، وذهاب الأنفس، فإنّ الله سبحانه كان يجعل فيه خيراً لهم، من النصر، والتخلّص من شرور معاوية. كما قال سبحانه: (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (19) (1) 9.

ص: 221



فلو استقاموا وقبلوا رأيه، وتركوا دعوة وقف القتال، لاهتدوا، وإن لم يستقيموا، وكان منهم الفتور وعدم الجد في القتال، قومهم بالتأديب أو الإرشاد والوعظ والتحريض والتشجيع.

وإن كان منهم الامتناع الكامل عن الحرب تداركهم باستنجد قبائل العرب وأهل خراسان والحجاز، فهم جميعاً كانوا من القائلين بإمامته، والمبايعين له. ويقول عليه السلام: لو فلت ذلك لكانت الوثقى، أي الرأي الأصوب والأحزم. ولكن بمن كنت أستعين وأعمل بذلك، فأما الحاضرون من شيعتي فأنتم وحالكم معلومة في الشقاق والعصيان، وأما الغائبون منهم كأهل البلاد النائية، فإلى أن يصلوا يكون العدو قد نال غرضه مني.

وكان الأشعث بن قيس، حينما سمع قول الإمام عليه السلام: هذا جزء من ترك العقدة، اعترضه وقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك، فخفض أمير المؤمنين إليه بصره ثم قال: وما يُدريك ما عليّ مما لي! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين.

والأشعث لم يفهم مراد الإمام بقوله فظنّ أنه قصد: هذا جزائي حيث تركتُ الرأي والحزم وحكمت. إنّما كان مراده عليه السلام: هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم.

والأشعث هذا كان أبداً أشعث الرأس فسُمِّي به، وغلب عليه حتى نُسي اسمه. واسمه: معدي كرب، وأبوه قيس الأشجّ وكان الأشعث من المنافقين، وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان عبدالله بن أبيّ ابن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم. أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم. كلُّ واحدٍ منهما رأس النفاق في زمانه. وكانت نساء قومه تدعوه: عُرفَ النَّار، وهو اسمٌ للغادر عندهم، حيث دلَّ على قومه، حين حاصرهم زياد بن لبيد عامل أبي بكر على

حضر موت، وطلب الأشعث الأمان له ولعشرة من أهله، ثم قُتل الباقر بأجمعهم، وكانوا ثمانمائة.

ومن كلام له رقم 121 الصفحة 263، ما يتصل بنفس موضوع الحكومة، قاله للخوارج، وهم مقيمون على إنكارها.

فكلمهم عليه السلام بكلام طويل منه: [ألم تقولوا، عند رفعهم المصاحف حيلةً وغيلةً، ومكرًا وخديعةً: إخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم. فقلت لكم: هذا أمرٌ ظاهره إيمانٌ وباطنه عدوان، وأوله رحمةٌ وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعصّوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ نعق، إن أُجيبَ أضلَّ، وإن تُركَ ذلَّ، وقد كانت هذه الفعلةُ، وقد رأيتمكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها، ولا حمّلي الله ذنبها].

ومن كلام له أيضاً في التحكيم، رقم 123 الصفحة 270، قاله للخوارج لما أنكروا عليه تحكيم الرجال: [إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مستورٌ بي الدفتين لا ينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال. ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله تعالى.

وقد قال سبحانه: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، ... وأما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم، فإتما فعلت ذلك ليتبين الجاهل، ويتثبت العالم، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة].

يقول عليه السلام: إن قول الخوارج أنني حكمت الرجال، دعوى غير صحيحة، وإنما حكمت القرآن والقرآن لا بد له من يُترجم عنه، فهو لا يتكلّم بنفسه. ثم إننا لما دُعينا إلى كتاب الله، لم نكن الفئة المعرضة، بل أجبنا إلى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى: (فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، وهذا يعني: الحكم بالكتاب والسنة، فإن عمل بالحق، لا بالهوى والعصبية، كنا أحقّ بولاية أمر الأمة.

أما ضرب الأجل في التحكيم، فهو من التثبّت والأناة، فيعلم الجاهل ما جهله، والعالم يثبت على ما علمه، ورجاء الإصلاح لأمر هذه الأمة.

وفي ما تقدّم من مناظرات واحتجاجات بين أمير المؤمنين، وبين الخوارج ومن اعترض عليه التحكيم والأجل في التحكيم، وغيرها من أمور حدثت بعد صفين، هي براهين وحجج ساقها إليهم، ليزيل الشبهة، ويعيدهم إلى سواء السبيل، ويُنقذهم من الضلال الذي أدخلوا أنفسهم فيه.

وقد رجع الكثير منهم إلى رشدهم، وعادوا إلى يقينهم، بعد أن تبينت لهم الحقيقة، وأزيلت عن عيّنهم الغشاوة، واستمعوا كلام أمير المؤمنين ووعوه، وتركوا العصبية ونزغات الشيطان. ومن تمادى منهم، وركب رأسه وغيّبه انخرط في صفوف الخوارج، ومرق من الدين مع من مرق. وكانت نتيجةهم أسوأ نتيجة، ومصيرهم أظلم مصير.

\*\*\*

## (14) المال ما ل الله

من كلام له رقم 124 الصفحتان 271، 272، وقد عاتبه البعض على التسوية في العطاء.

ص: 224

قال: [ أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّتُ عليه، والله ما أطورُ به ما سَمَرَ سَمِيرٌ، وما أَمَّ نَجْمٌ في السَّماءِ نجماً. لو كان المالُ لي لسَوِّتُ بينهم، فكيف وإِنَّمَا المالُ مالُ الله! ألا وإنَّ إعطاءَ المالِ في غيرِ حَقِّه تَبذِيرٌ وإِسرافٌ، وهو يرفعُ صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرِّمه في الناس، ويُهَيِّئُهُ عندَ الله، ولم يضع امرؤُ ماله في غيرِ حَقِّه ولا عندَ غيرِ أهله إلا حرمه الله، شكرهم وكان لغيره ودَّهم، فإن زَلَّتْ به النَّعلُ يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرُّ خدين، والأُمُّ خليل].

لا أطور: أي ما أمرُّ به ولا أقاربه، مبالغةً في الابتعاد عن العمل

بما يقولون. سمر سمير: أي ما قام الدهر.

وما أَمَّ نَجْمٌ: أي قصد وتقدّم. والخدين: الصديق.

والإمام عليه السلام هنا يرِدُّ على من عاتبه على التسوية في العطاء، وعدم التفرقة بين الناس، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر لا يفرقان في العطاء، حتّى جاءت خلافة عمر، وفصّل بعض الناس على بعض، ففضّل السابقين على غيرهم، والمهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافةً على الأنصار، والعرب على العجم، والصريح على المولى، وبين زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهنّ على بعض. ومن بعده عثمان، فقد سار في العطاء بسيرة عمر في التفضيل، وزاد عليه بتمييز بني أمية، وتفضيلهم، ومنحهم القطائع والأموال، حتّى طال الأمد، وتعوّد الناس على ذلك.

والإمام يقول: كيف تأمروني أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قومٍ وُلِّيت عليهم، ولهذا الكلام قصدٌ آخر: أي أنني لا أطلب النصر والانتصار بمن أهبهم الأموال بغير حَقِّها، وأحرمها أصحابها. ثم يقول: لو كان المال لي وأنا صاحبه لسَوِّيت في العطاء، فكيف والمال مالُ الله،

وأنا وكيلٌ عليه، أمرت أن أعطيه أصحابه، ولا أفرق في تقسيمه ولا أجور في توزيعه.

ثمَّ ذكر أن إعطاء المال في غير حقه تذييرٌ وإسرافٌ، وقد نهى الله عن الإسراف. وإن كان إعطاء المال بغير حقه يرفع صاحبه عند الناس، فإنَّ ذلك يضعه عند الله، وهو محاسبٌ عليه. وإنه لم يسلك أحدٌ هذا المسلك إلا حرمه الله ودَّ الذين يتحبَّب إليهم بإعطائهم المال، ولو احتاج إليهم يوماً عند عشرةٍ يعثرها فلن يجدهم.

\*\*\*

## (15) احتجاجه على الخوارج

من كلام له رقم 125 الصفحتان 272، 273، قاله عليه السلام لما رأى من الخوارج استعراض العامة وقتل الأطفال والنساء، وحتى البهائم، وقد كان منهم قومٌ فعلوا ذلك. ولهم وقائعٌ فظيعة في الناس يذكرها التاريخ، وكانوا يقولون: إنَّ الدار دار كفر لا يجوز الكفَّ عن أحدٍ من أهلها، فهؤلاء هم الذين وجَّه إليهم خطابه وإنكاره.

والخوارج كلُّهم يذهبون إلى تكفير أهل الكبائر. واحتجاج أمير المؤمنين الذي احتجَّ به عليهم لازمٌ وصحيح، لأنَّه لو كان صاحب الكبيرة كافر لما صلَّى عليه رسول الله، ولا ورثه من المسلم، ولا أباح له نكاح المسلمات، ولا أعطاه من الفية ولا أخرجه من لفظ الإسلام.

قال عليه السلام للخوارج: [فإنَّ أبيتُم إلا أن تزعموا أنَّي أخطأتُ وضللتُ، فلمَ تُضللُّون عامةَ أمةِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفِّرونهم بذنوبي. سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسُّقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يُذنب، وقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجَمَ الزاني

ص: 226

المحصن، ثمَّ صَلَّى عليه، ثمَّ ورَّثه أهله. وقَتَلَ القاتل وورَّث ميراثه أهله، وقطع يد السَّارق، وجلد الزَّاني غير المحصن، ثمَّ قَسَمَ عليهما من الفيء، ونكح المسلمات فأخذهم بذنوبهم، وأقام حقَّ الله فيهم].

وبهذا احتجَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وبين فساد رأيهم، وبطلان معتقدهم وزعمهم أنَّ من أخطأ أو أذنب فقد كفر، وأقام الحجَّة عليهم فيما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

\*\*\*

## (16) في شأن طلحة والزبير

من كلام له رقم 135 الصفحتان 284، 285.

قوله عليه السلام: [ والله ما أنكروا عليَّ منكرًا، ولا - جعلوا بيني وبينهم نصفًا، وإنَّهم ليطلبون حقًّا هم تركوه ودمًا هم سفكوه، فإنَّ كنتُ شريكهم فيه فإنَّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولَّوه دوني فما الطَّلِبَةُ إِلَّا قبلهم].

وقد ورد مثل هذا الكلام في الخطبة رقم 22 الصفحة 80، وقد أدرجناها في «ردِّ التهمة» بالرقم (6) من هذا الباب، ونُضيف هنا بعض الأخبار المعنيَّة بنفس الموضوع: عن ابن أبي الحديد، روي أنَّ عثمان قال: ويلى على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يُحرِّض على نفسي، اللَّهُم لا تمتعه به ولِّقه عواقب بغيه.

وروى الناس الذين صنَّفوا في واقعة الدار أنَّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به، يرمي الدار بالسَّهام، ورووا أنَّه لمَّا امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دارٍ لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها، وتسوَّروا منها على دار عثمان وقتلوه.

ص: 227

وروا أيضاً أنّ الزبير كان يقول: اقتلوا عثمان فقد بدّل دينكم، فقالوا: إنّ ابنك يُحامي عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بدىء يا بني. «وأضاف الزبير كلاماً لا يليق ذكره عن عثمان، ولا هو حقّ فيه».

وكان مروان يقول: والله لا- أترك ثأري وأنا أراه، ولأقتلنّ طلحة بعثمان، فإنّه قتله. ثمّ رماه بسهم فأصابه في مابضه، فنزف الدم حتّى مات، وذلك يوم الجمل.

ومن جملة احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام، والبراهين التي ذكرها في براءته ممّا نسبوه إليه من أمر عثمان، قوله عليه السلام: والله ما أنكروا عليّ أمراً هو منكر في الحقيقة، وإنّما أنكروا ما الحجّة عليهم فيه لا- لهم، وأنّ الذي حملهم على ذلك، الحسد وحبّ الاستتار والتفضيل بالعطاء، وغير ذلك ممّا لا يُجيزه أمير المؤمنين لخلافه الشرع والعدل. وهم لم يجعلوا بيني وبينهم وسيطاً يحكم ويُنصف، بل خرجوا عن طاعتي، وذهبوا إلى البصرة يظهرون أنّهم يطلبون الحقّ، وقد تركوه في المدينة. وأنّ أوّل العدل أن يحكموا على أنفسهم، وإنّ كان دم عثمان قبلهم، فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل إنكارهم على غيرهم.

\*\*\*

## (17) معاقبة القاتل

من كلام له رقم 166 الصفحة 342

بعد ما بويح بالخلافة، وقد قال له قومٌ من الصحابة: لو عاقبت من أجلب على عثمان، فقال عليه السلام: [إني لستُ أجهلُ ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة، والقوم المجلبون على حدّ شوكتهم، يملكوننا ولا نملكهم؟ وها

ص: 228

هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا. إن هذا الأمر أمر جاهليّة، وإنّ لهؤلاء القوم مادة. إنّ الناس من هذا الأمر - إذا حرك - على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذلك، فاصبروا حتى يهدأ الناس ... ]

على حدّ شوكتهم: أي لم تنكسر سورتهم. والعبدان: جمع عبد.

وخلالكم: أي بينكم. مادة: عون وقوة.

واضح من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه يرى محاسبة من حاصر عثمان والاقتصاص من قاتليه، ولذا قال: إنّي لست أجهل ما تعلمون. ولكن أوضح لهم تعدّد القيام بذلك في الحال، وبيّن أسبابه، وذكر جملة من المعوقات منها: أنّ الثائرين على عثمان والمحاصرين له، هم أكثر أهل المدينة ومن حضر من أهل مصر والكوفة، ومن انضم إليهم من أعراب البادية، لا يزالون في شدة سورتهم، وحدّة هيجانهم وهم ليسوا بالقليل وعندهم العدة والسلاح والعدد ويقيمون بينكم يفعلون ما يشاؤون. والأمر أمر جاهليّة، إذا حرك فلا تؤمن عواقبه والناس مختلفون فيه: فمنهم من يؤيد رأي المعاقبة، ومنهم من لا يؤيد ذلك، وقسم ثالث لا يرى هذا ولا ذلك، فيحدث الاختلاف واحتمال قيام فتنة جديدة. فكان الأصوب الانتظار لحين سكون الفتنة، وتفرّق الناس وعودة القادمين كلّ إلى بلده، ثمّ يُنظر في ذلك الأمر وتتخذ الحقوق يسر. وهذا عين الحقّ ومحض الصواب.

يقول ابن أبي الحديد وكان عليه السلام يؤمل أن يُطيعه معاوية وغيره، وأنّ يحضر بنو عثمان عنده يُطالبون بدم أبيهم، ويعيّنون قوماً بأعينهم، بعضهم للقتل، وبعضهم للحصار وبعضهم للتسوّر، كما جرت عادة المتطلّمين إلى الإمام والقاضي، فحينئذٍ يتمكّن من العمل بحكم الله



تعالى. فلم يقع الأمر بموجب ذلك، فعصى معاوية وأهل الشام، والتجأ ورثة عثمان إليه، وفارقوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يطلبوا القصاص طلباً شرعياً، وإنما طلبوه مغالبة، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية، ولم يأت أحد الأمر من بابه. وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير. ونقضهما البيعة، ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من أهلها، وجرت أمور كلها تمنع الإمام من التصدي للقصاص، واعتماد ما يجب اعتماده، لو كان الأمر وقع على القاعدة الصحيحة، من المطالبة بذلك على وجه السكون والحكومة، وقد قال عليه السلام لمعاوية: فأما طلبك قتلة عثمان، فادخل في الطاعة، وحاكم القوم إليّ، أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله.

وفي حقيقة الأمر إن من طالب بالثأر لدم عثمان، كمعاوية وطلحة والزبير، لم يطلبوا ذلك انتصاراً لقمان، فهم من شارك وساعد وساهم - كل حسب طاقته - بسفك دمه، ولكنهم استخدموا هذه الذريعة ليمرروا خروجهم على الإمام ونقض بيعته، والسعي لإفساد الأمر عليه، وإشعال الفتن، لتحقيق أطماعهم، فكل واحد منهم اشترأبت عنقه للخلافة، وطمع فيها. ثم إن عصيان معاوية، ومن قبله خروج طلحة والزبير، ومن ساندتهم، منع الإمام من إقامة الحدود على من اتهموا بحصار عثمان وقتله، بتتبع هؤلاء واستخدام طرق الاغتيال والقتل من دون الرجوع إلى الإمام أو إلى القضاء. ومن المؤكد أن إيقاد الفتنة، وجعل جذوة حادثة الدار مشتعلة، وفورتها قائمة، من أهم أهداف معاوية وابن العاص وأتباعهما من الأمويين، وأعداء الإمام. ليبقى مسلسل سفك الدماء مستمراً، ولخلق الأجواء المشحونة، وتعكير أجواء الخلافة، وتهيج الرأي العام وإثارة التّعرات ومن بعدها تكون الأجواء مناسبة لمعاوية فينتقض على الخلافة، ويفعل ما يريد. وهذا هو الذي حصل وآلت إليه الأمور،

بعد أن تهيأت لمعاوية كل الظروف، وساعده على إدراك أطماعه وإتمام جريمته بالدرجة الأولى طلحة والزبير وأصحاب الجمل، باشغالهم الإمام وإضعاف الروح القتالية عند أصحابه، ثم الخوارج الذين مروا من الدين، وأشغلوهم بحرب أخرى هي النهروان.

\*\*\*

### (18) مساقط الغيث

من كلام له رقم 168 الصفحتان 344 و 345، كلم به بعض العرب، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لِمَا قرب عليه السلام منها، ليعلم لهم حقيقة حاله مع أصحاب الجمل، لتزول الشبهة من نفوسهم، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثم قال له الإمام: بايع، فقال: إني رسول قوم ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم.

فقال عليه السلام: أرأيت لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم، وأخبرتهم عن الكلاء والماء، فخالفوا إلى المعاطش والمجاذب، ما كنت صانعاً؟

قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء. فقال عليه السلام: فامدد إذا يدك. فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة عليّ، فبايعته].

وقد أعطاه الإمام اه الإمام البرهان الواضح بهذا المثال اللطيف الذي ساقه إليه، وأقام الحجّة عليه فبايعه، ولم ينتظر حتى يعود لقومه بعد أن عرف الحق واقتنع بقول الإمام، فما الحاجة لرأي الآخرين؟

\*\*\*

من الخطبة رقم 170 الصفحة 346، في من رماه بالحرص، قوله عليه السلام: [وقال قائل: إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص، فقلت: بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه. فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين، هب كآته بهت لا يدري ما يجيبني به].

يقول البعض إن القائل هو سعد بن أبي وقاص، وذلك يوم الشورى، وبعض قال: هو أبو عبيدة بن الجراح في يوم السقيفة، فإن كان القائل سعد، فذلك غريب منه، مع روايته في أمير المؤمنين عليه السلام: أنت متي بمنزلة هارون من موسى.

وقرعه بالحجة: صدمته بها والحجة ما ذكره عليه السلام من حقه الذي طالب به، وهم الذين حالوا بينه وبين أن يصل إليه. والثابت عندهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له يوم غدیر خم: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وغيره من الأحاديث التي تبين وتثبت ذلك الحق الذي طالب به، وهم يدفعونه عنه، ويطلبون نفس الأمر، ولكن من دون حجة أو برهان. فمن يكون الأحرص في الطلب إذاً؟

وهب لا يدري ما يجيبني: كما تقول استيقظ وانتبه، بعد أن كان غافلاً عن الحجة، فلما سمعها بانت له الحقيقة وانتبه. وفي الصفحة 347 يقول عليه السلام: [ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه].

وتلك حجة أخرى، باعترافهم أنه صاحب الحق، وإقرارهم لفضله، وأنه أجدرهم في القيام بالأمر. ولما اختير في الشورى غيره، قالوا للإمام: في الحق أن تتركه، وهذا تناقض واضح في الحكم، فلا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه.

وفي نفس الخطبة، ونفس الصفحة 347، في ذكر أصحاب الجمل، قوله عليه السلام: [فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً، معتمدين لقتله بلا- جرم جرّة، لحلّ لي قتل الجيش كله، إذ حضروه فلم يُنكروا، ولم يدفعوا عنه بلسانٍ ولا- يد دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم].

قال القطب الراوندي: يريد أنّهم داخلون في عموم قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا) (1).

فلو كان المقتول واحداً لحلّ قتلهم بأجمعهم، لحضورهم وعدم الدفاع بلسانٍ ولا بيد، واعتقادهم إباحة ما حرّم الله من سفك الدم الحرام. فكيف وقد قتلوا من المسلمين الكثير، بعضهم غدرًا، وبعضهم صبرًا.

\*\*\*

## (20) في معنى طلحة

من كلام له رقم 172 الصفحة 350، يقول:

[والله ما استعجل متجرّدًا للطلب بدم عثمان إلا خوفًا من أن يُطالب بدمه، لأنّه مظنّته ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يُغالط بما أجلب فيه لئلبس الأمر، ويقع الشكّ.

والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالمًا - كما يزعم - لقد كان ينبغي له أن يؤازر قاتليه، وأن يُنابد ناصريه.

ص: 233

ولئن كان مظلوماً لقد كان في شكٍّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانباً، ويدع الناس معه، فما فعل واحدةً من الثلاث، وجاء بأمرٍ لم يُعرف بابه، ولم تسلم معاذيره].

لقد تكرر ذكر طلحة، وموقفه من عثمان، وحرصه على سفك دمه، وهنا يبرهن الإمام بكلامٍ آخر عن حقيقة موقف طلحة، وأنه استبق الآخرين وتجرّد للطلب بدم عثمان، خوفاً أن يُتَّهم به، لأنه مظنّته، فحاول بهذه المطالبة أن يشبّه الأمر على الناس ويقع الشكُّ فيه، ليُبعد التهمة عنه. وقد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والإجلاب عليه، والإغراء به.

ثمّ حاجج طلحة بقوله: إنّ أمره لا يخلو إمّا أن يكون معتقداً حلّ دم عثمان، أو حرمة، أو يكون شاكّاً في الأمرين: فإن كان الأول، لم يجز له أن ينقض بيعة الإمام لنصرة إنسانٍ حلال الدم. وإن كان الثاني، كان يجب عليه أن يُدافع عنه وينصره ويمنع عنه الناس. وإن كان شاكّاً في الحالتين، كان يجب عليه الاعتزال.

وهو لم يفعل، وإنما صلي بنار الفتنة، وأصلاها غيره. وبهذا أثبت أمير المؤمنين بالبرهان خطأ موقف طلحة وشطط رأيه.

\*\*\*

## (21) في معنى الحكّمين

من كلام له رقم 175 الصفحة 358، قوله عليه السلام:

[فأجمع رأيي ملئكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن

يُجمعجا عند القرآن، ولا يُجاوزاه وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه،

ص: 234

فتاها عنه، وترك الحق وهما يُبصرانه، وكان الجور هوأهما، والاعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل، والعمل بالحق، سوء رأبهما، وجور حكمهما، والثقة في أأدبنا لأنفسنا، حين خالفا سبب الحق، وأتيا بما لا يُعرف من معكوس الحكم].

يُجعجعا: يُقيما عند القرآن، من جعجع البعير، إذا برك ولزم الجعجاع أي الأرض. تاها ضلأ.

يقول عليه السلام: إنني أخذت على الحكمين العهد والميثاق أن يعملوا بما في القرآن ولا يُجاوزاه، فضلاً عنه وحكماً أهواءهما وتركوا الحق وهما يعلمانه. ونحن على ثقةٍ من أمرنا، ولا يضربنا ما فعلاه، فإنهما خالفا الحق وعدلا عنه وعن الشرط، وعكسا الحكم.

فالحجّة والبرهان مع أمير المؤمنين في بطلان الحكم الذي توصل إليه الحكمان المعينان بعد رفع المصاحف في صفين، وتوقف القتال، لعدم تحقق الشرط الذي أخذ عليهما، والعهد والميثاق الذي أقسما أن يعملوا بهما.

والحكمان هما أبو موسى الأشعري عن أهل العراق، وقد اختاره الذين انخدعوا برفع المصاحف، وطلب منهم أمير المؤمنين تركه واعتماد عبدالله بن عباس، فرفضوا وأصرّوا على الأشعري، وكان من المخالفين، وممن تثبط عزائم الناس في حرب الجمل وقعد عن النصر والنجدة وبعد ذلك فهو ممن يوصف بالضعف وقلة الحيلة. والثاني عمرو بن العاص عن أهل الشام والمعدود من دهاة العرب، والمعروف بعدم التخرج في دين أو خلق. والأهم من ذلك، بغضه للإمام عليه السلام ولبيت الرسالة، وعدائه للإسلام، وتاريخه معروف ومشهور بكل ما هو سيئ وسلبّي نجاه رسول

الله وتجاه دعوته ورسالته، ومن قبله أبوه شانى ء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمحارب له. ثم اتّباعه لمعاوية واشتراطه عليه ملك مصر خالصة له، مقابل معاونته على إدراك ما يطمع إليه.

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه للنهج: أنّ معاوية كتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر، وقد قبضها بالشرط الذي اشترط على معاوية: أمّا بعد، فإنّ سؤال أهل الحجاز وزوّار أهل العراق كثُروا عليّ، وليس عندي فضل من أعطيات الحجاز، فأعنيّ بخراج مصر هذه السنة. فكتب عمرو إليه:

معاوي إنّ تدرُكك نفسٌ شحيحةٌ \*\*\* فما مصرٌ إلّا كالهباءة في التّربِ

وما نلتُها عفواً ولكنّ شرطُها \*\*\* وقد دارت الحرب العوان على قُطبِ

ولولا دفاعي الأشعري ورهطه \*\*\* لألفيتها ترغو كراغية السّقبِ

السقب: ولد الناقة، أو ساعة يولد.

فلما بلغ الجواب معاوية لم يعاوده في شيء من أمر مصر بعدها.

\*\*\*

## (22) نقضه آراء طلحة والزبير

من كلام له عليه السلام رقم 203 الصفحتان 436 و 437، كلّم به طلحة والزبير، وقد عتبا عليه من ترك مشورتها، وطلبا إشراكهما في أمور الحكم.

قوله عليه السلام: [فلما أفضت إليّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته. فلم أحتج إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكمٌ جهلته فأستشيركما وإخواني من

ص: 236

المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما. وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا ولينه هوى مني، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فُرعَ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه [.

يقول الإمام عليه السلام: إنّه لم يستأثر في قسم، ولم يدفع عنهما من الحقّ شيء كان لهما، ولم يجهل حكماً من أحكام الشريعة، فيحتاج للرأي منهما أو من غيرهما، ولو حصل ذلك فلن يستتف أن يسأل عنه، ولا جري عنده حكم وأخطأ بابه.

وأما ما عتبا عليه لمساواته في العطاء، فيقول لهما: إنّي عملتُ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساوى في العطاء بين الناس، وهو ما سار عليه أبو بكر أيضاً.

وكان طلحة والزبير قد طلبا توليتهما البصرة والكوفة، فامتنع عن ذلك، لعلمه ما يضمrane له من الغدر والعداوة ونكث البيعة. فلما شاهدا صلابته في الدين، وقوته في العزم، وهجره الإدهان والمراقبة، ورفضه المدالسة والمواربة، وسلوكه في جميع مسالكه منهج الكتاب والسنة، تنكرا له، ونقما عليه ونقضا بيعته، وخرجا يؤلبان ومن معهما الناس ضده حتى وردا البصرة وانتهى مصيرهما في حرب الجمل إلى ما هو معروف.

\*\*\*

### (23) في الحكمين أيضاً

من كلامه عليه السلام رقم 235 الصفحتان 482 و 483، قوله عليه السلام:

[ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يُحبّون، وإنكم

ص: 237



اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكروهون، وإنّما عهدكم بعبدالله بن قيس بالأمس يقول: «إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم، وشيموا سيوفكم». فإنّ كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإنّ كان كاذباً فقد لزمته التّهمة، مادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس].

ذكر أمر الحكمان في أكثر من موقع، وهنا يبرهن صلوات الله عليه، خطأ من اختار عبدالله بن قيس، وهو اسم أبو موسى الأشعري، مقابل عمرو بن العاص، فيقول: إنّ أهل الشام اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يُحبّونه، وهو ابن العاص، والذي يُحبّه أهل الشام هو الانتصار على أهل العراق، وكان ابن العاص أقربهم إلى بلوغ ذلك، بمكره وحيلته وخداعه، وبغضه أمير المؤمنين عليه السلام. وأمّا أنتم فاخترتم أقرب الناس ممّا تكروهون وهو أبو موسى، والذي يكرهه أهل العراق يُحبّه أهل الشام، وكان الأشعري أقرب الناس إلى وقوع ما تكروهونه وما يُحبّه أهل الشام، لغفلته وبلهه وفساد رأيه، وخلافه أمير المؤمنين من قبل.

ثمّ يحتجّ على الأشعري، ويقول: هو بالأمس في وقعة الجمل كان يقول للناس: إنّها فتنة، فقطّعوا أوتاركم، واغمدوا سيوفكم. فإذا كان صادقاً فلماذا سار معنا وحضر الحرب في صفّين - وإن لم يُحارب - ولم يُكرهه أحدٌ على الدخول فيما نحن فيه، فقد أخطأ بمسيره وكان عمله خلاف عقيدته، ومن كان شأنه ذلك لا يصلح للحكم. وإنّ كان كاذباً في ما يقول، فقد كان عارفاً بالحقّ، ونطق بالباطل، فهو منهم، ويخشى أن يكون منه مثل ذلك في الحكم، لذا فهو لا يصلح له أيضاً.

وإنّما طلب أمير المؤمنين عليه السلام، أن يُقذف بابن عباس على ابن العاص، لأنّه ذكيٌّ وحريص ولا يُخافُ جانبه، من خيانةٍ أو خروجٍ عن نهج القرآن، وأنّه القادر على ردّ مكائد ابن العاص والتربّص لنخبته،

ووقوفه على وجوه الحيل التي يُمارسها عمرو بن العاص. وعدم قدرة الأخير في مجازاة ذكاء ابن عباس وسرعة بديهته، وحرصه على الحق وإتمام العدل.

\*\*\*

## (24) في مقتل عثمان

من كتاب له رقم 239 الصفحة 490، وقد أرسله إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة.

يقول عليه السلام: [فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه، إنَّ الناس طعنوا عليه، فكنتُ رجلاً من المهاجرين أكثرُ استعبابه وأقلُّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهونُ سيرهما فيه الوجيف، وأرفقُ حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتةٌ غضب، فأُتيح له قومٌ فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين، ولا مجبرين، بل طائعين مخيَّرين].

استعبابه: استرضاه. الوجيف: ضربٌ من سير الخيل والإبل

سريع. الحداء: سوق الإبل.

يقول عليه السلام: إنَّ الناس طعنوا على عثمان أموراً من أهمّها تقريبه بني أمية، ومنحهم القطنع واستعمالهم على رقاب الناس وكان منهم الفاسق، كالوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولأه الكوفة وحده أمير المؤمنين لشربه الخمر، ومنهم الطريد كمروان بن الحكم، وما كان عليه من الفساد وسوء استخدام السلطة، وما جرّه على الخليفة من ويلات، وغيرهم كثير. ويقول عليه السلام: إني كنت كثيراً ما أسترضيه وقليلاً ما أعاتبه، إلا في موضع النصح والمشورة، ومساندته حين طلبه للمساعدة.

ص: 239

أما طلحة والزبير، فقد سارعا لإثارة الفتنة عليه، وتحريض الناس ضده، والمشاركة في حصاره، والدفع إلى قتله وسفك دمه. وأما أم المؤمنين عائشة فإنها غضبت عليه، وسارت في طريق إظهار مثالبه للناس والعيب فيه.

قيل إنَّها أخرجت نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقميصه من تحت ستارها، وعثمان على المنبر، وقالت: هذان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقميصه لم نبل، وقد بدلت من دينه، وغيّرت من سنّته، وجرى بينهما كلام المخاشنة، فقالت: اقتلوا نعتلاً، تشبّهه برجل معروف. فأُتيح وقدر له قومٌ فقتلوه.

أما بيعة الإمام عليه السلام، فقد حصلت باختيار الناس وبدون إجبار أو إكراه، بل كانت بيعة شعبية عامّة، حضرها أهل الحل والعقد، وعمامة المسلمين، ولزمت من غاب عنها ولم يحضرها. وللتأريخ: فإنَّ بيعة أمير المؤمنين هي الوحيدة في الخلافة الإسلامية، كانت بإرادة شعبية وموافقة من الناس، بعد أن تركوا وحرّيتهم في الاختيار، فاختروا الأصلح لهم، لولا- مواقف الطامعين والمرجفين، والحاسدين، وأهل الغايات المعادية لفكر الإسلام وعقيدة الإيمان وأهل الجاهليّة الذين ورثوا الحقد والكراهيّة والثأر من آبائهم المقتولين بسيف أمير المؤمنين، وسيوف الحقّ، في حروب الإسلام.

\*\*\*

## (25) مراسلات

لقد كان بين أمير المؤمنين ومعاوية مراسلات عديدة، وكتب جوابيّة استمرت منذ عصيان معاوية في الشام، ورفضه الدخول فيما دخل فيه المسلمون من بيعة الإمام عليه السلام، ولحين وقوع الحرب بينهم في صفّين.

ص: 240

وفي تلك الكتب والرسائل كان أمير المؤمنين مرّةً ينصحه ويدعوه لنبذ الخلاف والابتعاد عن إثارة الفتن وشق صفوف المسلمين، وأخرى يردّ عليه ادعاءاته وأكاذيبه وافتراءاته، أو تفاخره الكاذب، وآرائه الباطلة بما انطوت عليه نفسه من خبثٍ، وما أضمره للإسلام وأهله من شرٍّ، وما كان يجري في دمه من نزعة جاهليّة، وأخلاقٍ عدوانيّة ورثها من البيت الأموي الذي وصفه القرآن بالشجرة الخبيثة، الملعونة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من موقع. وما حمّل هو وأشياخه من بني أميّة، أمير المؤمنين عليه السلام مسؤوليّة كلّ الدماء المشركة التي سالت وأهقرت بسيف الحقّ وساعد عليّ دفاعاً عن الدين، وردّاً لعدوان المشركين. ثمّ اتخذه قميص عثمان وأصابع نائلة، شعاراً لإثارة الفتن وزعزعة كيان الدولة الإسلاميّة، وهو يعلم قبل غيره أين يقع ثأر دم عثمان، وأنّ الإمام عليّاً عليه السلام أبعد الناس عنه، بل عكس الأمر تماماً، فلم يكن أمير المؤمنين لعثمان إلّا ناصحاً ومدافعاً، وقد نهى أهل مصر وغيرهم من قتله مراراً، ونابذهم بيده ولسانه، وبأولاده فلم يغن شيئاً، ومعاوية أعرف الناس بذلك، ولكنّها شريعة «الغاية تبرر الوسيلة»، ليصل إلى الشيء الذي خطّط له منذ نيّله ولاية الشام.

\* فمن كتاب له رقم 244 الصفحتان 494، 495 أرسله إلى معاوية، يقول: [إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر، وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ ولئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبراّ النَّاس من دم عثمان].

فإمامته عليه السلام لا يقدر فيها امتناع معاوية من البيعة، فالبيعة فيما مضى عليه المسلمون تكون ملزمةً حال قيامها من أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار على من حضرها ومن غاب عنها، ثم يدعوه إلى

النظر بعقله لا بهواه في أمر دم عثمان واتّهامه له، فلو فعل لعرف أنّ الإمام أبرأ الناس منه.

\* ومن كتاب له إلى معاوية أيضاً رقم 245 الصفحة 496، وهو جواب على كتاب أرسله له.

يقول: [لأنّها بيعةٌ واحدةٌ لا يُنتى فيها التّظّر، ولا يُستأنفُ فيها الخيار، الخارج منها طاعنٌ والمرّوي فيها مدهنٌ].

أي أنّها بيعة لا يُعاود فيها النظر ولا يُراجع ثانية، وليس بعد عقدها خيارٌ لمن عقدها ولا لغيرهم لأنّها تُلزم غير العاقدين، كما تُلزم العاقدين. الخارج منها طاعنٌ على الأُمّة، لأنّهم أجمعوا على أنّ الاختيار طريق الإمامة، ومن يُبطيء عن الطاعة ويفكّر فهو مدهنٌ، والمدهن: المنافق.

وجديرٌ بالذكر أنّ الإمام، حين يُخاطب ويُحاجج في موضوع الإجماع على أنّ الاختيار طريق الإمامة، فإنّ ذلك بما ألفوا عليه بعد السقيفة والشورى، وإلا فالإمام منصوّصٌ عليه بالإمامة من الله ومن الرسول، وهو صاحب الأمر الذي عيّنه النبيّ في غدیر خم، إضافةً إلى أحاديث لا تُحصى في هذا الشأن من الرسول في حقّ عليّ. ولكنّه يعلم أنّ القوم خالفوا هذا المبدأ، ونازعوا فيه أشدّ النزاع، وحتّى في حياة رسول الله، وما رزيّة يوم الخميس التي تحدّث عنها ابن عباس وغيره إلاّ إثباتٌ لذلك.

فأبى احتجاج من الإمام بهذا الأمر ومن يُصغي إليه، بعد كل هذه الأزمان والسنون التي مرّت عليه؟

\* ومن كتاب له رقم 247 الصفحة 498، إلى معاوية أيضاً. وهو

في الظاهر إجابة لكتاب من معاوية إليه. فالإمام عليه السلام يذكر مواقف قريش وحربها للنبي، وأهل بيته، وما كابده هو وجميع بني هاشم من المخاطر، والمصاعب، وخوضه لهوات الحروب دفاعاً عن حوزة الدين ضد المشركين، والذي كان معاوية منهم.

ثم يقول له مرة أخرى فيما يخص عثمان ومطالبة معاوية له دفع قتلته إليه: [فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك] أي لم أر أنه يحل لي دفعهم إليك، لخروجك عن طاعة الإمام وارتدادك درب الفاسقين، الذين يعيشون في الأرض فساداً. فإثماً يجب إيقاع الحد عليك أولاً.

وقد ذكر سابقاً ما احتج به أمير المؤمنين على معاوية وطلحة والزبير وغيرهم في موضوع القصاص من قتلة عثمان رحمة الله. وإنما تأتي الإعادة لنفس الموضوع، ذلك أننا عزمنا ذكر جميع ما ورد في خطبه وكلامه عليه السلام من احتجاج، ومن مناظرات.

\* ومن كتاب له رقم 248 الصفحة 499 وما بعدها، إلى معاوية أيضاً. يحدّره من عواقب غيّه، وغفلته من نفسه، وانقياده للشيطان، حتى جرى منه مجرى الروح والدم.

ويقول: [ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة، وولاة أمر الأمة بغير قدّم سابق، ولا شرفٍ باسق]. وهل يجوز للطلاق وأبناء الطلقاء ولاية هذا الأمر؟

ويرد عليه دعوته للحرب فيقول: [فدع الناس جانباً، واخرج إليّ، واعف الفريقين من القتال، لتعلم أننا المرين على قلبه، والمغطى على بصره]. المرين على قلبه: غلب عليه ذنبه فغطى بصره.

وأنا لمعاوية وغير معاوية، الوقوف إزاء علي في الحرب؟ وقد جرّب

من قبله صاحبه ابن العاص، فردّ الموت بإظهار عورته، ونجا والمذلة تلاحقه ليوم الدين.

لا خير في ردّ الردى بمذلة\*\*\* كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

ثم يقول له: [وزعمت أنّك جئت ثائراً بدم عثمان! ولقد علمت حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالباً]. وقد تكرر ذكر هذا الموضوع كثيراً فيما مضى.

\* ومن كتاب له برقم 255 الصفحة 505، وهو إلى معاوية أيضاً يُجيبه فيه على كتاب منه إليه.

فقد كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، يطلب منه أن يترك له الشام، ويدعوه للشفقة على العرب، فقد أكلتهم الحرب، ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس، ويهدّد بالحرب، ويفتخر.

فقال عليه السلام: [فأمّا طلبك إليّ الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس]. وكان البعض قد أشار على أمير المؤمنين أن يُقيم معاوية على إمارة الشام، دفعاً لضرره، فرفض الإمام ذلك، لأنّه معتقّدُ بفسق معاوية، فلا يمكن استعماله على أمور المسلمين ويتحمّل وزره، وهو القائل: والله لا- أطلب النصر بالجور. فرفض طلب معاوية إبقاءه على ولايته. ثمّ يقول: [ألا ومن أكله الحقُّ فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار].

ذلك عند قول معاوية: إنّ الحرب أكلت العرب.

ثم بيّن له الفرق بينهما، فأميّة ليس كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح. ولا الصريح كاللصيق، فالصريح، هو من أسلم اعتقاداً وإخلاصاً واللصيق، من أسلم تحت السيف أو لأجل الدنيا.

ولا المحقُّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. والمدغل: المفسد. ولبس الخلف خلفٌ يتبع سلفاً هوى في نار جهنم: فمعاوية كان يتبع في الاعتقاد ما كان عليه أسلافه من الشرك والجاهلية، ومحاربة الله ورسوله، وهم من هوى في نار جهنم.

\* ومن كتاب له رقم 266 الصفحة 518 وما بعدها جواباً إلى معاوية، وهو من محاسن الكتب. وفيه احتجاجات وجوابات لما طرحه معاوية في كتابه وهي متعددة تأخذها بالتسلسل:

قوله: [وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما للطلاق وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟ هيهات لقد حنّ قدحٌ ليس منها].

يقول له: إن صحّ ما ادّعت من فضل أبي بكر وعمر، لم يكن لك حظٌّ منه، فأنت بمعزل عنه. وأيُّ حقيقة لك معهم، وأنت من الطلقاء، وهم من المهاجرين. وضرب له مثلاً يُقال لمن يفتخر بقومٍ وهو ليس منهم، ذلك إذا كان سهمٌ يُخالف السهام كان له صوتٌ يُخالف أصوات تلك السهام عند الرمي.

والحال أنّ معاوية كان يحاول استحصال كلمة من الإمام فيها تعريض بالخلفاء الذين سبقوه، فيجعل ذلك حجةً عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما ذكره لهم من تهمته بقتل عثمان، وقتل طلحة والزبير وأسر عائشة في حرب الجمل وغير ذلك ممّا عُرف به معاوية من أساليب الخبث.



ثم يقول له: [وإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي النَّبِيِّ، رَوَّغٌ عَنِ الْقَصْدِ فَدَعَّ عَنْكَ مِنْ مَالَتِ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا، ... مَنَّا النَّبِيُّ، وَمَنْكُمُ الْمَكْدَبُ، وَمَنَّا أَسَدُ اللَّهِ، وَمَنْكُمُ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمَنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْكُمُ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمَنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمَنْكُمُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ].

فَأنت يا معاوية كثير الضلال، مَيَّالٌ عَنِ الْإِعْتِدَالِ. فَدَعَّ عَنْكَ مِنْ مَالَتِ بِهِ الرَّمِيَّةُ: وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ اِعْوَجَّ غَرَضُهُ فَمَالَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لَطَبَهُ، وَقَوْلُهُ: فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَمَا بَعْدَهُ: فَهَذَا كَلَامٌ عَظِيمٌ - يَقُولُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - عَالٍ عَلَى الْكَلَامِ، وَمَعْنَاهُ عَالٍ عَلَى الْمَعَانِي، أَي: لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ عَلَيْنَا نِعْمَةٌ، بَلِ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا، فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ، وَالنَّاسُ بِأَسْرِهِمْ صَنَائِعُنَا، فَنَحْنُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَقَامٌ جَلِيلٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ.

ثم يذكر: كيف يكون شرفكم كشرفنا؟ ومنا النبي المختار ومنكم المكذب يعني أبو سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمجلب عليه. ومنا أسد الله، وهو حمزة بن عبدالمطلب، ومنكم أسد الأحلاف، يعني عقبة بن ربيعة، وهو أبو هند أم معاوية، قتله حمزة في بدر.

ومنا سيد شباب أهل الجنة، يعني الحسن والحسين عليه السلام، ومنكم صبية النار، وهي الكلمة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عقبة بن أبي معيط حين قُتل صبياً يوم بدر، وقد قال عقبة كالمستضعف: مَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ (1) وعقبة من بني عبدشمس. وخير نساء العالمين، يعني فاطمة صلوات الله عليها، وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك، ولا خلاف.

ص: 246

فيه ومنكم حمالة الحطب هي أم جميل بنت حرب بن أمية زوجة أبي لهب، وقد ورد نص في القرآن بذلك.

في كثير ممّا لنا وعليكم: أي أنا قادر على أن أذكر من هذا الكثير ولكن أكتفي بما ذكرت.

وقوله عليه السلام: [ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم].

وقد ذكر هذا الاحتجاج في حديث السقيفة، فلا حاجة لتكراره.

وقوله عليه السلام: [وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدٌ، وعلى كلّهم بغيت، فإنّ يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك]، وأين أنت والخلفاء، ومن أباح لك التحدّث عنهم؟

وقوله عليه السلام: [وقلت: إنني كنتُ أقادُ كما يُقادُ الجمل المخشوش حتّى أبايع، ولعمر الله، لقد أردت أن تدمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها].

الغضاضة: النقص. وحقاً ذلك ما يفضح معاوية، ويردّ السهم الذي رماه إلى نحره والإمام عليه السلام إذا أراد الاحتجاج على حقّه فلغير معاوية، لأنّ معاوية منقطع عن جرثومة الأمر كلّها فلا حاجة للاحتجاج عليه. وأجابه عليه السلام عن أمر عثمان: [فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمّن بذل له نصرته فاستتعدّه واستكفّه، أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون، إليه حتّى أتى قدره عليه؟] من بذل النصره، هو الإمام عليه السلام، واستتعدّه عثمان، أي طلب قعوده ولم يقبل نصره. ومن تراخى عنه وبثّ المنون إليه: هم معاوية ومروان وطلحة والزبير لا أمير المؤمنين عليه السلام

\* ومن كتاب له برقم 270 الصفحتان 543 و 544 أرسله إلى معاوية أيضاً، يقول فيه: [ وأرديت جيلاً من الناس كثيراً خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات]. أي أهلكت كثيراً من الناس بإضلالك لهم.

\* ومن كتاب له برقم 275 الصفحة 549 إلى معاوية أيضاً. يقول عليه السلام: [فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصرُ لك، وخذلته حيث كان النصرُ له].

أي إنك حينما تُطالب بدم عثمان، وتصوّر للناس أنك تنتصر له، فذلك لا تنفعك وفائدتك به، لاتخاذ ذريعة وجمع الناس حولك وتحقيق غرضك منه. أمّا عندما طلب عثمان النصر منك خذلته وتخلّيت عنه، وأبطأت وتذرّعت بالأعذار، حتى أسلمته لمصيره. وهذا ما حصل لعثمان، فلو سارع معاوية بإرسال المدد من الشام، لكان ممكناً إيقاف ما حدث للخليفة وإنقاذه.

\* ومن كتاب له رقم 286 الصفحتان 566، 567، يقول عليه السلام: [وقد علمت أنك غير مدرك ما قُضي فواته].

هو دم عثمان والانتصار له، ومعاوية يعلم أنه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان. وأن من سبقوا معاوية، وفتحوا باب الفتنة بالطلب زوراً بدم عثمان وهم أصحاب الجمل، تطاولوا على أحكام الله بالتأويل، فأكذبهم الله، وأخزاهم، فلك أن تحذر يا معاوية من أن تمكّن الشيطان منك، فيستحوذ عليك، ولا تستطيع مجاذبته فيردك الهلكة.

وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إياك أجبنا

ولكننا أجبنا القرآن في حكمه].

وقد ورد شبه هذا القول، وذكر احتجاج الإمام فيه سابقاً.

## (26) طلحة والزبير مرة أخرى

من كتاب له رقم 292 الصفحة 597، إلى طلحة والزبير، يقول عليه السلام: [ وقد زعمتما أنني قتلتُ عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل ].

يقول: وقد زعمتما أن الشبهة التي دخلت عليكما في أمري أنني قتلتُ عثمان فلنجعل بيننا حكماً، ممن تخلف عني وعنكما من أهل المدينة. أي الجماعة التي لم تباع علياً، ولم تلحق بطلحة والزبير، أمثال محمد بن مسلمة، وعبدالله بن عمر وأسامة بن زيد، فإذا حكموا لزم كل امرئ ما بقدر ما تقتضيه الشهادات. ولا شبهة أنهم لو حكموا بما شاهدوا من صورة الحال، لقالوا ببراءة أمير المؤمنين عليه السلام، من دم عثمان، وأن طلحة كان هو الجملة والتفصيل في أمر حصر عثمان وقتله والزبير كان مساعداً على ذلك.

\*\*\*

## (27) بعض من صفين

من كتاب له رقم 296 الصفحتان 600 و 601، كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين.

[ فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت، ... أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه، فأجبناهم إلى ما دعوا وسار عناهم إلى ما طلبوا، حتى استبان عليهم الحجة، وانقطعت منهم المعذرة ].

يقول عليه السلام: إننا قلنا لهم: تعالوا فلنظفء هذه النائرة الآن بوضع الحرب، ثم أتمكن من قتلة عثمان بأعيانهم فأقتص منهم، فأبوا إلا

ص: 249

المكابرة والمغالبة بالحرب. فلما ضرستنا الحرب وإيّاهم عادوا إلى ما كنّا سألناهم ابتداءً، ورفعوا المصاحف يسألون النزول على حكم الكتاب، فأجبناهم، حتّى ظهرت عليهم الحجّة وانقطعت منهم المعذرة، وخالفوا حكم القرآن، ولجّوا وتمادوا، ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الذي ران على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه.

\*\*\*

## (28) تناقض الأشعريّ

من كتاب له رقم 301 الصفحة 607، إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تشبيطه الناس عن الخروج إليه لمّا نديهم لحرب أصحاب الجمل.

يقول عليه السلام: [فقد بلغني عنك قولٌ هو لك وعليك، فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك واشدد متزرك، واخرج من جحرك وانذب من معك، فإنّ حققت فانفذ، وإنّ تفشّلت فابعد].

ذلك إنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: إنّ عليّاً إمامٌ هدى، وبيعته صحيحة، إلّا أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة، وهذا القول بعضه حقّ وبعضه باطل، لذا قال له: هو لك وعليك. ثمّ قال له: إنّ أمرك مبنّيٌّ على الشك، وكلامك متناقض، فإنّ حققت لزوم طاعتي لك فسر حتّى تقدم إليّ وتشارك في حرب أهل النكث.

وإنّ أقمت على الشك فاعتزل العمل.

ص: 250

من كتاب له رقم 302 الصفحتان 608، 609.

أجاب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية على كتاب كان بعثه إليه، منه قوله: [إنا آمنّا وكفرتّم، واليوم إنّنا استقمنا وفُتنتّم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً].

فأبو سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من عبد شمس، لم يسلموا إيماناً واعتقاداً، بل كُرهاً ونفاقاً بعد فتح مكّة، وخوفهم من السيف، فكانوا من الطلقاء.

ثمّ يقول: [وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدت بعائشة، ونزلت بين المصريين، وذلك أمرٌ غبت عنه، فلا عليك ولا العذرُ فيه إليك].

فليس عليك كان العدوان الذي تزعم، ولا العذرُ إليك لو وجب عليّ العذرُ منه.

وقوله عليه السلام: [وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك].

تكذيب لمعاوية، فليس معه من المهاجرين ولا الأنصار من أحد، وإّما أكثر من معه هم من الطلقاء، ومن أسلم بعد الفتح والنبّيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا هجرة بعد الفتح وأخوه الذي أسر، هو يزيد بن أبي سفيان، أسر يوم الفتح في باب الخدمة، وكان خرج في نفرٍ من قريش يُحاربون المسلمين يوم الفتح، فقتل منهم جماعة وأسرى يزيد.

وقوله عليه السلام: [وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل في ما دخل فيه الناس، ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله تعالى، وأمّا تلك التي تُريد فإنّها خدعة الصبيّ عن اللبن في أول الفصال].

أي بايع، فإنَّ الإمام يجب أن يُطاع، ثمَّ يُتَحاكَم إليه أولياء الدم والمُتَهمون، فإنَّ حُكْم بالحَقِّ استُديمت بيعته، وإلاَّ بطلت. ثمَّ كَرَّر أمير المؤمنين رفضه طلب معاوية في إقراره على ولاية الشام، وقال: إنَّ ذلك كَمُخادعة الصبيِّ في أول فطامه عن اللبن.

\* ومن كتاب له رقم 303 الصفحات 610 - 612 إليه أيضاً.

يقول عليه السلام: [وبانتحالك ما قد علا عنك] أي أنت دون الخلافة، ولست من أهلها. [وجحوداً لما هو ألزم لك]، يعني فرض طاعة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنَّه وعامها سمعه، إنَّ كان بالنصِّ في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد حضر معاوية حجَّة الوداع، وسمع قوله لعلي: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه». وكان حاضراً أيضاً يوم تبوك وسمع قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى (1) وغير ذلك، أو بالبيعة فقد اتَّصل به خبرها، وتواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضرورة كعلمه بأنَّ في الدنيا بلداً اسمها مصر، ولو لم يرها.

ويقول له: [فاحذر الشبهة واشتمالها على لُبْسها، فإنَّ الفتنة طالما أغدقت جلايبها ... وحاشا لله أن تلي للمسلمين بعدي صَدَراً أو وِزْداً].

فالإمام عليه السلام يجد في معاوية كلَّ ما يمنع من تولِّيه أي منصبٍ أو مسؤوليَّةٍ أو ولاية، لفسقه وعدم تحرُّجه في المحارم، وما يضمِّره من العداة للإسلام وأهله، فما آمن ولكن دخل الإسلام كرهاً، هو وأهله، وكانوا من الطلقاء.

\*\*\*

ص: 252

1- أخرجه البخاري في كتاب المناقب «(3706)».

## (30) احتجاجه على الخوارج

من وصية له عليه السلام رقم 315 الصفحتان 622، 623، لعبدالله بن عباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج.

يقول عليه السلام: [لا تُخاصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً].

يقول ابن أبي الحديد في شرحه النهج: هذا كلامٌ لا نظير له في شرفه وعلوّ معناه، وذلك أنّ القرآن كثير الاشتباه، فيه مواضع يُظنُّ في الظاهر أنّها متناقضة، متنافية، نحو قوله: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (1) وقوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 23) (2). وقوله: (وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ) (3). ونحو ذلك، وهو كثير.

أما السنة فليست كذلك، وذلك لأنّ الصحابة كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتستوضح منه الأحكام في الوقائع، وما يشبه عليهم، يراجعونه فيه، ولم يكونوا يراجعونه في القرآن إلا فيما قلّ، بل كانوا يأخذونه منه تلقّفاً، وأكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنّه غير مفهوم، بل لأنّهم لم يكونوا يتعاطون فهمه، إمّا إجلالاً له أو لرسول الله أن يسألوه عنه، أو يُجرونه مجرى الأسماء الشريفة التي إنّما يُراد منها بركتها لا الإحاطة بمعناها، فلذلك كثر الاختلاف في القرآن.

وأيضاً فإنّ ناسخه ومنسوخه أكثر من ناسخ السنة ومنسوخها، وكان الأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك غرض صحيح، فأراد أن يقول لهم قال رسول 7.

ص: 253

1- سورة الأنعام، الآية: 103

2- سورة القيامة، الآية: 23.

3- سورة فصلت الآية: 17.



الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار (1)، وقوله: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. ونحو ذلك من الأخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بقي ممّن سمعها جماعة تقوم الحجّة وتثبت بنقلهم، ولو احتجّ بها على الخوارج في أنّه لا يحلّ مخالفته والعدول عنه بحالٍ لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين في محاجّتهم.

\*\*\*

### (31) واعجابه

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 190 الصفحة 668، قوله عليه السلام: [ واعجابه أتكون الخلافة بالصحابة والقراة ].

قال الرضي: وروي له شعرٌ في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم \*\*\* فكيف بهذا والمشيرون عُيِبُ

وإن كنت بالقربى حجبت خصيمهم \*\*\* فغيرك أولى بالنبى وأقربُ

وفي بعض النسخ، قوله: «واعجباً أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقراة».

في حديثه عليه السلام، نثرٌ ونظم، والنثر قسمان، فعلى القسم الثاني، وهو قوله: واعجباً أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقراة، موجّهٌ إلى عمر رضي الله عنه، لأنّ أبا بكر لما قال لعمر يوم السقيفة: امدد يدك. قال عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها شدّتها ورخانها، .

ص: 254

---

1- ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، والخطيب في تاريخ بغداد.

قامد أنت يدك، فقال عليه السلام: إذا كان استحقاقه للأمر بصحبته، فهلاً استحقها من شاركه في ذلك وزاد عليه بالقرابة!

وأما النظم فموجه إلى أبي بكر، لأنه حاج الأنصار، بقوله نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيضته، فلما بويع احتج على الناس بالبيعة وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد، فقال عليه السلام: أما احتجاجك أنك من بيضة رسول الله فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت!

أما النثر الأول وهو قوله: واعجباً أكون الخلافة بالصحابة والقرابة، فهو إشارة واضحة أن عقد الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بالصحابة ولا بالقرابة، وإنما هو عقد إلهي وعهد سماوي لا يناله إلا من يستحقه، ومن نصت عليه الآيات، وذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيعة الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه. وتلك حجة لا تواجهها حجة.

\*\*\*

### (32) ضلالة أصحاب الجمل

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 264 الصفحتان 686، 687، وكان الحارث بن حوط قال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة. فقال عليه السلام: [يا حارث! إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت. إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه].

فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك، وعبدالله بن عمر. فقال عليه السلام: [إن سعيداً وعبدالله بن عمر لم ينصرا الحق، ولم يخذلا الباطل].

ص: 255

يقول له: إنَّ فِكْرَكَ أَصَابَ ادْنَى الرَّأْيِ وَلَمْ يُصَبِّ أَعْلَاهُ. وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَالًا: أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ. أَيُّ أَتَمِّمْ خَذَلُوا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَنْصُرُوا مَعَاوِيَةَ أَوْ أَصْحَابَ الْجَمَلِ. وَأَمَّا لَفْظَةُ: لَمْ يَخْذَلُوا الْبَاطِلَ، أَرَادَ أَنَّ ابْنَ عَمْرٍ وَسَعْدًا لَمْ يُوَثِّرَا فِي مَحَقِّ الْبَاطِلِ وَإِزَالَتِهِ، وَلَمْ يُعَلِّمُوا النَّاسَ بَاطِلَ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَ الْجَمَلِ، وَلَمْ يَكْشِفَا اللَّبْسَ وَالشَّبَهَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى النَّاسِ فِي حَرْبِ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ، وَلَمْ يُعَلِّمُوا طَاعَةَ الْإِمَامِ، فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ عَنِ اتِّبَاعِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَبِذَلِكَ تَضَعُفُ شَوْكَةُ الْبَاطِلِ.

\*\*\*

### (33) حُلِّي الكعبة

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 272 الصفحتان 688، 689.

ذُكِرَ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ، حُلِّي الكعبة وكثرته، فَقَالَ قَوْمٌ: لَوْ أَخَذْتَهُ وَجَهَّزْتَهُ بِهَ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ، وَمَا تَصْنَعُ الكعبة بالحلي؟ فَهَمَّ عَمْرٌ وَبِذَلِكَ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: [إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْوَالَ أَرْبَعَةَ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرِثَةِ فِي الْفَرَايِضِ، وَالْفِي فَقَسَمَهَا عَلَى مُسْتَحَقِّيهِ، وَالْخُمْسَ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتِ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا. وَكَانَ حُلِّي الكعبة فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْهُ نَسِيَانًا، وَلَمْ يَخْفِ عَلَيْهِ مَكَانًا، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ].

فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: لَوْلَاكَ لَا فَتَضَحْنَا، وَتَرَكَ الْحُلِّيَ بِحَالِهِ. وَاحْتِجَاجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتِدْلَالُهُ فِي مَوْضِعِ حُلِّي الكعبة، يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَهُ مَالًا مَخْتَصًّا بِالكعبة، وَهُوَ جَارٍ مَجْرَى بَابِ الكعبة وَسُتُورِهَا، فَكَمَا لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، كَذَلِكَ الْحُلِّي، وَلَا يُحْمَلُ

ص: 256

على ظاهره، لأنّه ربّما قائلٌ يقول: إنّ الأموال الأربعة التي احتجّ بها، أموال متكررة بتكرّر الأوقات وهي أموال كثيرة، وحلي الكعبة مالّ واحدٌ وهو يسير. فالاهتمام بوجوه تصريف الأموال الأربعة أشدّ لأنّ الحاجة إليها أشدّ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للحلي.

\*\*\*

### (34) حساب الخلق

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 302 الصفحة 695.

سُئل عليه السلام كيف يُحاسبُ الله الخلق على كثرتهم؟ فقال: [كما يرزقهم على كثرتهم]. فقيل له: كيف يُحاسبهم ولا يروونه؟ قال: [كما يرزقهم ولا يروونه].

لأنّ الله تعالى لا يرزق العباد على الترتيب، واحداً بعد واحد، وإنّما يرزقهم جميعهم وبوقتٍ واحد. كذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة. وما دام الخلق لا يروونه وهو يرزقهم، فقد صحّ أن يُحاسبهم ولا يروونه.

\*\*\*

### (35) احتجابه مع اليهود

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 319 الصفحة 698.

قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتّى اختلفتم فيه! فقال عليه السلام: [إنّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيكم: (اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة) قال إنكم قومٌ تجهلون (138) (1)].

ص: 257

قوله عليه السلام: اختلفنا عنه لا فيه، أي لم نختلف في الأصول كالتوحيد والنبوة، وإنما حدث اختلافٌ بالفروع كالميراث والخمس وغيرها، واليهود كان اختلافهم في التوحيد الذي هو الأصل، بعبادتهم العجل بعد أن رأوا المعجزات والآيات مثل عبورهم البحر ومشاهدتهم غرق فرعون. وهذا غاية الجهل.

\*\*\*

### (36) في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 355 الصفحتان 705، 706.

قيل له عليه السلام: لو سُدَّ على رجلٍ باب بيته وتُرك فيه من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: [من حيث يأتيه أجله].

فإذا كان في حياته لطف لبعض المكلفين فإنه يُدِيم حياته، كما يشاء سبحانه. إمّا بغذاء يُقيم به حياته، أو يُديمها بغير سبب، وهو الوجه الذي يأتيه أجله منه.

وقد قال الشاعر:

جرى قلم القضاء بما يكونُ \*\*\* فسبَّان التحرك والسكونُ

جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ \*\*\* ويرزقُ في غشاوته الجنينُ

\*\*\*

### (37) العدل والجود

وفي باب الحكم رقم 431، الصفحة 723.

سُئل عليه السلام: أيهما أفضل العدلُ أو الجود.

قال عليه السلام: [العدلُ يوضع الأمور مواضعها، والجودُ يُخرجها من

ص: 258

جهتها، والعدل سائسٌ عامٌّ، والجود عارضٌ خاصٌّ، فالعدل أشرفها وأفضلها].

يقول ابن أبي الحديد: هذا كلامٌ شريفٌ جليل القدر، فضّل عليه السلام العدل بأمرين: أولها أنّ العدل وضع الأمور مواضعها، وهكذا العدالة في الإصلاح الحكمي، والجود يُخرج الأمر من موضعه، والمراد هنا بالجود: الجود العُرفي، وهو بذل المقتنيات للغير، لا الجود الحقيقي، لأنّ الجود الحقيقي ليس يُخرج الأمر من جهته، نحو جود الباري تعالى.

والأمر الثاني: إنّ العدل سائسٌ عام في جميع الأمور الدينيّة والدنيويّة، وبه نظام العالم، وقوام الوجود. أمّا الجود فأمرٌ عارضٌ خاص، ليس عموم نفعه كعموم نفع العدل.

\*\*\*

يتعيّن إلى من قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع الحقّ والحقُّ مع علي يدور معه حيثما دار» أن يكون كلّ ما ينطق به محض الحقّ. وهذا ما يعتقده مَنْ يواليه، أمّا ما عداهم، فقد شهد عدوّه قبل من اعتزله أنّه عليه السلام لا يُجارى في الاحتجاج، ولا يُقام أمامه دليل أو برهان، ولا يثبتُ له أبرع الناس وأكثرهم مراساً في المناظرة وعلم الكلام.

وهذا ما كان واضحاً فيما تقدّم من احتجاجاته، أو إجاباته لسؤالٍ، أو توضيح أمرٍ تعرّف فهمه، أو سوقه البراهين والأدلة في قصيّة ما.

ونجد فيما قرأناه في خطب ورسائل وكتب أمير المؤمنين عليه السلام من احتجاج، فداحة الظلم والجور والعدوان الذي حصل على الإمام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم الابتلاءات التي أصابته، ونوعيّة بعض العقول التي عاصرت تأريخه، والغبن الذي ناله من أصحاب تلك العقول

التي لم تفهمه ولم تعرف قدره، أو عرفتَه ولم تُنصفه، فخسر أصحابها كثيراً، وخسروا الناس معهم، بوقوفهم في الصف المعادي لأمير المؤمنين عليه السلام، والعمل على خذلان أهل الحق، ونصرة أهل الباطل، حتى قامت دولة الأمويين، وما بعدها من دول الضلال، وحرمان مجتمع الإسلام من المنهج النبوي الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرهم بالالتزام به، بعد أن خلف فيهم الثقلان وطلب منهم التمسك بهما كي لا يضلوا من بعده أبداً.

\*\*\*

ص: 260

الشعر والأمثال في نهج البلاغة

### المدخل:

كلّ ناطقٍ باللغة العربية تجد في نفسه مكاناً للشعر، وتلمس أوتار حروف الشعر في ذوقه، وتحسُّ بالكلمات تتراقص على لسانه إذا نطق بها، فيشعرك بتذوقه للمعاني واستيعابه لها، ويُنَبِّئُك بتأثره وانشغاله فيها، وإقباله إليها.

والشعر عند العرب قديماً، محرّك الحياة ووقودها، وشيءٌ أساسيٌّ في وجود الإنسان، حتى أصبح أحد أسباب رسم تاريخه.

والشاعر يرسمُ بأبيات قصائده، فصول الحياة، ويُفرضُ تأثيره ويترك آثاره، فهو في شعره يؤرِّخ ويفتخر ويمدح ويهجو ويقا تل بالكلام بدل السيف في حروب قومه، ويحبُّ ويتغزَّل ويعتاش ويتسول وربما يُقتل الشاعر بشعره.

وكم من ذليلٍ وضيعٍ عزَّ وُرُفِعَ بيت شعر.

وكم عزيز رفيعٍ ذلَّ وضاع قدره بيت شعر أيضاً.

وكم حربٍ اشتعل أوارها، وأكلت نفوس أهلها، كان أول فتيلها



قولُ شاعر. وكم أسماء مُجَدّت وعُرف ذكرها بسبب بيتِ شعرٍ من أحد مشاهير الشعراء.

وكم من شاعرٍ تشرّد طول عمره وافتقر وربّما قُتل بسبب قولٍ منه. وكم من صراعٍ حدّد مصيره أو حربٍ حَسَمت نتائجها تحفيزُ الشعراء، وتهيجهم للعواطف والمشاعر، فتتحوّل تلك المشاعر إلى سيوف تقاتل مع المحاربين.

وقد يقول الشاعر بيتاً من الشعر فيذهب مثلاً تتناقله الأفواه، أو يكون الشعر حجة لغويّة، يستشهدون به على لغزٍ لغويٍّ أو قاعدة نحويّة، ويستدلّون به صحّة الكلام وخطئه.

ومع انعدام أسباب التدوين والكتابة تقريباً عند العرب قديماً، إلّا أنّ القدرة الفائقة للحفظ عند العرب، ساعد بشكل كبير على التدوين الذهني للقصائد الشعريّة، والحفاظ عليها، ووصولها إلينا بهذا الإتقان، من غير تشويه للكلمات، أو إخلالٍ بالقواعد الشعريّة، ما يؤكّد القدرة اللغويّة العفويّة عند الإنسان العربي في ذلك الوقت، وحبّ وانسجام الناس مع الشعر، واقتدارهم فيه.

وفي المدخل لهذا الباب، كان لا بدّ من ذكر المختصر، وعدم التوسّع، والإحجام عن ذكر الأبيات الشعرية والاستشهاد بها هنا، لأنّ ذلك يتطلّب مجهود كتاب مستقل، ويقضي خروجاً عن الغاية التي نحن فيها.

وهذا منطبقٌ أيضاً على الأمثال التي عكفنا على إيرادها في هذا

الباب إلى جنب الشعر.

وما يهمُّ: الانتباه إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مع تلك القدرة

الفائقة والقابلية المعجزة، والبلاغة المبهرة، حتى قيل عن كلامه: إنه أفضل وأشرف وأبلغ الكلام بعد القرآن وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين. نجده صلوات الله عليه، لمعرفة التامة، وإحاطته الكلية، وتقييمه المصيب للشعر والشعراء وعموم الكلمة، يأخذُ ولاكثر من مرةً ومناسبة قول شاعرٍ من الشعراء، يستشهد به، أو يُتمِّم به الكلام، أو يُضيفه دليلاً إلى أدلته، وكذلك بالنسبة للأمثال.

وقد نُسب لأمير المؤمنين عليه السلام شعراً قيل إنه من نظمه، إلا أن

الغالب على كلامه، هو ما وصل إلينا من خُطبٍ ورسائل وكتب وحكم، وقصار كلمات، كان البعض منها نهجاً للبلاغة، ومنهجاً للعلوم، ومونلاً وملاذاً ومرجعاً للأدباء والشعراء والعلماء، وأصحاب الكلام.

يقول أحد أدباء العصر: وعندي أنه عليه السلام كان ينظم الشعر، ويحسن النظر فيه، وكان نقده للشعراء نقد عليم بصير.

وقد سئل يوماً: مَنْ أشعر الشعراء؟ فقال: «إنَّ القوم لم يجروا في حلبةٍ تُعرف الغاية عند قصبتهَا، فإنَّ كان ولا بدَّ فالملك الضَّلِيل». يُريد امرأً القيس.

وهو بذلك يقول: لو رُفعت للقوم غاية وجروا إليها، لعرفنا من السابق. وكانوا ينصبون العَلَم، فيطلبه المتسابق فيأخذه ليُعلم من السابق، وكانوا يجعلونه من القصب، أي لم يكن كلامهم في مقصدٍ واحد، فمنهم يذهب مذهب الترغيب وآخر مذهب الترهيب، وثالث مذهب الغزل والتشبيب.

وقوله عليه السلام: الملك الضَّلِيل، إنَّما سُمِّي امرؤ القيس ضللياً، لما يُعلن به في شعره من الفسق. والضلَّيل: الكثير الضلال.

ومن كلامه عليه السلام وأقواله، ما ذهبت أمثالاً تتناقل إلى الآن على ألسن الناس، أو كلامٌ لم يسبقه أحدٌ قبله في قوله، ومن حكم وروائع صارت مناراً يهتدي بها الحكماء. أو كلامٌ عرفاني اتخذته العرفانيون دليلاً ومنهجاً، أو رأي فقهي أو تشريع صار حجةً ودستوراً يسير عليه العلماء.

وقد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالأمثال إضافة لاستشهاده بالشعر. ونحن هنا نذكر جميع ما تطرّق إليه كتاب نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، من شعر وأمثال ذكرها الإمام عليه السلام، أو جامع الكتاب، الشريف الرضي رضي الله عنه، أو ما ذكره الشارح (رحمه الله)، مع الأخذ بنظر الاعتبار إيضاح المعنى، ومناسبة قول الشعر أو المثل، والقائل إن عُثر عليه. وعمدنا أن لا نهمل شيئاً من ذلك، وهذه هي سياسة كتابنا والمنهج الذي اعتمدناه فيه.

\*\*\*

ص: 264

## الشعر والأمثال في نهج البلاغة

### (1) خلق آدم عليه السلام

من الخطبة رقم 1 الصفحة 40، في صفة خلق آدم عليه السلام.

قوله عليه السلام: [ثُمَّ جَمَعَ سَبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ].

يقول الشارح: سنّ الماء: صبّه، والمراد صبّ عليها أو سنّها هنا بمعنى ملسها كما قال الشاعر:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرِ \*\*\* رَاءَ تَمَشِي فِي مَرْمِرٍ مَسْنُونٍ وَالْبَيْتُ قَالَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ، مَتَغَرَّلًا بِرَمْلَةِ ابْنَةِ مَعَاوِيَةَ، وَأَوَّلُهُ قَوْلُهُ:

وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغر \*\*\* وا صيغت من لؤلؤ مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها \*\*\* في سناء من المكارم دون

\*\*\*

### (2) الشَّقِيقِيَّة

من الخطبة رقم 3 الصفحة 52، وهي المعروفة الشَّقِيقِيَّة تَمَثَّلُ بِقَوْلِ الْأَعْشَى:

ص: 265

شَتَانِ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا \*\*\* وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

الكور: الرحل، أو هو وأداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في أبيات قصيدته، والتي منها:

وَقَدْ أَسْلَى الْهَمَّ إِذْ يَعْتَرِي \*\*\* بِجَسْرَةٍ دَوْسِرَةٍ عَاقِرِ

والجسر: العظيم من الإبل. والدوسرة: الناقة الضخمة.

وأوّل القصيدة:

عَلَقْمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ \*\*\* الناقِضِ الأوتارِ والواتِرِ

ويتلو هذا البيت أبياتٌ منها:

فِي مَجْدَلٍ شَيْدَبْنِيَانُهُ \*\*\* يُزِلُّ عَنْهُ ظُفْرُ الطَّائِرِ

ما يجعل الجُدَّ الظَّنُونُ الذي \*\*\* جُنَّبَ صَوْبَ اللَّجْبِ الماطرِ

مثلَ الفراتيِّ إِذَا مَا طَمَا \*\*\* يَقْدَفُ بالبوصيِّ والماهرِ

المجدل: القصر. الجُد: البئر القليلة الماء. والظنون: البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا. اللجب: المراد به السحاب لاضطرابه وتحركه. والفراتي: الفرات، والياء للمبالغة. والبوصي: ضربٌ من السفن، معرّب بوزي. الماهر: السابح المجيد.

والقصيدة للأعشى الكبير، أعشى قيس، وهو: أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل.

كان الأعشى ينادم حيّان. وحيّان كان سيّداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وذو حظوة عند ملوك فارس. وكان مرفّهاً وصاحب نعمة وافرة. وجابراً أخو حيّان الأصغر.

ومعنى البيت الذي استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام: أن هناك فرقاً كبيراً بين يومي وأنا في الهاجرة والرمضاء، أسيرُ على رحل هذه الناقة، ويوم حيان أخي وهو في سكرة الشراب، ناعم البال مرقّه من المشاق.

أي: شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقص عليّ من الأمر ومنيت به من اضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر، حيثُ وليها على قاعدة ممهّدة وأركان ثابتة، وسكون شامل، فانتظم أمره، وسكنت أيامه.

\*\*\*

## (2) بعد اللّيتيا والّتي

من الخطبة رقم 5 الصفحتان 60 و 61، لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله عليه السلام: [فإن أقبل يقولوا حرّص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللّيتيا والّتي]. هيهات، استبعاداً لظنهم فيه الجزع، أبعَد اللّيتيا والّتي أجزع؟ أي أبعَد أن قاسيت الأهوال كبيرها وصغيرها، ومنيت بكلّ داهية عظيمة وصغيرة، أجزع من الموت؟

واللّيتيا للصغيرة، والّتي للكبيرة.

والمثل الذي استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام، أصله: أن رجلاً تزوّج بامرأة قصيرة سيئة الخلق، فشقي معها، فطلقا، ثم تزوّج بأخرى طويلة فكان شقاؤه بها أعظم، فطلقا وقال: لا أتزوّج بعد اللّيتيا والّتي يُشير باللّيتيا إلى الصغيرة والّتي إلى الكبيرة، فصارت مثلاً يُضرب في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها.

\*\*\*

### (3) قَلَمًا أُدْبِرُ شَيْءً فَأَقْبِلُ

من كلام له رقم 16 الصفحتان 69، 70، لَمَّا بُويعَ فِي الْمَدِينَةِ.

قوله عليه السلام: [حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ، فَلَنْ أَمَرَ الْبَاطِلَ لِقَدِيمًا فَعَلٌ، وَلَنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرَبِّمَا وَلَعَلٌ، وَلَقَلَّمَا أُدْبِرُ شَيْءً فَأَقْبِلُ].

يقول عليه السلام: إنَّ ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين: إمَّا الْحَقُّ وإمَّا الْبَاطِلُ، وَالْعَالَمُ لَا يَخْلُو مِنْهُمَا. وَإِنَّ لِلْحَقِّ أَهْلًا وَلِلْبَاطِلِ أَهْلًا. وَلَنْ كَثُرَ الْبَاطِلُ بِكَثْرَةِ أَعْوَانِهِ، فَقَدْ كَانَ مِنْهُ قَدِيمًا، لِأَنَّ الْبَصَائِرَ الزَّائِغَةَ عَنِ الْحَقِيقَةِ أَكْثَرَ مِنَ الثَّابِتَةِ عَلَيْهَا. وَلَنْ كَانَ الْحَقُّ قَلِيلًا بِقَلَّةِ أَنْصَارِهِ، فَلَرَبِّمَا غَلَبَتْ قَلَّتُهُ كَثْرَةُ الْبَاطِلِ، فَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِ وَيَمْحَقُهُ.

ولَقَلَّمَا أُدْبِرُ شَيْءً فَأَقْبِلُ: وَهِيَ كَلِمَةٌ تَضَجَّرُ يَسْتَبْعِدُ بِهَا أَنْ تَعُودَ دَوْلَةٌ لِقَوْمٍ بَعْدَ زَوَالِهَا عَنْهُمْ.

ويقول الشارح: ومن هذا المعنى قولُ الشاعر:

وقالوا يعودُ الماءُ في النَّهْرِ بَعْدَما \*\*\* ذَوَى نَبْتٍ جَنبِيهِ وَجَفَّ الْمِشَارِعُ

فقلْتُ إلى أن يرجع النَّهْرُ جَارِيًا \*\*\* وَيُعْشَبُ جَنْبَاهُ تَمُوتُ الضَّفَادِعُ

\*\*\*

### (4) النهي عن الحسد

من الخطبة رقم 23 الصفحة 81.

يقول عليه السلام: [فإنَّ المرءَ المسلمَ البريءَ من الخيانةِ، ما لم يَعْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُغْرِي بِهَا لِنَاْمِ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فُورَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ].

الفالج: الظافر. والياسر: الذي يلعب بقداح الميسر. أي المقامر. ويأتي الشارح بالمثل: «من يأتي الحكم وحده يفلج».

ص: 268

أي كلاعب القداح المحفوظ منها.

يُريد أن المسلم ما لم يأت بعملٍ دنيءٍ يخجل منه، ويبيح لئام الناس على التكلم به، فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة، فهو شبيه بالمقامر الذي يفوز بلعبه، لا ينتظر إلا فوزاً. كذلك المسلم إذا برىء من الدنئات لا ينتظر إلا إحدى الحسنين: نعيم الآخرة، أو نعيم الدنيا والآخرة، وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير رازقها، فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزقٍ ساقه الله إليه.

\*\*\*

## (5) تتأقّل عن الجهاد

من الخطبة رقم 25 الصفحة 84 وما بعدها.

لَمَّا غلب بسر بن أرطاة على اليمن، قام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال: [ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلا أنتِ تهبُّ أعاصيرك، فقبحك الله]، وتمثل بقول الشاعر:

العمرُ أيبك الخيرِ يا عمرو إنني \*\*\* على وَصْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ

أقبضها وأبسطها: أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب بثوبه يقبضه أو يبسطه. أعاصير: جمع إعصار، وهي الرياح، والعصار: الغبار الكثير. وقد شبّه الخلاف والشقاق بالأعاصير، لأنها تُثير التراب وتُفسد الأرض. ويقول: إن كان لي مُلك الكوفة، على ما فيها من الفتن واختلاف الآراء، فأبعدها الله. والوضر: بقية الدسم في الإناء.

روي أن معاوية سيّر بسر بن أرطاة إلى المدينة بجيشٍ كثيف فأراق

ص: 269



دماء أهلها وفرّ من بين يديه والي المدينة أبو أيوب الأنصاري، ثمّ توجه إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس، وفرّ أيضاً ناجياً بنفسه تاركاً ولديه لبسر فذبهما. ويذكر الشارح شعراً قالتها أمّ الولدين زوجة عبيد الله:

يا من أحس يا بنيّ اللذين هما \*\*\* كالدّرتين تشطّي عنهما الصدفُ

يا من أحس يا بنيّ اللذين هما \*\*\* قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختلفُ

من دَلّ والهة حيرى مدلهة \*\*\* على صبيّين ذلّا إذ غدا السلفُ

خبرت بسرّاً وما صدقت ما زعموا \*\*\* من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابنيّ مرهفةً \*\*\* مشحودةً وكذلك الإثمُ يُتترفُ

وتروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص.

وفي نفس الخطبة الصفحة 87، يقول عليه السلام: [اللهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي، أما والله لو ددتُ أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم]. واستشهد بقول الشاعر:

هنالك لو دعوت أتاك منهم \*\*\* فوارسٌ مثلُ أرمية الحميم

قال هذا الكلام لتضجّره من تقاعس أصحابه وتناقلهم عن الجهاد، والبلاد تُغزى من كلّ صوب بمن يُرسلهم معاوية، لينتفض الأمر من حوله، فتمنّى أن يُبدلهم الله شراً، ويبدله خيراً منهم، مع أنّهم لا خير فيهم، ولا شرّ فيه عليه السلام.

وهذا بمنزلة قوله تعالى: (قُلْ أَذْكَاءٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ) (1)، ويُحتمل أن يكون الذي طلبه عليه السلام، إبداله خيراً منهم بقوم صالحين ينصرونه 5.

ص: 270

ويوقفون لطاعته. ويحتمل أن يُريد ما بعد الموت، بإبداله مرافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما البيت الذي تمثّل به عليه السلام لأبي جُنْدَب الهذلي وأوّل الأبيات:

ألا يا أمّ زِنْبَاعِ أَقِيمِي \*\*\* صَدُورَ الْعَيْسِ نَوْبِي تَمِيمِ

والأرمية: جمع رمي، وهو السحاب. والحميم: ههنا وقت الصيف. وإثما خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنّه أسرع لكونه لا ماء فيه، وقد وصفهم الشاعر بالسرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا.

وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهورٌ بالشجاعة. ومنهم (جدل الطعان) وهو علقمة بن فراس، ومنهم ربيعة بن مكرم، حامي الطعن حياً وميتاً، ولم يحم الحريم أحد وهو ميت غيره، قيل اعترضه فرسان من سليم، وكان معه نساء من أهله حماهّن وحده، فضرب بسهم في قلبه، فركز رمحه إلى الأرض وتوكأ عليها، حتّى يظنّ الرائي أنّه حي، وأشار للنساء أن يذهبن إلى الحيّ، حتّى رموا فرسه بسهم وسقط عنها، فعُرف أنّه ميت، ولكن بعد خلاص الطعن وإدراك الحيّ.

\*\*\*

## (6) لا رأي لمن لا يُطاع

من الخطبة رقم 27 الصفحة 92، في الحثّ على الجهاد، وذم القاعدين عنه.

يقول عليه السلام: [حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً وأقدمُ فيها مقاماً مني؟

ص: 271

لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، وها أناذا قد دزفتُ على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع].

وقوله: لا رأي لمن لا يُطاع، مثلُ ضربه عليه السلام للحالة التي ذكرها، وردّاً على ما قالتها قريش، فليس الأمر كما يقولون، من أنّه لا علم له بالحرب، ولو رجعوا إلى الحروب التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأجمعها لوجدوا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، هو قطب رحاها، وعلى يديه يتحقّق النصر، وما فارقتُه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موقع من المواقع. وإنّ قال قائل: إنّ ذلك صحيح وهو دليل على شجاعته الفاتحة التي لا يُنكرها أحدٌ ولا يُنافسه فيها أحدٌ، إلّا أنّ القائل من قريش عنا خطط الحرب وطرق النصر فيها، لقلنا: ومن حقّق ذلك ودحر اليهود في خيبر، بعد أن رجعت راية المسلمين أكثر من مرّة لم يصنع أصحابها شيئاً، حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأعطين رايته غداً رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، كزار غير فرار، يكون النصر على يديه. فتناولها علىّ عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وما أسرع أن قلع حصنهم، وحطّم أسوارهم وجاء بهم أسرى، ومن سبقوه إلى ذلك ينظرون.

ويوم حنين حين أعجتهم كثرتهم فلن تُغن عنهم شيئاً وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ثمّ ولّوا مدبرين، حتّى أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها، نعم ولكنّ النصر لا يعطيه الله سبحانه إلّا بأسبابه، وبثبات المؤمنين وإخلاصهم في القتال، فكان أمير المؤمنين عليه السلام، كعهده، وما أخذه على نفسه الشريفة من عهد الدفاع والقداء والتضحية لله ورسوله وللإسلام، وكان النصر على يديه، كما في كلّ مرّة وفي كل جولة، وجاء بالأسرى من هوازن يقودهم إلى خيمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبلها في أحد، عند حصوة الهزيمة بالتفاف خالد بن الوليد وجماعته حول الجبل، بعد أن تركه الرماة، وثبت عليّ وقلّة معه، يردّون بصدورهم ونحورهم هجمة المشركين المباغته، حتّى هيّؤوا السلامة لرسول الله والمسلمين وأتمّ عليّ لهم الانسحاب إلى الجبل وحال دون فناء الجميع.

أمّا نصر الله ونصر رسوله في الخندق، فذلك ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من المقاتلين، وإذ زاعت الأَبصار وبلغت القلوب الحناجر، وزلزلوا زلزلاً شديداً. وقد كاد المسلمون عمرو بن عبد ودّ بوره الخندق واستطال بشجاعته وجرأته على المسلمين، حتّى برز إليه أبو الحسن، فأطفأ فورته وأخمد جرائته وأذلّ شجاعته بضربة علويّة كفى الله بها المؤمنون القتال. هذه أمثالٌ من حروبه مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا حروبه التي فرضت عليه في خلافته، فهذه الجمل، وما صنع عليّ بالجمل وأيُّ نصرٍ مؤزّرٍ تحقّق بذلك الصنيع، وتلك النهروان، وقد أُيّد جيش الخوارج بخطفة يمينه، وخطّته الحربية التي اعتمدها في الحرب. وفي صفّين، وقد أخذت الهزائم والولايات بأهل الشام وسيدهم معاوية مأخذاً عظيماً، حتّى كان الفارس منهم لا ينجو بنفسه إلاّ بإظهار سوءته، وحتّى وصلت سيوف أهل العراق إلى خيمة معاوية ومزقتها رماحهم، لولا- مكيدة رفع المصاحف، التي انطلت على البعض وصارت سبباً لوقف القتال. فهل كان صاحب هذه المحافل الجليّة، والبطولات الخالدات، والمواجهات المشهودة، ممّن يُقال له: لا علم له بالحرب إنّه والله جورٌّ في الحكم، بل تجنّ على الحقائق، بل هو الحسد.

لهذا فالوضع الذي كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه في ذلك الوقت، وتقاعد الناس عن الجهاد، وظهور الخلاف وعدم

الطاعة،

ص: 273

واستغلال خُلُق الإمام والمنهج الذي هو عليه، جعل الأمر يصل إلى نتائجه، فلا رأي لمن لا يُطاع، كما قال صلوات الله عليه.

\*\*\*

## (7) إذا جاء القتال

من الخطبة رقم 29 الصفحة 96، في ذم المتخاذلين.

يقول عليه السلام: [ تقولون في المجالس كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القتالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حِياد].

أي أنهم يقولون في مجالسهم سنفعل بالأعداء ونفعل، فإذا حلَّ القتالُ فرّوا وتقاعدوا.

وحيدي حياء: كلمة يقولها الهارب من القتال والحرب، كأنه يسأل الحرب أن تتنجي عنه، من الحيدان، وهو الميل والانحراف. وقد أوردناها مع الأمثال، حيث جاء بها أمير المؤمنين واصفاً حال أصحابه، وما كانوا يقولون من الكلام ما يفتت الحجر بشدته وقوته، ثم يكون فعلهم من الضعف والاختلال، بحيث يطمع فيهم العدو.

\*\*\*

## (8) فما عدا ممّا بدأ

من كلام له رقم 31 الصفحة 799 لابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستقيته إلى طاعته قبل حرب الجمل.

قال عليه السلام: [فقل له يقول لك ابنُ خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدأ!].

ص: 274

يقول الشريف الرضي: هو أول من سُمعت منه هذه الكلمة أعني «فما عدا ممّا بدا».

عدا: بمعنى صرّف، وقد أراد عليه السلام: ما الذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها!.

وروى الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: سألت ابن عباس عن هذا الأمر، فقال: إني أتيت الزبير وأبلغته مقالة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: قل له: إني أريد ما تريد - كأنه يقول (المُلك) - لم يزدني على ذلك، فرجعت إلى عليّ عليه السلام وأخبرته.

وروى محمد بن إسحاق والكبيّ، عن ابن عباس أيضاً، قال: قلت كلمة أمير المؤمنين عليه السلام للزبير فلم يزدني على أن قال: قل له: «إنا مع الخوف الشديد لنطمع». قال: وسئل ابن عباس عمّا يعني قوله هذا، فقال: يقول إنا على الخوف لنطمع أن نليّ من الأمر ما وليّتم.

وفسره آخرون وقالوا: أراد: إنا مع الخوف من الله لنطمع أن يُغفر لنا هذا الذنب.

وقال ابن أبي الحديد: وعلى كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة، يعني أنّ الزبير لم يُجب أمير المؤمنين عليه السلام ويعود إلى طاعته.

أمّا قوله عليه السلام: «قل له يقول لك ابن خالك»، لطيف جداً، وهو من باب الاستمالة والتذكير بالرحم، وشبيهه قول هارون عليه السلام إلى أخيه موسى عليه السلام لما ألقى موسى الألواح وأخذ برأس هارون يجرّه إليه: ابن أمّ، فأذكره حقّ الأخوة، وهذا أدعى إلى عطفه عليه فيما لو قال له: يا موسى، أو يا نبيّ الله.

\*\*\*

## (9) ما لي ولقريش

من الخطبة رقم 33 الصفحة 104، عند خروجه لحرب أهل الجمل.

يقول عليه السلام: [ما لي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا]، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المحض صابحاً \*\*\* وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن \*\*\* علياً وحطنا حولك الجرد والسُمرا

قتاله قريشاً كافرين: في حروب الإسلام التي كان فيها صلوات الله عليه، حامل راية النصر والمجاهد الأكبر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وأحد الخندق وحنين، وجميع المواقع. وقاتله عليه السلام وهم مفتونون، لأنّ الباغي على الإمام مفتون فاسق، وقد وردت هنا بمعنى الضلال. مفتونين: أي ضالين.

ولم يرد اسم قائل البيتين اللذين ذكرهما الإمام عليه السلام.

المحض: بمعنى اللبن الخالص الذي لم يُخالطه الماء.

الزبد: هنا يُطلق الزبد على ما يُستخرج من الحليب.

مقشرة: وهي الثمرة بعد أن تُنزع نواتها.

الجرد: وردت بمعنى النهم في الأكل. الجرد: الخيول الصغيرة قليلة الشعر. السُمرا: من السامر، وتُقَال لمن يقضي الليل صاحياً لسهرة أو حراسة، أو شبيه ذلك.

ومعنى البيتين واضح ومراد أمير المؤمنين منهما بيتين.

\*\*\*

من الخطبة رقم 35 الصفحة 107، وهي بعد التحكيم.

قوله عليه السلام: [ وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلتُ لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاعُ لتقصيرِ أمر].

الحكومة: حكومة الحكمين أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص بعد رفع المصاحف في صفتين وكان معاوية قد رأى أنّ الدبرة عليه في الحرب، فعمد هو وابن العاص إلى مكيدة رفع المصاحف على الرماح مدّعين طلبهم ردّ الحكم إلى كتاب الله، فانخدع بها القراء، وتبعهم من جيش أمير المؤمنين جماعة، وقالوا: دُعينا إلى حكم الكتاب ونحن أحقُّ باتباعه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هي كلمة حقٌّ يُرادُ بها باطل. إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، وإنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة. أعيروني جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقُّ مقطعه، ولم يبق إلا أن يُقطع دابر الذين ظلموا. فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها، ونجا معاوية من مصيره المحتوم، وهي الغاية التي سعى إليها برفع المصاحف، وحقّقها له من انطلت عليه المكيدة. ثمّ تكلم الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله، فاختر أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أصحاب الإمام أبا موسى الأشعري، ولم يرضَ أمير المؤمنين به، واختار عبدالله بن عباس فرفضوه، ثمّ اختار الأشر، فلم يقبلوا، فوافقهم على أبي موسى مُكرهاً بعد أن أعذر في النصيحة. «فقد نخل لهم»: أي أخلص رأيه في الحكومة أولاً وأخراً. ثمّ انتهى أمر الحكومة بانخداع أبي موسى لعمر، وخلعه أمير



المؤمنين ومعاوية، ثم صعود ابن العاص بعده فأثبت صاحبه وخلع أمير المؤمنين. وما أعقب ذلك من الوهن الذي أصاب أصحابه.

وأما المثل الذي جاء به أمير المؤمنين عليه السلام فقصته:

إن قصيراً كان مولى جذيمة المعروف بالأبرش، وكان حاذقاً. وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن «للزباء» ملكة الجزيرة، فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، فقال قصير: «لا يطاعُ لقصيرٍ أمر»، فذهب مثلاً.

وفي نفس الخطبة الصفحة 108 وفي معرض نصحه لهم ومخالفتهم، يقول عليه السلام: [ فكنْتُ وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى \*\*\* فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد ]

وأخو هوازن صاحب الشعر، هو دريد بن الصمة، والأبيات مذكورة الحماسة.

ومنعرج اللوى: اسم مكان، ومنعرجه: منعطفه يمنة ويسرة، يقول الشارح: وفي هذه القصيدة:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى \*\*\* غوايتهم أو أنني غير مهتدي

وما أنا إلا من غزية إن غوت \*\*\* غويت وإن ترشد غزية أرشد

\*\*\*

## (11) استقصاء الأمر

من كلام له رقم 43 الصفحة 117، في الاستعداد لحرب معاوية. قوله عليه السلام: [ ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر فيه إلا القتال أو الكفر ].

ص: 278

يقول الشارح: قوله عليه السلام: «ضربت أنف هذا الأمر وعينه»: مثلُ تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر. وإثما خصَّ الأنف والعين، لأنَّهما أظهر شيءٍ في صورة الوجه، وهما مستلفت النظر.

أمَّا مراده من الكفر، فلأنَّ النَّهي عن المنكر واجب على الإمام ولا يجوز له الإقرار عليه، فإنَّ تَرَكَه فسَق، ووجب عزله. وهو من باب المبالغة، فسَمَّى الفسق كُفراً تغليظاً وتشديداً في الزجر عنه.

\*\*\*

## (12) في بيان صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم

من الخطبة رقم 71 الصفحة 147.

قوله عليه السلام: [كما حَمَل فاضطلع قائماً بأمرِك].

يقول الشارح: أراد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قمع الباطل وقهر الضلال كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحميله أعباء الرسالة - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فنهض بها قوياً. والضلعة: القوَّة. وقد تكون «الكاف» في «كما حَمَل» للتعليل واستشهد بالبيت:

فقلتُ له أبا الملحاة خُذها \*\*\* كما أوسعتنا بغياً وعدوا

أي هذه الضربة لبغيك علينا، وتعديك.

وفي شرح ابن أبي الحديد، ذُكرت «أبا الملحاة»

\*\*\*

## (13) حال الدنيا

من الخطبة رقم 82 الصفحة 162 وهي من الخطب العجيبة، وتُسمَّى الغراء.

ص: 279

قوله عليه السلام، في ذكر حال الدنيا: [ حتى إذا أنس نافرُها، واطمأن ناكِرُها فَمَصَّتْ بأرجلها، وقنصتْ بأحبلها، وأقصدتْ بأسهمها].

يقول الشارح: قمصت بأرجلها: قمص الفرس يقمص: أي استنّ وهو أن يرفع يديه وي طرحهما معاً، وذكر المثل المضروب لضعيفٍ لا حراك به، وعزیز ذلّ: «ما بالعير من قماص».

وقوله أرجل وليس للدابة إلا رجلان، لأنه نزل اليدين منزلة الأرجل فالمشي على جميعها. وجاءت: بأرجلها - بالحاء - أي جمع رحل الناقة. وقنصت بأحبلها: أي اصطادت وأوقعت من اغترّ بها في حبالها وشباكها. وأقصدت بأسهمها: قتلت، وأسهمها: جمع سهام، أراد: قتلت مكانها من غير تأخير.

وفي الصفحة 164 من نفس الخطبة.

ذكر الشارح المثل القائل: «اللبن محتضر فغطّ إناءك»، تقول لبن محتضر: أي فاسد، بعنوان أن الجنّ حضرته، هكذا كانوا يظنون. أمّا سبب ذكره المثل، فذلك عند تعرّضه لشرح قوله عليه السلام: [ومقبوضون احتضاراً]، المذكورة بنفس الصفحة. واحتضر فلان: حضرته الملائكة تقبض روحه.

\*\*\*

#### (14) ما أكثر العبر وأقل الاعتبار

من الخطبة رقم 87 الصفحة 183.

ذكر الشارح المثل: «ما في هذا الأمر رتبة ولا عتبة» أي شدة وذلك في شرحه قول الإمام عليه السلام: [ وفي دون ما استقبلتم من عَثْبٍ وما استدبرتم من خطبٍ، معتبرٌ].

ص: 280

والعتب: المشقّة، أي أنكم لجديرون أن تعتبروا بأقلّ من الشدّة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم، وأقلّ من الخطب العظيم الذي مرّ بكم، فكيف بمثل هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها. وروي: «من عَتَبَ» بفتح التاء جمع عَتَبَة، يُقال: حُمِلَ فلان على عَتَبَة أي أمر كرهه من البلاء.

وروي أيضاً: «من عَنَّتِ» وهو الأمر الشاق.

واستدبرتم من حَظَب: أي الحروب والوقائع التي قضوها واستدبروها.

\*\*\*

## (15) أيادي سبا

من كلام له رقم 96 الصفحة 216 في توبيخ أصحابه على التباطؤ على نصره الحق.

قوله عليه السلام: [ وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرّقين أيادي سبا ].

وأيادي سبا: مثل تضربه العرب للمتفرّقين، وأصله قول الله تعالى عن أهل سبا: (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) (1) وسبأ هو أبو عرب اليمن، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان له عشرة أولاد، جعل ستة يميناً وأربعة شمالاً تشبيهاً لهم باليدين، ثم تفرّق أولئك الإخوة أشدّ تفرّق لذا يُقال: ذهبوا أيدي سبا، وأيادي سبا، أي ذهبوا متفرّقين. 9.

ص: 281

والإمام عليه السلام جاء بهذا المثل في قوله، تشبيهاً لأصحابه في تفرقهم عنه.

\*\*\*

## (16) لا يكذب الرائد أهله

من الخطبة رقم 107 الصفحة 236، وهي من خطب الملاحم. يقول عليه السلام: [فاستمعوا من ربائكم، وأحضروا قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه].

الرباني: المتأله العارف بالله سبحانه. إنما يعني به نفسه الشريفة عليه السلام، وفي وصف الحسن لأمير المؤمنين عليه السلام: «كان والله رباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها». أمرهم بالاستماع منه عليه السلام.

وأحضروا قلوبكم: أي لا ترضوا بحضور أجسادكم وغيبية قلوبكم، عند الاستماع إليه، فإنكم لا تنتفعون بذلك.

هتف بكم، صاح بكم. والرائد يتقدم قومه لينظر لهم مواضع الكالأ، ويتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته، وهو شبيه المثل الذي جاء به الشارح وهو: «لا يكذب الرائد أهله»، أو يقال: «الرائد لا يكذب أهله».

فهو عليه السلام يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنه، ويوصيهم بالنصيحة. وليجمع شمله: يجمع أفكاره وعزائمه.

\*\*\*

من الخطبة رقم 114 الصفحة 253 وما بعدها.

قوله عليه السلام: [اللهم خرجنا إليك حين اعتركت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخايل الجود].

يقول الشريف الرضي: حدابير السنين: جمع حدبار، وهي الناقة التي أنصاها السير، مشبه بها السنة التي فشا فيها الجذب. وتمثل بقول ذي الرمة:

حدابير ما تنفك إلا مُناخَةً\*\*\* على الخسف أو ترمي بها بلداً قفرا

ومخايل: جمع مخيلة، وهي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر. والجود: المطر.

\*\*\*

### (18) ودع عنك نهياً صيح في حجراته

من كلام له رقم 160 الصفحة 326، لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به؟ فقال عليه السلام للسائل وكان أسدياً [يا أبا بني أسد، أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نوطاً، فإنها كانت أثره شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله، والمعود إليه القيامة.

ثم قال: «ودع عنك نهياً صيح في حجراته».

النوط: التعلق. والأثر: الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

شحت: بخلت. وسخت: جادت، وأراد بالنفوس التي سخت نفسه

الشريفة، والنفوس التي شحّت: على قول: أهل السقيفة وعلى قولٍ آخر: أهل الشورى.

يقول الشيخ محمد عبده: البيت لامرئ القيس، وتمّمته:

«وهاتٍ حديثاً ما حديثُ الرواحل».

وقصّة شعر امرئ القيس: لَمَّا تَنَقَّلَ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ «حُجْرَ الْكَنْدِيِّ»، نَزَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ سَدُوسِ التَّبَهَانِيِّ، فَأَغَارَتْ بَنُو جَدِيدَةَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ، وَهُوَ فِي جَوَارِ خَالِدٍ، فَذَهَبُوا بِإِبِلِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِجَارِهِ خَالِدٍ، فَقَالَ لَهُ: أَعْطِنِي رِوَاحِلَكَ أَلْحَقَ عَلَيْهَا الْقَوْمَ، وَأَرَدَ إِبْلَكَ، فَأَعْطَاهُ امْرؤُ الْقَيْسِ رِوَاحِلَهُ، وَرَكِبَ خَالِدٌ فِي إِثْرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ، فَقَالَ: يَا بَنِي جَدِيدَةَ، أَغْرَمَ عَلَى إِبِلِ جَارِي، قَالُوا: مَا هُوَ لَكَ بِجَارٍ، فَقَالَ: بَلَى وَهَذِهِ رِوَاحِلُهُ، فَاسْتَعْلَمُوا أَنَّهَا رِوَاحِلُ امْرِئِ الْقَيْسِ، فَأَخَذُوهَا مِنْهُ، وَذَهَبُوا بِهَا مَعَ الْإِبِلِ.

وقيل: بل انطوى خالدٌ على الإبل فذهب بها، فقال امرؤ القيس ذلك الشعر.

والتهب: الغنيمة. حجراته: نواحيه، الواحدة حجرة.

وصيح في حجراته: صباح الغارة. والرواحل: جمع راحلة، وهي الناقة التي تصلح أن يُشدُّ الرحل على ظهرها، ويُقال للبعير راحلة.

والإمام عليه السلام في ذكره صدر البيت، كأنه قال: دع عنك ما مضى، وهلمّ ما نحن الآن فيه من أمر معاوية.

وجعل «هلمّ ما نحن فيه من أمر معاوية» مقام قول امرئ القيس وهاتٍ حديثاً ما حديث الرواحل.

وجاء أيضاً: «ولكن حديثاً» بدل «وهاتٍ حديثاً».

\*\*\*

من كتاب له رقم 266 الصفحتان 518 و 519، أرسله جواباً إلى معاوية، وهو من محاسن الكتب.

قوله عليه السلام: [ فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تُخبرنا ببلاءِ الله عندنا، ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجْرٍ، أو داعي مسدده إلى النَّضال].

وهجر: مدينة في البحرين كثيرة النخيل، يُحمل منها التمر إلى غيرها وأصل المثل: «كَمَسْتَبَضِعَ تَمْرٍ إِلَى هَجْرٍ».

ومثله قول الشاعر:

أُهدِي له طُرف الكلام كما \*\*\* يُهدَى لوالي البصرة التَّمْرُ

وقوله: داعي مسدده إلى النَّضال: أي كمن يدعُر أستاذه الذي علّمه فن الرماية إلى المناضلة، ومثله قول الشاعر:

أُعلّمه الرماية كلَّ يومٍ \*\*\* ولَمَّا اشتدَّ ساعده رمانِي

وهما مثلان لناقل الشيء إلى معدنه، والمتعالم على معلّمه. وفي الصفحة 519 لنفس الكتاب، قوله عليه السلام: [هيهاتُ لقد حنَّ قَدْحٌ ليس منها].

وهو مثلٌ يُضربُ لمن يَدْخُلُ نفسه بين قومٍ ليس منهم، ولا له أن يَدْخُلَ بينهم، وأصله: القِداح من عودٍ واحدٍ يُجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصوتُ بينها إذ أرادها المفيض، وذلك الصوت، هو حنينه. وفسره آخرون: هو سهم يُخالف السهام، كان له صوتٌ عند الرمي يُخالف أصواتها.



وقيل: إن أصل المثل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال له عقبة بن أبي معيط: أقتل من بين قريش؟ فأجابه: «حنّ قدح ليس منها».

وفي نفس الكتاب، الصفحة 520، قوله: [فدع عنك من مالت به الرميّة].

الرميّة: الصيد، يرميه الصائد. ومالت به: خالفت قصده فاتبعها، وهو مثل يُضربُ لمن اعوجَّ غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه.

وفي نفس الكتاب الصفحتان 521 و 522 قوله عليه السلام: [وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإنّ يكنّ ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك، وتمثّل بشرط البيت: «وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها»].

شكاة: نقيصة، وأصلها المرض.

وأول البيت: وعيرها الواشون أنّي أحبّها.

وهو لأبي ذؤيب.

وفي الصفحة 523 من نفس الكتاب، قوله عليه السلام: [وما كنتُ لأعتذر من أنّي كنتُ أنعمُ عليه أحداثاً، فإنّ كان الذنبُ إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملوم لا ذنب له، وتمثّل بشرط البيت: «وقد يستفيد الظنّة المتنصّح»].

ويعني عثمان وما كان من أمره معه.

الظنّة: التهمة. المتنصّح: المبالغ في النصّح، أي ربّما تنشأ التهمة من إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها. وصدر البيت: «وكم سقتُ في آثاركم من نصيحةٍ».

ص: 286

وفي نفس الصفحة من نفس الكتاب، قوله عليه السلام: [وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار. متى ألفت بني عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيوف مخوفين، وتمثل بالقول:

«لَبَثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ»].

الاستعبار: البكاء. ألفت: وجدت. ناكلين: متأخرين. لَبَثَ: مكث، يُريد أمهل. والهيجاء: الحرب.

وَحَمَلٌ: هو ابن بدر رجل من قُشير أُغِيرَ على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال:

لَبَثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ \*\*\* لا بأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلاً يُضرب للتهديد بالحرب.

\*\*\*

## (20) صبوزُ علي ريب الزمان

من كتاب له رقم 274 الصفحة 547 وما بعدها إلى عقيل بن أبي طالب، جواباً لكتاب عقيل.

قوله عليه السلام: [فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كان إلا كموقف ساعة حتى، نجا جريضاً بعدما أخذ منه بالمخنق، ولم يبق منه غير الرمق، فلأياً بلأبي ما نجا، فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجزت قريشاً عني الجوازي].

قوله كلا ولا: كناية عن السرعة التامة، فإن حرفين ثانيهما حرفٌ لئن سريعا الانقضاء عند السمع. واستشهد الشارح بقول أبي برهان المغربي:

ص: 287

وأسرعُ في العين من لحظةٍ \*\*\* وأقصرُ في السمع من لا ولا

وذكرها ابن أبي الحديد بـ «لا، وذا» في بيت الشعر. وقال: والمعروف عند أهل اللّغة: كلا وذا، أي شيئاً قليلاً، وتقال لما يُستقصر وقته جداً. ومن الناس من يرويها: «كلا ولات».

ومن الرواة من يرويها: «كلا ولأي» ولأي: فعل معناه أبطأ.

وقوله: نجا جريضاً: أي غصَّ بالرقيق من شدّة الجهد والكرب. ويجوز أن يريد: ذا جريض، والجريض: الغصّة نفسها، وفي المثل: حال الجريض دون القريض.

قال الشاعر:

كأنّ الفتى لم يغنّ في الناس ليلةً \*\*\* إذا اختلف اللّحيان عند الجريضِ

والجريض بالحاء: الساقط لا يستطيع النهوض.

ويقال: أجرضه الله بريقه: أغصّه.

وقوله: فلاياً بلائياً ما نجا، لاياً: معناه الشدّة، أي عسرت نجاته عسراً شديداً. والفائدة في تكرير اللفظة، المبالغة في وصف العسرة التي نجا بها.

وقوله: فجزت قريشاً عنّي الجوازي: دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم. وهي كلمة تجري مجرى المثل، تقول لمن يُسيء إليك وتدعو عليه: جزتك عنّي الجوازي! يُقال: جزاه الله بما صنع كأنّه يقول: جزت قريشاً عنّي بما صنعت لي كلّ خصلة من نكبة أو شدّة أو مصيبة، أي جعل الله هذه الدواهي كلّها جزاء قريش بما صنعت بي.

وحقاً إنّ قريشاً اجتمعت على حرب أمير المؤمنين عليه السلام منذ يوم بويح

بغضاً له وحسداً وحقداً عليه، بما فعل بأشياخهم وصناديدهم في بدر وأحد وحنين والخذق، وغيرها من مواقع المسلمين مع المشركين، فأصفقوا كلهم يداً واحدة على حربه، كما كانوا في بداية الإسلام من عدائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحربهم له، لم تخرم حاله من حاله أبداً.

وقوله عليه السلام: [ ولا تحسبنّ ابن أبيك - ولو أسلمه الناس - متضرّعاً متخشّعاً، ولا مقرّاً للضيم واهناً، ولا سلس الزّمام للقائد، ولا وطيء الظهر للرّكاب المتقعّداً ]، ولكنّه كما قال أخو بني سُلَيْم، وتمثّل البيتين:

فإنّ تسأليني كيف أنتَ فإنّني \*\*\* صبورٌ على ريب الزمان صليّبُ

يعزُّ علي أن تُرى بي كآبةٌ \*\*\* فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حبيبُ

والشاعر هو: العباس بن مرداس السّلمي، ومعناه ظاهر.

وفي الأمثال الحكيمية: لا- تشكونَ حالك إلى مخلوقٍ مثلك، فإنّه إن كان صديقاً أحزنته، وإن كان عدواً أشمته، ولا خير في واحدٍ من الأمرين.

والسلس: السهل. والوطيء: اللين. والمتقعّد: الذي يتخذ الظهر قعوداً يستعمله للركوب في كل حاجاته كناية عن الهوان والضعف والقعود. والصليب: الشديد.

\*\*\*

## (21) أسوة الإمام عليه السلام

من كتاب له رقم 283 الصفحتان 560، 561 إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قومٍ من أهلها فمضى إليها.

ص: 289

قوله عليه السلام: [وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي إلى تخير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبّع، أو أبيت مبطناً وحولى بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنه \*\*\* وحولك أكباد تحن إلى القدّ]

أروضها: أدللها. جوانب المزلق: موضع الخشية من الزلّة، وهو الصراط. والقز: الحرير. الجشع شدة الحرص. والقد: بعض الجلد غير مدبوغ، أي أنها تطلب أكله ولا تجده.

البطنة الكظة أي الامتلاء من الطعام امتلاءً شديداً.

والمبطان: عظيم البطن من كثرة الأكل، والمبطن: الضامر الباطن، والبطين: عظيم البطن لا من الأكل، والبطن: الذي لا يهّمه إلا بطنه، والمبطون: عليل البطن، وبطون غرثى: أي جائعة.

وكان يُقال: للإنسان أن يجعل وعاء بطنه أثلاثاً: فثلث للطعام، وثلث للشراب وثلث للتّفس.

ومن قول أمير المؤمنين عليه السلام: أقبل إلى الطعام وأنت تشتهييه وقم منه وأنت تشتهييه.

وبيت الشعر منسوب إلى حاتم بن عبدالله الطائي الجواد، وأولها:

أيا ابنة عبدالله وابنة مالك \*\*\* ويا ابنة ذي الجدين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له \*\*\* أكيلاً فأني لست آكل وحدي

قصياً بعيداً أو قريباً فأنتي \*\*\* أخافُ مذمّات الأحاديث من بعدي

كفى بك عاراً أن تبيت ببطنه \*\*\* وحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ

وإني لعبدٌ الضيف ما دام نازلاً \*\*\* وما من خلالي غيرها شيمة العبد

وقد جاء البيت المتمثّل به، على ألفاظ مختلفة، حسب ما نقل من المصادر.

وكذا هو أمير المؤمنين عليه السلام جعل من نفسه - وهو الحاكم والمالك - أسوة للفقراء والمعوزين حتّى لا يتبيغ الفقير بفقره، فما خلّق ليشغله أكل الطيبات، وتخيّر الأطعمة، واقتناء نسائج القرّ. فهو الأسوة لهم في جشوبة العيش والمشارك في مكاره الدهر. وهو القائل: إليك عني يا دنيا! فحبلك على غاربك، اعزبي عني، فوالله لا أذلّ فتستدليبي، ولا أسلس لك فتقوديني.

\*\*\*

## (22) تقرّبه الأشعري

من كتاب له رقم 301 الصفحة 607، وقد بلغه عن الأشعري تشييطه الناس عن الخروج لحرب أصحاب الجمل.

قوله عليه السلام: [فإنّ حققت فانفذ، وإنّ تفشّلت فابعد وايم الله! لتؤتيني من حيث أنت، ولا تُترك حتّى يُخلط زُبْدُكَ بخاترك].

الخاتر اللبن الغليظ، والزبد: خلاصة اللبن وصفوته.

تقول للرجل إذا ضربته حتّى أثخنته: لقد ضربته حتّى خلطت زبده بخاتره. وهذا مثل معناه لتفسدنّ حالك ولتخلطنّ وليضربنّ ما هو الآن مُنتظّم من أمرك.

ص: 291

وأصل المثل: «لا يدري أيختر أم يذيب».

قالوا: إنّ المرأة تسلاً السمن فيختلط خاثره برقيقه، فتقع في حيرة من أمرها: إنّ أوقدت النار ليصفو احترق، وإن تركته بقي كدراً.

\*\*\*

### (23) للطالب غير حقّه

من كتاب له رقم 302 الصفحة 609، إلى معاوية جواباً.

قوله عليه السلام: [فإني إن أزرك فذلك جديرٌ أن يكون الله إنّما بعثني إليك للثّمة منك]، وإن تزرنني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم \*\*\* بحاصبٍ بين أغوارٍ وجلمودٍ

رياح حاصب: تحمل الحصباء، وهي صغار الحصى. والأغوار: ما سفّل من الأرض. والجلمود: الصخر.

يقول ابن أبي الحديد: وكنت أسمع أنّ هذا البيت من شعر بشر بن أبي خازم الأسدي، وقد تصفّحت شعره ولم أجده، ولم أعثر على قائله.

وفي نفس الصفحة من نفس الكتاب، قوله عليه السلام: [لأنك نشدت غير ضالّتك]. الضالّة: ما فقد من مالٍ ونحوه، ونشد الضالّة طلبها ليردّها، يقول الشارح: وهو مثلٌ يُضربُ لطالبٍ غير حقّه.

\*\*\*

### (24) لكيلا نأسوا على ما فاتكم

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 69 الصفحة 640.

قوله عليه السلام: [إذا لم يكن ما تُريد فلا تُبَل ما كنت].

ص: 292

جاء في شرح محمد عبده: إذا كان لك مرآة لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب ولا تُبال إن حَقْرُوكَ أو عَظْمُوكَ، فإنَّ محط السير الغاية، وما دونها فداءٌ لها. وقد يكون المعنى: إذا عجزت عن مرادك ولم تصل إليه فارض بأيِّ حال، واستشهد بالبيت:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه \*\*\* وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

وجاء في شرح ابن أبي الحديد: «إذا لم يكن ما تُريد، فلا تُبَلِّ كيف كنت». وقال: لقد أعجم تفسيره على كثير من الناس، وقالوا: المشهور في كلام الحكماء: «إذا لم يكن ما تُريدُ فأردُ ما يكون»، وجهلوا مراده عليه السلام من: «فلا تُبَلِّ كيف كنت».

ومراده عليه السلام: لا تكثرث بفوت مرادك ولا تبتس بالحرمان، ولو وقف على هذا لتمَّ الكلام وكمل المعنى، وصار مثل قوله: «فلا تُكثر على ما فاتك أسفًا»، ومثل قوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ) (1). لكنَّه تمَّ وأكد فقال: «كيف كنت»، أي لا تحمل لذلك همًّا كيف كنت، من مرض أو فقر أو غيرها، والخلاصة: لا تُبالِ الدهر، ولا تكثرث.

\*\*\*

## (25) أكلة منعت أكلات

في باب الحكم رقم 171 الصفحة 666.

قوله عليه السلام: [كم من أكلةٍ منعت أكلات].

إذا أكل الإنسان وأفرط في الأكل، فلربما تمرض معدته ويُفسدها 3.

ص: 293



كثرة الطعام، فيمتنع اضطراراً عن الحلى أياماً، حتّى تشفى علته ويُعاود الطعام.

وهو مثل يُضربُ لمن يُكثر في الشيء بغير حاجته، فتحلّ المضرة له منه. وهذا القول لأمير المؤمنين عليه السلام، لم يُسمع لقائل قاله قبله.

وأخذ هذا المعنى بلفظه «الحريري» فقال في المقامات: «رُبَّ أكلةٍ هاضت الأكل، ومنعته مآكل».

وأخذه أبو العلاف الشاعر فقال في سنوره الذي يرثيه:

أردت أن تأكل الفراخ ولا \*\*\* يأكلك الدهرُ أكل مضطهدٍ

يا من لذيذ الفراخ أوقعه \*\*\* ويحك هلاً قنعت بالقدد!

كم أكلةٍ خامرت حشا شرهٍ \*\*\* فأخرجت روحه من الجسدِ

وفي المثل: «أكلة أبي خارجة»: قال أعرابي وهو يدعو في الكعبة: اللهم ميتة كميّة أبي خارجة، فسألوه، فقال: أكل أبو خارجة حملاً، وشرب وطباً من اللبن، ونام في الشمس فمات، فلقي الله تعالى شبعان ريان دفيناً. والعرب تُعبر بكثرة الأكل، وتصفه بالنهم والشره.

ومن الموصوفين بكثرة الطعام: معاوية بن أبي سفيان، كان يأكل حتّى يستلقي ويقول: يا غلام، ارفع، فلا تى والله ما شبعت ولكن مللت. وكان عبيدالله بن زياد معروفٌ بنهمه وشرهه في الأكل، وكذلك سليمان بن عبدالمك، يوصف بالمصيبة العظمى في الأكل. وقد مات لإصابته بتخمة عظيمة من الأكل. وكان الحجاج عظيم الأكل شديد الشره فيه.

قال مسلمة بن قتيبة: كنتُ في دار الحجاج وأنا غلام، فأمر بتنور فنُصب، وأمر رجلاً أن يخبز له ودعا بسمك، فجعل يأكل حتّى أكل ثمانين جاماً من السمك بثمانين رغيفاً من الخبز.

ومن أقواله عليه السلام، في التجنّب عن الإفراط في الأكل ومضارّه: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء»، وروي هذا القول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا منافاة، فهو من نفس المعين، وذات الرواء.

\*\*\*

## (26) أولى بالنبّي وأقرب

في باب المختار من الحكم والمواعظ رقم 190 الصفحة 668.

قوله عليه السلام: [واعجباً أكون بالخلافة بالصحابة والقراة].

قال الرضي: وروي له شعراً في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم \*\*\* فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقرى حججت خصيمهم \*\*\* فغيرك أولى بالنبّي وأقرب

أراد بالمشيرين: أصحاب الحل والعقد وأهل الرأي في الأمر، وهم علىّ عليه السلام وأصحابه من بني هاشم.

وأما البيت الثاني أراد به: احتجاج أبي بكر رضي الله عنه على الأنصار بأنّ المهاجرين شجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والأولى والأقرب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هو وأهل البيت عليهم السلام.

وقد وردت هذه الكلمة في باب الاحتجاج، وكثرت هنا لضرورة ذكر الشعر في غرضه الذي أعدّ له.

ويمكن الإضافة: أنّه ورد في شرح ابن أبي الحديد قوله بصيغة أخرى وهي: «واعجباً أن تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقراة»، وقال: حديثه عليه السلام في النثر موجّه إلى عمر لأنّ أبا بكر لما قال له: امدد يدك، قال عمر: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المواطن

ص: 295

كلّها شدّتها ورخائها فامدد أنت يدك. فقال عليّ عليه السلام: إذا احتججت لاستحقاقه الخلافة بصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهلاًّ سلّمت الأمر إلى من شاركه بذلك وزاد عليه بالقرابة! وأمّا الشعر، فموجّه إلى أبي بكر، لأنّ أبا بكر حاجّ الأنصار في السقيفة أنّ المهاجرين شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليّ عليه السلام: إذا كان ذلك فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار، فقد كان قومٌ من الصحابة وأهل الرأي غائبين ولم يحضروا العقد فكيف يثبت؟

وعلى القول الذي ذكر أولاً: «أ تكون الخلافة بالصحابة والقرابة» فيه استغراب، وهو سؤال استنكار، يُستنتج منه أنّ الخلافة لا بهذا ولا بذلك، وإّما هي إمامة تُعقد بأمر الله، وما أخذه على نفسه أن: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ 124) (1). وجميع الناس في ذلك الوقت ممّن «ظلم» بعبادته الأوثان، إلّا أمير المؤمنين فقد كرم الله وجهه ولم يسجد لصنم قط، وأنّ الله سبحانه ذكره بالولاية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ 55) (2)، وله لا غيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، و«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ من بعدي».

وسؤال أمير المؤمنين عليه السلام وتعجّبه: «أ تكون بالصحابة والقرابة؟»، تفسره هذه الأحاديث والآيات التي كانت أمره به، ودالّة عليه، صلوات الله عليه.

\*\*\*

ص: 296

1- سورة البقرة، الآية: 124.

2- سورة المائدة، الآية: 55.

وفي غريب كلامه المحتاج إلى تفسير رقم 6 الصفحة 684، حديثه عليه السلام: [إنَّ الرجل إذا كان له الدِّينُ الظَّنُونُ يجبُ عليه أن يُزَكِّيَهُ لما مضى إذا قبضه].

قال الرضي: فالظنون الذي لا يعلمُ صاحبه أيقبضهُ من الذي هو عليه أم لا، فكأنه الذي يُظنُّ به فمرةً يرجوه ومرة لا يرجوه. وهذا من أفصح الكلام.

وكذلك كلُّ أمرٍ تطلبه ولا تدري على أيِّ شيءٍ أنت منه فهو ظنون. وعلى ذلك قول الأعشى:

ما يُجَعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الذي \*\*\* جُنِبَ صوبَ اللَّجِبِ الماطِرِ

مثل الفراتي إذا ما طما \*\*\* يقذفُ بالبُوصيِّ والماهرِ

وقد تقدّم ذكر الأبيات وتفسيرها في الخطبة الشَّقْشِقِيَّة.

وإنّما ذكرناها مكرّرةً، لأنّ ذلك ما اعتمدها في إيراد كلّ ما يتعلّق في كل بابٍ من أبواب الكتاب، حينما نجد في الخطبة أو الرسالة أو الحكمة، أي في كلّ كتاب نهج البلاغة.

ثمّ تقتصر الإشارة عليه من دون الحاجة لإعادة التفسير أو الموضوع، إلّا ما كان في إضافته فائدة.

أمّا عن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال أبو عبيدة: إنّ فيه من الفقه، ذلك من كان له دينٌ على الناس فليس عليه أن يُزَكِّيَهُ حتى يقبضه، فإذا قبضه زكّاه لما مضى.

\*\*\*

في غريب الكلام رقم 8 الصفحة 685.

قوله عليه السلام: [كالياسر الفالج ينتظر أول فوزة من قداحه].

قال الرضي: الياسرون الذين يتضاربون بالقداح على الجزور - (الناقة المجزورة) - والفالج: القاهر والغالب، يُقال: قد فلح عليهم وفلجهم. واستشهد بقول الراجز:

«المَّا رأيتُ فالجاً قد فلجاً»

وقد تقدّم ذكر هذا الكلام في هذا الباب: «النهي عن الحسد» وأوله: «فإن المرء المسلم البريء من الخيانة، ما لم يغش دناءةً.

يقول ابن أبي الحديد: كالياسر الفالج ينتظر أول فوزة من قداحه، أو داعي الله، فما عند الله خير للأبرار.

يقول: هو بين خيرتين: إما أن يصير إلى ما يُحبُّ من الدنيا، فهو بمنزلة صاحب القُدحِ المُعلّى، وهو أوفرها نصيباً، أو يموتُ فما عند الله خيرٌ وأبقى.

وليس يعني بقوله: الفالج: القامر الغالب كما فسّره الرضي

لأنّ الياسر الغالب القامر لا ينتظر أول فوزة من قداحه، وكيف ينتظر وقد غلب! وأيّ حاجة له إلى الانتظار! ولكنّه يعني بالفالج الميمون النقيبة الذي له عادةً مطردةٌ أن يغلب، وقلّ أن يكون مقهوراً.

\*\*\*

وقد قال الشاعر:

وقافيةٍ مثل حدِّ السنا \*\*\* ن تبقى ويذهبُ من قالها

تخيرتها ثمَّ أرسلتها \*\*\* ولم يُطق الناس إرسالها

وقال أمير المؤمنين عليه السلام، ما هو أبلغ من كل شعر:

رُبَّ قولٍ أنفذُ من صَوْلٍ.

وقد أدركنا ختام هذا الباب بحمد الله تعالى.

\*\*\*

ص: 299



المرأة في نهج البلاغة

### المدخل:

في مدخل هذا الباب، وهو الأخير من الكتاب، والذي خُصص لذكر «المرأة في نهج البلاغة» لا يمكن أن نغفل آثار المرأة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وأهم الأحداث والمواقف التي كان للمرأة فيها وجود وآثار. ورغم أن الموجود في النهج ما يتعلق بالمرأة قليل نسبةً للأحداث التي مرّت في حياة الإمام عليه السلام، ونسبةً لذلك الوجود وتلك الآثار، منذ أن جاءت به أمّه تحمله في أحشائها ودخلت بيت الله الحرام، وغايتها دعاء ربّ البيت: أن يُسهّل لها ولادتها ويرزقها ما تتمنّاه كلّ أمّ في ولدها. وكانت تلك الأمّ العظيمة - فاطمة بنت أسد - أوّل وآخر امرأة تدخل ذلك المكان المقدّس العظيم، وتلد فيه تلك الولادة التي لم تكن، لولا الرعاية الإلهيّة، والتي لم يحصل عليها غيرها من النّساء، ولم تنهياً لمولودٍ سواه. فلم يذكر تاريخ البشريّة أنّ امرأةً دخلت هذا المدخل سواها، أو أنّ أحداً غير عليّ وُلد في الكعبة المشرفة ممّن سبقه أو ممن لحقه.

ثمّ ما كان من هذه المرأة العظيمة من الأثر الكبير في حياته، وما كانت عليه وأبوه أبو طالب رضي الله عنه، من كرم الأخلاق وعفة النفس، وطهارة الروح، وشرف الأرومة، ومن إيمانٍ واعتقادٍ بالله وبالتوحيد ونبذ الشرك،



وما كان عليه قومهم من الجاهليّة، وما نشأ عليه ذلك البيت الطاهر من الاعتقاد بدين جدّهم إبراهيم عليه السلام خنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. وكان ذلك واضحاً في دعاء الأمّ في بيت الله ومناجاتها لربّ البيت، وتشفّعها بجدّها إبراهيم عليه السلام، ليسهّل الله لها ولادتها، ويرزقها بما تُحب.

فمع ما حباه الله سبحانه من كرامةٍ ووهبه من منزلةٍ أن جعل الإمامية فيه وفي ولده، وعصمه وأبناءه، وجعلهم الوارثين. كانت لتلك الظروف العائليّة المميّزة، الأثر الكبير في نشأته، وفي حياته العامرة، وفي وجوده عليه السلام.

وأثناء تهيهو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لتلقّي أوامر ربّه، وتكليف السماء له بالدعوة إلى دين الله، كان عليّ عليه السلام يعيش في كنف الرسالة، وفي بيت النبوة والوحي، يتلقّى ويأخذ علومه وتربيته وإعداده واستعداده، ويتغذى بروح النبوة والوحي، برعاية إلهيّة وتسديد نبويّ مباشر، فكانت له مع امرأةٍ عظيمةٍ أخرى صلةً، هي أمّ ثانياة تحنو عليه وترعاه، وتعامله وفق ما ترى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاهتمام والحنوّ والتعهد المباشر. تلك الفاضلة العظيمة خديجة، أمّ المؤمنين وزوجة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّ فاطمة، حيث جمعهم هي والنبيّ وعلي - بيتٌ واحد لم يكن على وجه الأرض من يعبد الله ويوحّده سواهم.

ويأتي الأمر الإلهي: أن يقترن النور بالنور، ليشعّ على العالم أنواراً باهرةً يبقى مصباحها وضياؤها بقاء الدنيا، يهدي البشريّة، ويُنير دروب الخلق، ليخرجهم من الظلمات إلى النور. فكان زواجه بسيّدة نساء العالمين: فاطمة الزهراء البتول، التي أذهب الله عنها وعن أولادها الرجس وطهّرهم تطهيراً. والتي قال فيها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في مقاماتٍ مختلفة، لا في مقامٍ واحد: إنّها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلةٌ

مريم بنت عمران (1). وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غصّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد (2). وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها في السماء بشهادة الملائكة.

وكم قال صلى الله عليه وآله وسلم: يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها (3).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّها بضعة منّي يُرَبُّني ما رابها (4).

وغير هذا الكثير في حقّها وحقّ أولادها وزوجها، مع ما نزل فيها من آياتٍ محكماتٍ، كآية التطهير، والمباهلة، والموذّة، وهل أتى، وسواها. وقد سدّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جميع الأبواب في مسجده إلّا باب فاطمة وعلي عليهم السلام، وكان يتعهّد ذلك الباب في كل يوم، ويُسلّم على أهلها، كما تُسلم عليها الملائكة وجبريل عليه السلام.

وبحكم قرب الإمام عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وملازمته له طيلة حياته، ووجوده المستمر والملاصق، واضطلاعهم بأكثر المهام، وحضوره المباشر في جميع الأحداث التي مرّت بالرسالة والرسول، فقد كانت تحدث مواقف وتصدر آثار بسبب ذلك الواقع من زوجات النبيّ. وكانت تلك المواقف متفاوتة ومتغيّرة بتغيّر أوضاع زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، فمنها السلبية ومنها .

ص: 303

- 
- 1- أخرج نحوه الترمذي في «المناقب»، 3873. وأحمد في كتاب: «باقي مسند المكثرين»، 11347.
  - 2- أخرج نحوه الحاكم في «المستدرک»، 4728. والطبراني في الأوسط، 2386. والكبير 180.
  - 3- أخرج نحوه البخاري في «المناقب»، 3714. ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، 2449. والترمذي في «المناقب»، 3869. وأحمد في كتاب «أول مسند المدنيين»، 15691.
  - 4- أخرجه البخاري «كتاب النكاح»، 5230. ومسلم في فضائل الصحابة، 2449.

الإيجابية، ومنها مواقف تصل إلى حدّ العدا، وإظهار ذلك العدا وإعلانه في أحيان كثيرة. ووصل الأمر بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ما وصل إليه من خروج أم المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها إلى حربه مع طلحة والزبير في حرب الجمل، وما كان من أثر تلك الحرب وتبعاتها في مسيرة الخلافة، وفي حياة الأمة بأجمعها.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه: أيتكنّ صاحبة الجمل الأديب يُقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت (1).

قال أبو عمر بن عبد البر: وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وروى جرير بن يزيد عن عامر الشعبي، وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير، قالوا جميعاً: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوآب - وهو ماء لبني عامر بن صعصعة - فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إيلهم، فقال قائلٌ منهم: لعن الله الحوآب، فما أكثر كلابها! فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟ قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني فسألوها ما شأنها وما بدا لها؟ قالت: إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كأتي بكلاب ماءٍ يُدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي. ثم قال لي: إياك يا حميراء أن تكونيها (2).

فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإنّا قد جزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأنّ هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوآب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلاً لهم .

ص: 304

1- أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، 234/7. وابن أبي شيبة في «المصنّف»، 37785، وابن عبد البر في الاستيعاب 4029.

2- ذكره ابن أبي الحديد في شرحه، ولم يذكر المصدر.

جُعلاً، فحلفوا لها وشهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوآب، فكانت هذه أوّل شهادة زورٍ في الإسلام.

وقال أبو مخنف: حدّثنا عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً لنسائه وهنّ عنده جميعاً: ليت شعري أيتكّن صاحبة الجمل الأديب، تنبجها كلاب الحوآب، يُقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير، كلّهم في النار وتنجو بعدما كادت (1).

وكانت للإمام عليه السلام مواقف معروفة في أحداث مهمّة وحساسة تتعلق بالنبويّ وزوجاته، وما كان المنافقون والمرجفون، وأعداء الله وأعداء الرسول يحيكونه ضدّ نبيّ الله ودعوته، فموقفه من ماريّة زوجة الرسول معروفة، عندما كشف الله على يده عليه السلام براءتها من التّهمة التي اتّهمت بها بهتاناً، وكان كشفاً مُحسّناً بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين ولا لغيرهم أن يقولوا فيه أبداً، وهي قصّة معروفة لا حاجة لتفصيلها.

عموماً فقد كانت زوجات النبيّ سوى عائشة وربّما حفصة في بعض المواقف، يُقدّرن أمير المؤمنين، ويعاملنه على أنّه صنو رسول الله وأخيه ونفسه وقد رأين وسمعن ووعين مئات الآيات المنزلات التي فسّرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقرّرت أنّها نزلت بحقّ علي عليه السلام، مع كثرة أحاديث الرسول وفي مواقف لا تُعدّ، يذكر فضائله عليه السلام، ويؤكّد على عظيم منزلته، وعلوّ شأنه، وكرامته عند الله سبحانه، وانتجابه له. ولو لم يكن إلا ما سمعن من فضله على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأقوال المنتقاة من كثير أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم، لكان كافياً أن يُقدّس ويكرم حرمةً واحتراماً لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه..

ص: 305

---

1- أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 7 / 234. وابن أبي شيبة نحوه (37785) وابن، عبد البر في الاستيعاب، 4029.

من قوله صلى الله عليه وآله وسلم، ما فيه من المعاني والغايات السامية: والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائفٌ من أمّتي فيك ما قالت النَّصارى في ابن مريم، لقلّت اليوم فيك مقالاً: لا تمرُّ بملاّ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة (1).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد أن ينظر إلى نوحٍ في عزمه وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر علي بن أبي طالب (2).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي قائلٌ لكم قولاً غير مُحابٍ فيه لقرابتي: إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد، من أحبّ عليّاً حياته، وبعد مماته (3).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ادعوا لي سيّد العرب عليّاً، فقالت عائشة: ألسّت سيّد العرب! فقال: أنا سيّد ولد آدم، وعلي سيّد العرب، فلما جاء أرسل إلى الأنصر فأتوه، فقال لهم: ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا عليّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموا بكرامتي، فإنّ جبرائيل أمرني بالذي قلّت لكم عن الله عزّ وجلّ (4).

ومن هذه الأحاديث الكثير، ولن نسهب بذكرها، ولكن اقتضت الحاجة إليها هنا فذكرنا بعضها.

وفي حياة عليّ عليه السلام، من النساء «أمّ البنين» رضي الله عنها، تزوّجها، فكانت له نعم الزوجة، ولأولاد فاطمة، أحنّ أم. رعتهم وأحبّتهم، أكثر من

ص: 306

1- ذكره الطبراني في الكبير (951).

2- رواه العسقلاني في «السان الميزان» 24/6 والذهبي في «ميزان الاعتدال» 409/6.

3- رواه الطبراني في الكبير (951).

4- في حلية الأولياء لأبي نعيم 38/5.

أولادها الأربعة وهم العباس وإخوته، الذين قدمتهم بين يدي أبي عبدالله الحسين، في الطفّ، فدوّه بأرواحهم، وأقرّوا بذلك عين أمّهم «أم البنين» فاطمة بنت حزام الكلابيّة رضي الله عنها وأرضاها.

وفي حياته، بنتٌ، هي بعضٌ من فاطمة، ورثت منها: جلالها وعلمها وعظمتها ومن أبيها: شجاعته وإقدامه وجرأته وبلاغته حتّى أنّها من أسرها أزال ملوكاً، وحطمت عروشاً، وحققت النّصر الحسيني، بإكمالها طريق أخيها الحسين عليه السلام بإماتها اللثام عن وجه الظلم وإزاحتها قوائم عرش البغي المتمثّل بالحكم الأموي البغيض.

لندخل هذا الباب ونقرأ ما اختاره الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن المرأة في نهج البلاغة. فنجد قولاً أخذه المشرّعون واعتمدوه في فقهم، أو حالةً مستعصية، ووجدوا الحلول لها أو كلاماً ذهب مثلاً ورسخ في أذهان علماء الكلام، وعرفاء الحكمة. وربّما يذكر المرأة وهو يعني حالة معيّنة، أو امرأة معيّنة، ولا يقصد بها جميع النساء، أو يستخدم الإشارة في القول، ومنها يُعرف مراده عليه السلام.

وسنعمد إلى ذكر بعض الأحداث أو الروايات، إذا تعلق الأمر بامرأة معيّنة، وذلك بشكلٍ مختصر، ولمجرّد الإيضاح وإيصال الفكرة، بالاعتماد في ذلك على شرح ابن أبي الحديد، لأنّ لغالب على شرح الشيخ محمد عبده، الاختصار وعدم التوسّع في أحداث التاريخ.

\*\*\*



من كلام له عليه السلام رقم 13 الصفحة 65، لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ، خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ، يَقُولُ: [كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقَّرَ فِهْرَيْتُمْ].

والمقصود بالمرأة: عائشة رضي الله عنها. والبهيمة: الجمل واسمه عسكر وهو راية أهل البصرة في القتال، قُتِلُوا دُونَهُ كَمَا تُقْتَلُ الرِّجَالُ تَحْتَ رَايَاتِهَا. رَغَا: نسبة إلى صوت الجمل، كناية عن إجابتهم دعوة الحرب ضده عليه السلام.

ومجمل قصّة الجمل: أَنَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ بَايَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ نَكَثَا بَيْعَتَهُ، وَأَتَيَا مَكَّةَ يُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَتْ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَأَخْبَرَاهَا عَنْ خُرُوجِهِمَا، وَدَعْوَتِهِمَا الطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ الَّذِي مَا سَدَّ فَمَكَ لَوْلَا تَحْرِيزُهُمَا عَلَيْهِ، وَإِنْكَارُهُمَا كُلِّ شَأْنِهِ، وَعَيْبُهُمَا لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، مَعَ مَا كَانَ مِنْ عَائِشَةَ وَابْنِ الْعَاصِ، وَغَيْرِهِمَا نَحْوَهُ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى.

فدعت للخروج إلى الشام، فقالوا لها: لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم أمرها معاوية بن أبي سفيان، وانتهى الرأي أن يأتوا البصرة فإن



لأهلها هوى في طلحة، فتجهزوا لذلك، وقد أعطى عائشة - يعلى بن منبه - جملاً اسمه عسكر وكان يعلى هذا والياً لعثمان في اليمن، وعزله أمير المؤمنين من عمله. ونادى منادٍ في الناس بطلب ثأر عثمان. واجتمع نحو ثلاثة آلاف مقاتل، سارت فيهم إلى البصرة، وبلغ الخبر علياً عليه السلام، فأوسع لهم النصيحة، وحذّره الفتنة، ودعاهم إلى لزوم الجماعة وعدم نكث البيعة. فلم ينجح النصح، ولم يرجعوا عمّا عزموا عليه. فتجهّز لهم أمير المؤمنين عليه السلام، وسار إلى البصرة، وحدث القتال بعد محاولات كثيرة منه لمنعه وحقن الدماء، ودفع الفتنة، ولن تنجح كلّ محاولات وسعيه في ذلك. واشتدّ القتال، وكان الجمّل يعسوب البصريين، قُتل دونه خلق كثير من الطرفين. وقد أخذ خطام الجمّل «عسكر» سبعون قرشياً ما نجا منهم أحد.

والإمام يُنادي في الناس: اعقروا الجمّل فإنّه شيطان! اعقروا الجمّل وإلا فنيت العرب. ولما عُقر الجمّل توقّفت الحرب، وقد قتل طلحة والزبير، وكان أصحاب الجمّل ثلاثين ألفاً، قُتل منهم سبعة عشر ألفاً، وقُتل من أصحاب الإمام عليه السلام، ألفٌ وسبعون.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى ما رأى من كثرة القتلى حول «الجمّل عسكر» ولا أحد يستطيع أن يصل إليه ويعقره لكثرة من كانوا حوله، وأنّهم ألبسوه دروعاً، ولقوا قوائمه بالجلود، حتّى أن السيف أو الرمح أو النبل لا تؤثر فيه. تناول أمير المؤمنين عليه السلام الراية من ولده محمد بيد، وذو الفقار بالأخرى، ثمّ حمل فغاص في عسكر الجمّل، ثمّ رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته. فقال له بنوه والأشتر وعمّار وبعض أصحابه: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين. فلم يُجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره، وتقدّم نحو الجمّل وهو يزارُ زئير الأسد، حتّى فرّق من

حوله. وتبادروه وأنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر مَنْ حوله، ولا يردُّ حواراً، وحمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم، فضربهم بالسيف قُدماً قُدماً، والرجال تفرُّ من بين يديه، وتناحز عنه يمنة ويسرة، حتَّى خضب الأرض بدمائهم، وقد انحنى سيفه فرجع، فاعصوب به أصحابه، وناشدوه الله في نفسه المقدّسة والإسلام. ثمّ قال: والله ما أريد بما ترون إلّا وجه الله والدار الآخرة.

ثمّ قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يابن الحنفيّة، فقال النَّاسُ: من الذي يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين!

ويذكر أنّه عليه السلام هو الذي عقر الجمل ضربه على رجله بالسيف فخرَّ إلى الأرض وله رغاء شديد، فلمّا برك الجمل كانت الهزيمة لأهل البصرة.

\*\*\*

## (2) أسماء بنت عميس

من كلام له رقم 67 الصفحة 142، لمّا قُتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، قال: [ وقد أردتُ تولية مصر هاشم بن عتبة، ولو وليته إيّاها لما خلى لهم العرصة ولا أنهزم الفرصة، بلا ذمّ لمحمد بن أبي بكر، فلقد كان إليّ حبيباً، وكان لي ربيباً ].

العرصة: كلّ بقعة واسعة بين الدور، وأراد بها عرصة مصر. ومحمد أمّه أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك

بن قحافة بن قثعم، تزوّجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له عبدالله الجواد، ثمّ قُتل جعفر يوم مؤتة، فتزوّجها أبو بكر فأولدها محمد، ثمّ مات عنها، فخلف عليها أمير المؤمنين عليه السلام، وعاش

محمد بن أبي بكر في بيته، وكان ربيبه وخرّيجه، جارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع منذ صباه، ونشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير عليّ عليه السلام، ولا يعتقد لأحدٍ فضيلة غيره، وقال عليّ عنه: محمد ابني من صُلب أبي بكر يُكنّى أبا القاسم، وقال البعض: كان يُكنّى أبا عبدالرحمن.

وروي أنّ أسماء أنّ أسماء بنت عميس رأت في منامها، أنّ أبا بكر مخصّبٌ بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثيابٌ بيض، فحكّت ذلك إلى عائشة، فقالت: إنّ صدقت رؤياك فقد قُتل أبو بكر، وكان في غزاةٍ حينها، وفسّرت الخضاب بالدم والثوب الأبيض بالكفن، وبكت. ثمّ جاء رسول الله وسألها عن سبب بكائها، فذكروا له رؤيا أسماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ليس كما عبّرت الرؤيا، ولكن يرجع أبو بكر سالماً، فيلقى أسماء فتحمل منه بسلام فتسمّيه محمداً، يجعله الله غيضاً على الكافرين والمنافقين. فكان كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قُتل محمد بن أبي بكر في مصر، عندما دخلها عمرو بن العاص قتلته معاوية بن حُديج. وقد ذكره إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، في كتاب الغارات، وقال: كان ابن حُديج ملعوناً يسبُّ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال: لقد حلفت عائشة بعد مقتل محمد أنّها لا تأكل شواءً، فلم تأكله حتّى لحقت بالله وما عثرت قطُّ إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ومعاوية بن حُديج. وقال إبراهيم أيضاً: إنّ أسماء بنت عميس، لمّا جاءها نعي محمد ابنها، قامت إلى مسجدها، وكظمت غيظها حتّى تشخّبت دماً: أي انفجرت عروقها بالدم.

\*\*\*

### (3) في ذم النساء

من الخطبة رقم 79 الصفحة 157، بعد حرب الجمل، في ذكر النساء، قال عليه السلام: [معاشر الناس! إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحفظ، نواقص العقول].

فأما نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن. وأما نقصان حفظهنّ فموريتهنّ على الأنصاف من موريت الرجال. وأما نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد. فأتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهنّ على حذر ولا تطيعوهنّ في المعروف، حتّى لا يطمعنّ في المنكر.

وهذا الفصل كلّ رمز إلى عائشة رضي الله عنها.

ويقول الشارح في تفسيره لهذا الكلام: خلق الله النساء وحملهنّ على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سنّ معين لا يكاد ينتهي حتّى تستعدّ الحمل آخر وهكذا، فلا يكذّن يفرغنّ من الولادة والتربية، فكأنهنّ قد خُصّصن لتدبير أمر المنزل وملازمتها، وهو دائرة محدودة يقوم عليهنّ فيها أزواجهنّ، فخلق لهنّ من العقول بقدر ما يحتجنّ إليه في هذا، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة، فكُنّ في أحكامه غير لاحقات للرجال، لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث.

وأراد عليه السلام في قوله: لا تطيعوهنّ في المعروف: أن لا يكون فعل المعروف صادراً لمجرد طاعتهنّ، وإنّما إذا أردت فعل المعروف فافعله لكونه معروفاً، ولا تفعله امتثالاً لأمر المرأة، ويقول الشارح: ولقد قال الإمام عليه السلام قولاً صدّفته التجارب في الأحقاب المتطاوله، ولا استثناء ممّا قال، إلا بعضاً منهنّ وهبّن فطرة تفوق في سمّوها ما استوت به الفطن، أو

تقاربت، أو أخذ سلطان من التربية طباعهنّ، على خلاف ما غرز فيها، وحولها إلى غير ما وجهتها الجبلّة إليه.

وقد كان هذا الكلام بعد حرب الجمل، وانتصار الإمام على جيش البصرة الذي قاده طلحة والزبير، وكان شعار الجيش، الجمل عسكر، وقد أركبوا عليه أمّ المؤمنين عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتركوا حريمهم في بيوتهم، وجاؤوا بها إلى البصرة، بدعوى الطلب بدم عثمان.

وقد قال كلّ من صنّف في السير والأخبار: إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان وهي أول من سمّته نعثلاً، وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً!

روى المدائني في كتاب الجمل قال: بلغ عائشة قتل عثمان وهي بمكة، فلم تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بُعداً لنعثل وسحقاً! إيّه ذا الإصبع! إيّه أبا شبل! إيّه يا بن عمّ لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يُبايع له، حتّوا الإبل ودعدعوها.

وقال أبو مخنف: لمّا علمت عائشة بمقتل عثمان وهي في مكّة، أقبلت مسرعة، فلقيتها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له ما عندك؟ قال: قُتل عثمان، قالت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حارت بهم الأمور إلى خير محارٍ، بايعوا عليّاً، فقالت: لوددتُ أنّ السماء انطبقت على الأرض إنّ تمّ هذا.

فقال لها: ما شأنك يا أمّ المؤمنين! والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها من عليّ ولا أحقّ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جواباً.

وروى الشعبي، عن مسلم بن أبي بكره عن أبيه، قال: لمّا قدم

طلحة والزبير البصرة، تقدّدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة، وإذا هي تأمر وتنهى وإذا الأمر أمرها، فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يفلح قوم تدبّر أمرهم امرأة» (1). فانصرفت واعتزلتهم.

\*\*\*

#### (4) زينة الحياة

من الخطبة رقم 151 الصفحة 307، قوله: [إنّ البهائم همّها بطونها وإنّ السباع همّها العدوان على غيرها، وإنّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها].

يقول ابن أبي الحديد: ثمّ أراد عليه السلام أن يرمي إلى ذكر النّساء للحال التي كان وقع إليها من استنجد أعدائه بامرأة، فذكر قبل ذكر النّساء أنواعاً من الحيوان، تمهيداً لقاعدة ذكر النّساء، فقال: إنّ البهائم همّها بطونها كالبقرة والإبل والغنم، وإنّ السباع همّها العدوان على غيرها، كالأسود والثّور والصقور. ثمّ قال: وإنّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها.

ومما قاله بعض الحكماء في النّساء، يُقارب هذا الموضوع، قيل لسقراط: أيّ السباع أحسن؟ قال: المرأة.

ورأى بعضهم جارية تحمل ناراً، فقال: نارٌ على نار والحامل شرٌّ من المحمول.

ورأى حكيم امرأة تعلّم الكتابة، فقال: سهمٌ يسقى سمّاً ليرمي به يوماً ما.

ص: 315

---

1- أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (425) والترمذي في كتاب «الفتن» (2262). والنسائي في كتاب «آداب القضاة» (5388)، بلفظ: ولّوا بدل قوله تدبّر.

وتزوّج بعضهم امرأة نحيفة، فقيل له في ذلك، فقال: اخترت من الشرّ أقلّه.

وهذا لا يعني أنّه كلام عمومي، وإنّما يكون بعض الكلام عن حالة معيّنة، وباختصاص امرأة معينة أو بعض النساء، وإلا فإنّ فإنّ من النساء يُعرفن بالصلاح والتقوى، ومنهنّ من فاقت الرجل فيما يُمتدح منه.

\*\*\*

## (5) أم المؤمنين

من كلام له رقم 154 الصفحة 311 خاطب به أهل البصرة، قوله: [وأما فلانة فأدركها رأي النساء، وضغنُ غلا في صدرها كمرجل القَيْنِ، ولو دُعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ، لم تفعل، ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله تعالى].

وفلانة: إشارة إلى السيّدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، والكلام في حرب الجمل وخروجها مع طلحة والزبير لحربه وتأليب الناس عليه. والمرجل: القدر. والقين: الحدّاد، أي أنّ ضغينتها وحقدتها عليّ دائمين. كقدر الحدّاد، فهو يغلي ما دام يصنع. ولو دعاها أحد لتُصيب من غيري غرضاً من الإساءة والعدوان مثل ما أتت عليّ وفعلت بي، لم تفعل، لأنّ حقدتها كان عليّ خاصة. وحرمتها: أنّها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن المروي عن أم المؤمنين أنّها ندمت وقالت: لوددت أنّ لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة بنين، كلّهم ماتوا، ولم يكن يوم الجمل، مع أنّها ربّيت عقيب يوم الجمل تبكي حتّى تبلّ خمارها، وأنّها كانت بعد استشهاد

ص: 316

أمير المؤمنين عليه السلام تُثني عليه وتُتشر مناقبه، وتُحدّث بأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه.

\*\*\*

## (6) حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من الخطبة رقم 170 الصفحة 347، في ذكر أصحاب الجمل، قوله عليه السلام: [فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تُجرّ الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزوا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لهما ولغيرهما].

وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كناية عن الزوجة وأصله الأهل والحرم، وكذلك حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كناية عنها، فأَمّ المؤمنين كانت محبوسة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجوز لأحد أن يمسه بعده وكأنّها في حياته.

والكلام عن أصحاب الجمل طلحة والزبير، وإخراجهما السيّدة أمّ المؤمنين، وهي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبسه إلى البصرة، وإشراكها في أمر ليس من شأنها، ولو كان للنساء فيه شأن فلم لم يُخرّجوا نساءهم أيضاً، بل حبسوا نساءهم، وأخرجوا من هي الأولى أن تُحبس.

روي أنّ الزبير أخذ سبعين رجلاً من «السّبابجة»، وهم الشّروط حرس بيت المال التابعين لعثمان بن حنيف والي البصرة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، فذبّحهم الزبير كما يُذبّح الغنم. وتولّى ذلك منهم عبدالله ابن الزبير ولده، وأخذ كذلك من حراس بيت المال خمسين أسيراً وقتلهم صبراً.

وقال أبو مخنف: حدثنا الصعقب بن زهير قال: كانت السّبابجة



القتلى يومئذٍ «أربعمائة رجل»، قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الإسلام، والسبابة أول قوم ضُربت أعناقهم من المسلمين صبراً. وأسر عثمان بن حنيف، وضرب ضرب الموت، وتُنف حاجباه وأشفار عينيه، وكلّ شعرة في وجهه ورأسه، وأرادوا قتله، فصاح بوجه طلحة والزبير وعائشة قائلاً: إن أخي سهل بن حنيف خليفة عليّ في المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بني أبيكم وأهلكم ورهطكم، فكفّوا عنه وتركوه (1).

وكان مع حكيم بن جبلة ثلاثمائة من عبد القيس، من أنصار عثمان ابن حنيف، جرت بينهم وبين طلحة والزبير معركة سمّيت «يوم الجمل الأصغر» لخروجهم إليه، وقد حملوا عائشة على جمل وقتل حكيم وإخوته الثلاثة مع الثلاثمائة من عبد القيس والقليل من بكر بن وائل بأجمعهم.

عند ذكر هذه الأحداث، نتعرّف على فداحة الأعمال التي قام بها طلحة والزبير وأتباعهما، وكثرة من قُتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه في البصرة غدرًا أو صبراً، ومع كلّ هذا دعاهم الإمام عليه السلام، إلى أن يتوبوا إلى رشدهم، ويدعوا الفتنّة، ويعودوا لما كانوا عليه من عقدهم البيعة له، إلا أنّهم أصرّوا على عدوانهم، وأفحموا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّ المؤمنين عائشة في هذا الصراع، وما كان لها أن تقر به.

\*\*\*

ص: 318

---

1- ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة الجزء 9 الصفحة 196. طبعة الدار اللبنانية.

من كلام له عليه السلام رقم 200 الصفحة 434، عند دفن سيّدة النساء

فاطمة عليها السلام. قاله كالمناجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره: [السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النّازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، فلقد استرجعت الوديعه، وأخذت الرّهينة أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستبنتك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال].

قوله عليه السلام: «عن صفيتك»، من لطيف عباراته، ومحاسن كنايته. يقول عليه السلام: ضعف جلدي وصبري عن فراقها، لكنّي أتأسّي بفراقي لك، فكلّ عظيم بعد فراقك جليل، وكلّ خطبٍ بعد موتك يسير.

والوديعه والرّهينة هي فاطمة عليها السلام. أمّا الرّهينة، كأنها عليه السلام كانت عنده عوضاً من رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تكون الرّهينة عوضاً عن الأمر الذي أخذت رهينة عليه. والوديعه، ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أودعها أمانة عند كل مسلم بعد رحيله. فكيف كانت وديعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندهم؟ وهل أدّوا حقّها كما يجب، وبما تستحقّه عليها السلام؟

ليلى مسهد: أي ينقضني بالسهاد وهو السهر. والسرمد: الدائم. هضمها: ظلمها. وأحفها السؤال: الاستقصاء فيه.

أمّا قول الرضي رحمه الله: «عند دفن سيّدة النساء»، ذلك لتواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: فاطمة سيّدة نساء العالمين. إمّا هذا اللفظ بعينه، أو لفظ يؤدّي إلى هذا المعنى.

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال وقد رآها تبكي عند مرضه: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمة (1)؟

وروي أنه قال: سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران (2).

وقد رآها تبكي في مرضه الذي مات فيه صلى الله عليه وآله وسلم، فأسرّ إليها: «أنتِ

أسرع أهلي لحوقاً بي»، فضحكت عليها السلام (3)

وقد ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد في كتابه «الكامل»، أن أمير المؤمنين عليه السلام تمثّل عند قبر فاطمة عليها السلام:

لكلّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ \*\*\* وكلّ الذي دون الفراق قليلٌ

وإنّ افتقادي واحدٌ بعد واحدٍ \*\*\* دليلٌ على ألا يدوم خليلٌ

والناس يرونه: وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد.

\*\*\*

## (8) فلتة غضب

من كتاب له رقم 239 الصفحة 490، إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، قوله: [وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأُتيح له قومٌ فقتلوه].

ص: 320

1- أخرجه الحاكم في «مستدرکه» 170/3. والبيهقي في «السنن الكبرى» 251/4. وذكره أبو نعيم في «الحلية» 40/2.

2- ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» 201/9.

3- أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم 2450 وابن ماجه في ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 1621 وأحمد في مسنده 25874.

يُشير عليها السلام إلى ما كان منها في أمر عثمان، وغضبها عليه، حتّى أخرجت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونعله وقولها: هذان نعلا رسول الله وقميصه لم تبل، وقد بدل عثمان من دينه وغير من سنّته. وجرى بينهما كلام المخاشنة، حتّى قالت: «اقتلوا نعتلاً».

وقوله: فأتيح له قوم قتلوه: هو من لطيف الكلام، ولم يقل: أتاح الله له قوماً، وجعل الأمر مبهماً.

\*\*\*

## (8) وصيته في النساء عند الحرب

من وصيّة له رقم 252 الصفحة 503، لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين. يقول: [ولا تهيجوا النّساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراءكم، فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنّ كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنّهنّ لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهليّة بالفهر، أو الهراوة، فيعيّر بها وعقبه من بعده].

القهر: الحجر. والهراوة: العصا.

وهي من جملة وصايا أوصى به عسكره في صفّين، ذكرنا ما يخصّ النساء فقط، وأمره لهم بعدم التعرّض للنّساء بأذى، حتّى وإن شتمن أعراضكم أو أمراءكم، وهذا حكم الشريعة الإسلاميّة، لا ما يظنّه البعض أو ما يتوهّمه الجاهلون، في إباحة التعرّض لأعراض الأعداء، حتّى لو كانوا كفّاراً.

وقال: إنّ تناول المرأة بالحجر أو العصا، في الجاهليّة، يُجلبُ عاراً لفاعله هو وعقبه من بعده، فكيف والإسلام قد أوصى بعدم التعرّض

للشيخ أو الجريح أو المدبر أو أو النساء بأي أذى. وتلك من آداب الحرب والقتال عند المسلمين.

وقد ورد في هذا المعنى قول الشاعر:

إن من أعظم الكبائر عندي \*\*\* قتل بيضاء حرّة عَطْبُولِ (1)

كُتِبَ القتل والقتال علينا \*\*\* وعلى المحصنات جرّ الدّيولِ

وفي حديث حرب الجمل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد ظفّره، مرّ بباب عبدالله بن خلف الخزاعي، فقالت امرأته: يا عليّ، يا قاتل الأحيّة، وشتّمته، فلم يردّ عليها، ولكنّه وقف وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وانصرفت. وكانت قد أخفت عندها مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير، بعد فرارهما من المعركة، فأشار إلى الموضوع الذي كانا فيه، أي لو شئتُ أخرجتهما.

ولكنّه عليه السلام لم يفعل وتركهما وترك المرأة، فهو الحلّيم الكريم الذي يتجاوز على من حاربه وأراد له الهلاك.

ومن وصايا عمر بن الخطاب إلى أمراء جنده: «ولا تقتلوا هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقّوا أن تطؤوا هؤلاء عند التقاء الزحفين، وعند حمة النّهضات، وفي شنّ الغارات».

\*\*\*

## (9) خيرُ نساء العالمين

من كتاب له رقم 266 الصفحة 521، إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب، قوله: [ومنا خيرُ نساء العالمين، ومنكم حمّالة الحطب].

ص: 322

1- العطبول: المرأة الجميلة الفتية، الطويلة العنق.

خير نساء العالمين: هي فاطمة عليها السلام، الزهراء، البتول، نص عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، لا خلاف فيه. وقد أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرک (4733)، وابن حبان في صحيحه (6951)، والطبراني في الكبير (1004). وفي مصادر أخرى كثيرة.

وقد سبق أن ذكرنا أحاديث كثيرة مستفيضة في حقها صلوات الله عليها، نقلها الثقات، ورويت في الصحاح والمساند، وبلغ أكثرها حدّ التواتر، ولا حاجة لإعادتها.

وأما حمالة الحطب: فهي أم جميل بنت حرب بن أمية، زوجة أبي لهب التي ورد نصّ القرآن فيها وفي زوجها بما ورد.

ومن نساء بني أمية، أم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة أبي سفيان، كانت تُشارك قومها حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بقودها نساء قومها إلى ميدان القتال، تشجع الرجال، وتحمسهم على قتال النبيّ والمسلمين.

وفي أحد لها موقف معروف، في قولها الشعر، تُحرّض به على القتال، كقولها: «الدم الدم، ويها بني عبدالدار، ويها حماة الأديار، ضرباً بكلّ بّتار. نحن بنات طارق نمشي على التّمارق، الدرّ في المخانق، والمسك في المناطق، إنّ تُقبلوا نعانق ونفرش التّمارق أو تُدبروا نفارق فراق غير وامق». وعندما استشهد حمزة سيّد الشهداء، أمرت قاتله «وحشي» أن يُمزّق جسمه، واستخرجت كبده ولاكته في فمها، حتّى دُعيت بلقب «آكلة الأكباد». لعن الله القسوة ولعن أهلها.

\*\*\*

من وصية له رقم 269 الصفحتان 542، 543، كتبها للحسن بن علي عليه السلام عند انصرافه من صفين.

قوله: [وإيّاك ومشاورة النساء فإن رأيهنّ إلى أفنّ وعزمهنّ إلى وهنّ، واكفف عليهنّ من أبصارهنّ، بحجابك إيّاهنّ، فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك من لا- يوثق به عليهنّ، وإن استطعت أن لا- يعرفنّ غيرك فافعل، ولا تُملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنّ المرأة ريحانةٌ وليست بقهرمانة، ولا تعدّ بكرامتها نفسها، ولا تُطمعها في أن تشفع لغيرها، وإيّاك والتّغاير في غير موضع غيره، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السّقم، والبريئة إلى الرّيب].

مجموعة وصايا تخصّ أمور النساء وطرق التعامل مع المرأة، وما يصلحها فيعمل به، أو يُفسدها فيُتجنب عنه، وجميعها في أمور مهمّة وذات صلة بالحياة العامة وبناء المجتمع، وخلق الأسس السليمة لهذا البناء الذي من أهم أركانه المرأة. ونأخذ هذه الوصايا بالتتابع:

أمّا مشاورة النساء فإنّه من فعل عجزه الرجال والأفنّ: ضعف الرأي، تقول: أفن الرجل: أي ضعف رأيه، وتقرأ أفن بسكون الفاء، وهو النقص، والمتأفّن: المتنقّص، يُقال: فلان يتأفّن فلاناً، أي يتنقصه ويعيبه.

ثمّ ذكر فائدة الحجاب والتشدد فيه، ممّا يُبقي على وجود المرأة ويحافظ عليها. ونهاه أن يدخل عليهنّ من لا يوثق به، وأنّ خروجهنّ أهون من ذلك، لأنّ الخلوة تتحقق لمن لا يوثق به أكثر منها في الطرقات. وقال: إن استطعت أن لا يعرفنّ غيرك فافعل. قيل: كان

لبعضهم بنت حسناء، فحجَّ بها، وكان يعصب عينيها ويكشف للناس وجهها، فقيل له في ذلك، فقال: إنّما الحذر في رؤيتها الناس، لا من رؤية الناس لها.

ولا تملّك المرأة: لا تدخلها معك في تدبيرٍ أو مشورةٍ، إلا ما كان متعلقاً بنفسها أو ما يُصلح شأنها.

والقهرمان: الذي يحكم في الأمور ويتصرّف فيها بأمره، والمرأة ليست كذلك، إنّما هي ربحانة.

ولا تُجاوز باكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها.

يقول الشارح: أين هذه الوصيّة من حال الذين يصرفون النساء في مصالح الأُمَّة، بل ومن يختصّ بخدمتهنّ كرامة لهن!

وأقول: أين هذه الوصيّة من الحال التي وصلنا إليها، فجعلنا من النساء متصرفات في شؤون الحكم والسياسة، واتخاذ القرار، الذي ربّما من شأنه تحديد مصير الأُمَّة، مستقبليها. حتّى أوردنا موارد الضعف والهوان وقلة الحيلة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يفلح قومٌ تدبّر أمرهم امرأة» (1) ثمّ نهاه عن إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظنّ في حالها من غير موجبٍ. أمّا غيرة الرجل على عرضه وشرفه فمما يوصي به ويمتدحه، وله قولٌ في ذلك سيأتي في حينه يقول: غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان، ذلك أنّ غيرة المرأة قد تمنع من الزواج وهو ما حلل للرجل. أمّا غيرة الرجل فتحريمٌ لما حرّم الله وهو الزنى.

ومن الشعر الذي قيل في استقباح الغيرة في غير محلّها ما قاله مسكين الدارمي: .

ص: 325

---

1- البخاري في المغازي والترمذي في كتاب الفتن. والنسائي في آداب القضاة.



ما أحسنَ الغيرةَ في حينها \*\*\* وأقبحَ الغيرةَ في غير حينٍ

من لم يزل متَّهماً عرسه \*\*\* مناصباً فيها لرجم الظنونُ

يوشك أن يُغريها بالذي \*\*\* يخاف، أو ينصبها للعيون

حسبك من تحصينها ضمُّها \*\*\* منك إلى خيم كريم ودينُ

لا تظهرن يوماً على عورةٍ \*\*\* فيتبع المقرون حبلَ القرينُ

والبيت الثالث موافق ومأخوذٌ من قوله عليه السلام: فإنَّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الرِّيبِ.

وما أجمل قول الدارمي أيضاً:

وهبني امرؤ راعيتُ ما دمتُ شاهداً \*\*\* فكيفَ إذا ما سرتُ من بيتها شهراً

إذا هي لم تُحصن لما في فنائها \*\*\* فليس بمنجيتها بنائي لها قصراً

\*\*\*

## (11) ابن أمي

من كتاب له رقم 274 الصفحة 548، أرسله إلى أخيه عقيل، وهو جواب كتاب كتبه إليه قيل.

يقول: [فجزت قريشاً عنِّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي].

والجوازي: جمع جازية، وتعني المكافأة، وهذا دعاءٌ عليهم بالجزاء على أعمالهم.

وسلطان ابن أمي: يعني به الخلافة. وما يعنينا هنا قوله: ابن أمي. وابن أمه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعلى قول: لأنَّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن

ص: 326

عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبدالله وأبي طالب، ولم يقل سلطان ابن أبي، لأن غير أبي طالب من الأعمام يشركه في النسب إلى عبد المطلب. وقول آخر: إن فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه السلام، ربت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرها، فقال النبي في شأنها: فاطمة أمي بعد أمي.

\*\*\*

## (12) اللَّبْسَةُ وَاللَّسْبَةُ

باب الحكم وقصار الكلمات رقم 62 الصفحة 639.

قوله عليه السلام: [المرأة عقربٌ حلوةٌ اللَّبْسَةُ].

وفي نسخ أخرى: «المرأة عقربٌ حلوةٌ اللَّسْبَةُ».

فعلى القول الأول، اللَّبْسَةُ، بالكسر وتقديم الباء على السين تعني: حالة من حالات اللبس، يُقال لبست فلانة، أي عاشرتها زمناً طويلاً. والعقرب لا تحلو لبستها، أما المرأة فمع الإيذاء، فهي حلوة اللَّبْسَةُ.

وأما القول الثاني: اللَّسْبَةُ، تعني: اللسعة.

لَسَبْتَهُ العقرب، بالفتح: لسعته. ولسبت العسل: أي لعقته.

نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة، فقال: ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة.

وكتب فيلسوف على باب داره: ما دخل هذا المنزل شرُّ قط، فقال له بعضهم: أكتب معه، إلا المرأة.

ورأى بعضهم امرأة غريقة في الماء، فقال: زادت الكدَر كدراً،

والشرُّ بالشرِّ يهلك.

ص: 327

وفي الحديث المرفوع: استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهنّ على حذر (1).

وقال الحكماء: اعص هواك والنساء وافعل ما شئت.

وفي الحديث المرفوع: إنّهنّ ناقصات عقلٍ ودين (2).

ومن كلام بعض الحكماء: ليس ينبغي للعاقل أن يمدح امرأةً إلا بعد موتها.

وكان يُقال: ما نُهيت امرأةً عن أمرٍ إلا أتته.

وفي هذا المعنى يقول طُفيل الغنويّ:

إنّ النساء كأشجارٍ نبتنَ معاً \*\*\* هنّ المرأُ وبعضُ المرّ مأكولُ

إنّ النساء متى يُنهيَن عن خُلُقٍ \*\*\* فإنّه واجبٌ لا بدّ مفعولُ

وجاء في الحديث: شاوروهنّ وخالفوهنّ (3).

وفي الحديث أيضاً: ما تركتُ بعدي فتنةً أضرتُ من النساء على الرجال (4).

وفي الحديث أيضاً: المرأة ضلعٌ عوجاء إن داريتها استمتعت بها، وإن رُمّت تقويمها كسرتها (5).8.

ص: 328

1- ذكر في «كشف الخفاء» (2019)، ومن قول لقمان لابنه.

2- أخرجه البخاري، «كتاب الحيض» 304. ومسلم، كتاب الإيمان (80). وأبو داود كتاب «السنة» (4679).

3- ذكره المناوي في «فيض القدير» 263/4، وقال: لا أصل له. والعجلاني في «كشف الخفاء» 1529.

4- أخرجه البخاري، كتاب النكاح 5096، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء 2740، وغيرهم.

5- أخرجه البخاري، كتاب «أحاديث الأنبياء» 3331، ومسلم، كتاب «الرضاع» 1468. والترمذي، كتاب «الكلاة واللعان» 1188.

وقال الشاعر في هذا المعنى:

هي الضَّلَع العوجاء لست تُقيمها \*\*\* ألا إنَّ تقويم الضَّلوع انكسارها  
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى \*\*\* أليس عجيباً ضعُفها واقتدارها؟

\*\*\*

### (13) يأتي على الناس زمان

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 102 الصفحة 647.

قوله عليه السلام: [يأتي على الناس زمانٌ لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحل، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجر، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصف، يعدُّون الصدقة فيه غُرماً، وصلَّةُ الرحم منّاً، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء، وإمارة الصبيان، وتدبير الخصيان].

وقد سبق ذكر هذا الحديث، وتفسيره في باب الملاحم، فهو من باب الإخبار عن الغيوب وهي إحدى آياته، والمعجزات المختصّ بها دون الصحابة.

وقد ذكرت هنا لتعرضه لذكر النساء، بقوله: يكون السلطان بمشورة النساء. وهذا ما حصل في عصور الحكم العباسي وما بعده، فكان السلطان وإدارة الحكم بمشورة الإماء، والنساء.

\*\*\*

### (14) الغيرة

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 125 الصفحة 653.

قوله: [غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كَفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ]. سَمَّاهَا كَفْرًا،

ص: 329

لمشاركته الكفر في القبح، فأجرى عليها اسمه، ذلك أنّ المرأة أقل إدراكاً وصبراً من الرجل، فتكون غيرتها على الوهم الباطل والخيال غير المحقّق، فكانت قبيحة لوقوعها غير موقعها.

أمّا الرجل، فلمّا كان إدراكه أكبر وتماسكه أشدّ، كانت غيرته في موضعها، وواجبة عليه، لأنّ النهي عن المنكر من الواجبات، وفعل الواجب من الإيمان.

وقد تؤدّي غيرة المرأة إلى الكفر على الحقيقة، كالسحر، فقد ورد في الحديث المرفوع، أنّه كفر. أو أنّها بغيرتها تحرم على الرجل ما أحلّ الله له من زواج متعدّد. أمّا غيرة الرجل فتحرم لما حرّمه الله وهو الزنى.

\*\*\*

### (15) جهاد المرأة

في باب الحكم رقم 137 الصفحة 658، قوله عليه السلام: [وجهاد المرأة حُسْنُ التَّبَعْلِ].

معناه: حسن معاشرة بعلها، وحفظ ماله وعرضه، وإطاعته وترك الغيرة فإنّها باب الطلاق.

\*\*\*

### (16) خيار الخصال وشرائها

في باب الحكم رقم 236 الصفحة 677، قوله عليه السلام: [ خيارُ خصال النساءِ شراؤُ خصال الرجال: الزَّهْوُ والجبن والبخل. فإذا كانت المرأة مزهوّةً لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانةً فرقت من كلّ شيءٍ يعرضُ لها ].

ص: 330

الزهو: الكبر. فرقت: فرعت.

وبالتجربة لمسنا أنّ هذه الخصال الثلاث، محبوبَةٌ في النساء، منكرة في الرجال.

ففي حكمة أفلاطون: من أقوى الأسباب في محبة الرجل لامرأته واتفاق ما بينهما أن يكون صوتها دون صوتها، وتميزها دون تميزه، وقلبها أضعف من قلبه فإذا زاد من هذا عندها شيء على ما عند الرجل، تنافرا على مقداره.

وقد أخذ معنى قول الإمام عليه السلام، شاعر العجم الطغرائي فقال:

الجودُ والإقدامُ في فتيانهم \*\*\* والبخلُ في الفتياتِ والإسفاقُ

والطعنُ في الأحداقِ دأبُ رُماتهم \*\*\* والرامياتِ سهامُها الأحداقُ

وله:

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها \*\*\* ما بالكرائم من جبن ومن بخلٍ

\*\*\*

### (17) لا بُدَّ منها

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 240 الصفحة 678.

قوله عليه السلام: [المرأة شرُّ كلِّها، وشرُّ ما فيها، أنّها لا بُدَّ منها]

حلف إنسان عند بعض الحكماء أنّه ما دخل بابي شرِّ قط، فقال الحكيم: فمن أين دخلت امرأتك؟

وكان يُقال: أسباب فتنة النساء ثلاثة: عينُ ناظرة وصورَةٌ مستحسنة وشهوةٌ قادرة. وكان يُقال: من أتعب نفسه في الحلال من النساء، لم يتق إلى الحرام منهنّ، كالطليح مناه أن يستريح.

\*\*\*

ص: 331

في المختار من غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير، رقم 4

الصفحة 683.

قوله عليه السلام: [إِذَا بَلَغَ النِّسَاءَ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أُولَى].

قال الرضوي: النِّصُّ: منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها كالنِّصِّ في السير، لأنه أقصى ما تقدر عليه الدَّابَّةُ، وتقول: نَصَّصْتَ الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسأله عنه لتستخرج ما عنده فيه. فنصَّ الحِقَاق يُريد به الإدراك، لأنه منتهى الصَّغَرِ، والوقت الذي يخرج منه الصَّغَرُ غير إلى حدِّ الكبير. وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأغربها.

فإذا بلغ النِّسَاءَ ذلك فالعَصَبَةُ كالإخوة والأعمام، أولى بالمرأة من أمِّها، وبتزويجها إذا أرادوا ذلك.

والحِقَاق: محاكاة الأم للعصبة، وهو الخصام والجدال، وقول كلِّ واحد للآخر أنا أولى وأحقُّ منك بهذا.

وهناك من رواه: «نصُّ الحِقَاق»، والحِقَاق: جمع حِقَاق والحِقَاق: جمع حِقِّ، وهو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين، قد دخل في الرابعة، فاستحقَّ أن يُحمل عليه ويُنتفع به، وهنا الحِقَاق جمع الجمع.

فيكون المعنى: إذا بلغت المرأة الحدَّ الذي يستطيع الإنسان فيه الخصومة والجدال فعصبتُها أولى بها من أمِّها والحدُّ الذي تكتمل فيه المرأة والغلام للخصومة والجدل هو سنُّ البلوغ.

\*\*\*

## (19) ينصح المحارب

في غريب كلامه المحتاج إلى تفسير رقم 7 الصفحة 684.

قال عند تشييعه جيشاً: [أعذبوا عن النساء ما استطعتم].

قال الرضي: ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء، وشغل القلب بهنّ، وامتنعوا من المقاربة لهنّ، لأنّ ذلك يفتّ في عضد الحميّة، ويقدح في معاهد العزيمة، ويكسر عن العدو، ويلفت عن الإبعاد في الغزو.

وكلّ من امتنع من شيءٍ أعذب عنه.

اعذبوا، واصدّفوا: أي أعرضوا وتركوا.

وفي بعض النسخ جاءت: «اعزّبوا عن النساء ما استطعتم» وفسّرها بنفس المعنى.

\*\*\*

## (20) رنين النساء

في باب الحكم وقصار الكلمات رقم 324 الصفحة 699.

روي أنّه عليه السلام لما ورد الكوفة قادماً من صفّين، مرّ بالشّبابيين، فسمع بكاء نساءهم على قتلى صفّين.

فقال عليه السلام: [أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع، ألا تنهونهنّ عن هذا الرّنين؟!].

تغلبكم: يأتينه قهراً عنكم. على ما أسمع: أي بكأوهنّ. والرّنين: صوتُ البكاء.

ص: 333



فيه إشارة لنهيه عن ندب الموتى والمبالغة في البكاء والعيول. لهذا طلب نهيهن عن رفع الأصوات، وعبر عنه بالرنين على قتلاهن في صفين.

\*\*\*

## (21) النظر إلى المرأة

في باب الحكم رقم 415 الصفحة 720.

روي أنه مرّت امرأة جميلة بقوم فرمقوها بأبصارهم، فقال عليه السلام:

[إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تُعجبه فليلا مس أهله فإنّما هي امرأة كامرأة]. وفي بعض النسخ: «كامرأته».

طوامح: جمع طامح، طمح البصر، إذا ارتفع، وطمح: أبعث في الطلب، وطموح الأبصار، هو سبب هبابها، أي هيجان هذه الفحول الملامسة الأنتى.

وعبر عن الجماع باللامسة، كما جاء في قوله تعالى: (أَوْ لَا مَسْتُمْ النَّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا) (1)

\*\*\*

وقد تمّ الفراغ منه بعون الله وتوفيقه ومنه سبحانه، في الثامن عشر من جمادى الأولى لسنة 1431 هـ، الموافق للثاني من أيار سنة 2010م.

وأنا أقدم هذا المجهود الذي وقّفتني إليه ربّي محموداً مشكوراً، أعتذر عن كلّ زلّةٍ أو خطأٍ أو سهو، وأستغفر الله من كلّ ذنب، .

ص: 334

وأستسمحه عن كل تقصير. وأستشفع إليه بمن أسهر عيني، وأعملتُ فكري في تنقيب كنوزه واستخراج لآليء كلامه، واستقصاء روائع حكمه وبدائع خطبه وغرائب مقالاته، أن يجعل ذلك في صحيفة أعمالِي، تنفعني في آخرتي ومآلي، ويثبتها وسيلة للتقرب إليه سبحانه، بولائي واعتقادي وخدمتي لمقامه الكريم. فيغفر ذنبي ويستر عيبي، ويكشف كربِي، ويوقِّني للوفاء بعهدي الذي قطعتَه على نفسي: أن أستغرق جميع طاقتي، وأنصب جسدي، وأستوفي باقي عمري في خدمة أمير المؤمنين عليه السلام، وأستقصي ما أستطيعه من كلامه، وأتبع آثار خطاباته، وأنقب في كنوزه، عسى أن أستخرج من دُرر ولآلء تلك الكنوز، لننتفع بها، ونستفيد منها، كما أرادها لنا هو عليه السلام، وأن أكون من الذين اهتموا وحافظوا على هذا الإرث العظيم، والتركة المباركة الغنيّة، إنّه سميع مجيب، وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين رسول الله محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين.

المؤلف

\*\*\*

ص: 335



## المحتويات

الإهداء ... 5

كلمة المؤلف ... 7

مقدمة ... 15

أبواب الكتاب

الباب الأول: لطائف الاستنباط من القرآن الكريم ... 25

الآيات القرآنية في نهج البلاغة: ... 30

الباب الثاني: الملاحم والفتن ... 117

الملاحم في نهج البلاغة ... 123

(1) عن البصرة ومسجدها ... 123

(2) في بليّة الفرقة ومحنة الشتات ... 124

(3) في أهل النهروان ... 125

(4) في ذكر الكوفة ... 127

(5) في من يأمر بسبّه ... 129

(6) في مصير الخوارج ومآلهم ... 132

(7) بعض الملاحم في الخوارج ... 133

(8) في ذم أهل العراق ... 135

ص: 337

- (9) في مروان بن الحكم ... 136
- (10) في بني أمية ... 138
- (11) دعوني والتمسوا غيري ... 138
- (12) فاسألوني قبل أن تفقدوني ... 139
- (13) في ظهور أهل الشام ... 143
- (14) عن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ... 145
- (15) إخباره عن الضليل ... 147
- (16) فتنٌ كقطع الليل المظلم ... 150
- (17) وصف آخر الزمان ... 151
- (18) نهاية الأمويين ... 152
- (19) ظهور السفيناني ... 154
- (20) غلامٌ ثقيف ... 155
- (21) فتنة صاحب الزنج ... 158
- (22) الفئة الباغية ... 161
- (23) الإمام الموعود ... 162
- (24) ما بعد الإمام عليه السلام ... 164
- (25) السراج المنير ... 164
- (26) بلايا الفتن ... 166
- (27) أخبرنا عن الفتنة ... 168
- (28) ظلم بني أمية، وزوال ملكهم ... 169
- (29) الإمام المقتول ... 171

(30) هلاك بني أمية ... 171

(31) بعض العلامات ... 173

ص: 338

(32) علم الإمام عليه السلام ... 174

(33) أصحاب القلب ... 175

(34) رفع المصاحف ... 176

(35) يأتي على الناس زمان ... 178

(36) ونجعلهم الوارثين ... 179

(37) يعسوب الدين ... 180

(38) صفة أهل الضلال ... 181

(39) اختلاف بني أمية ... 182

(40) زمانٌ عضوضٌ ... 182

الباب الثالث: الاحتجاج في نهج البلاغة ... 185

في ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الميامين عليه السلام ... 193

في بعض ما يختصُّ به عليه السلام ... 194

ولئى الله وحجته ... 195

احتجاجات ومناظرات أمير المؤمنين عليه السلام ... 199

(1) محلّ القطب من الرّحى ... 199

(2) بنا اهتديتم ... 203

(3) في أصحاب الجمل ... 204

(4) بيعة الزبير ... 205

(5) ردُّ القطنع ... 207

(6) ردّ التهمة ... 208

(7) وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... 211

(8) كلمة حق يُرادُ بها باطل ... 212

(9) أنباء السقيفة ... 213

ص: 339



- (10) ردُّ التهمة مرة أخرى ... 214
- (11) رأيه في التنجيم ... 215
- (12) عجباً لابن النابغة ... 216
- (13) هذا جزء من ترك العُقدة ... 221
- (14) المال مأل الله ... 224
- (15) احتجاجه على الخوارج ... 226
- (16) في شأن طلحة والزبير ... 227
- (17) معاقبة القاتل ... 228
- (18) مساقط الغيث ... 231
- (19) المقارعة بالحجّة ... 232
- (20) في معنى طلحة ... 233
- (21) في معنى الحكمين ... 234
- (22) نقضه آراء طلحة والزبير ... 236
- (23) في الحكمين أيضاً ... 237
- (24) في مقتل عثمان ... 239
- (25) مراسلات ... 240
- (26) طلحة والزبير مرة أخرى ... 249
- (27) بعض من صفين ... 249
- (28) تناقض الأشعريّ ... 250
- (29) إلى معاوية جواباً ... 251
- (30) احتجاجه على الخوارج ... 253

(31) واعجباه ... 254

(32) ضلالة أصحاب الجمل ... 255

ص: 340

(33) حُلِّي الكعبة ... 256

(34) حساب الخلق ... 257

(35) احتجاجه مع اليهود ... 257

(36) في باب الحكم وقصار الكلمات ... 258

(37) العدل والجود ... 258

الباب الرابع: الشعر والأمثال في نهج البلاغة ... 261

المدخل: ... 261

الشعر والأمثال في نهج البلاغة ... 265

(1) خلق آدم عليه السلام ... 265

(2) الشَّقِيقِيَّة ... 265

(2) بعد اللَّيْتَا والتِّي ... 267

(3) قلِّمَّا أدبر شيءٌ فأقبل ... 268

(4) النهي عن الحسد ... 268

(5) تناقلٌ عن الجهاد ... 268

(6) لا رأي لمن لا يُطاع ... 271

(7) إذا جاء القتال ... 274

(8) فما عدا ممَّا بدا ... 274

(9) ما لي ولقريش ... 276

(10) لو كان يُطاعُ لقصيرٍ أمر ... 277

(11) استقصاء الأمر ... 278

(12) في بيان صفات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ... 279

(13) حال الدنيا ... 279

(14) ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ... 280

ص: 341

- (15) أيادي سبأ ... 281
- (16) لا يكذب الرائد أهله ... 282
- (17) دعاء الاستسقاء ... 283
- (18) ودع عنك نهياً صريح في حَجَراته ... 283
- (19) محاسن الكتب ... 285
- (20) صبورٌ على ريب الزمان ... 287
- (21) أسوة الإمام عليه السلام ... 289
- (22) تقرّعه الأشعري ... 291
- (23) للطالب غير حقّه ... 292
- (24) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ... 292
- (25) أكلةٍ منعت أكالات ... 293
- (26) أولى بالنبّي وأقرب ... 295
- (27) الدّينُ الظّنون ... 297
- (28) ميمون التّقيبة ... 298
- الباب الخامس: المرأة في نهج البلاغة ... 301
- المدخل: ... 301
- المرأة في نهج البلاغة ... 309
- (1) جُند المرأة ... 309
- (2) أسماء بنت عميس ... 311
- (3) في ذمّ النساء ... 313
- (4) زينة الحياة ... 315

(5) أمّ المؤمنين ... 316

(6) حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... 317

ص: 342

(7) أمّا حزني فسرمد ... 319

(8) فلتة غضب ... 320

(8) وصيّته في النساء عند الحرب ... 321

(9) خيرُ نساء العالمين ... 322

(10) وصايا في النساء ... 324

(11) ابن أُمّي ... 326

(12) اللَّسْبَةُ وَاللَّسْبَةُ ... 327

(13) يأتي على الناس زمان ... 329

(14) الغيرة ... 329

(15) جهادُ المرأة ... 330

(16) خيار الخصال وشرائها ... 330

(17) لا بُدَّ منها ... 331

(18) نصُّ الحِقّاق ... 332

(19) ينصح المحارب ... 333

(20) رنينُ النساء ... 333

(21) النظر إلى المرأة ... 334

المحتويات ... 337

ص: 343

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.



مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

